

رَفَع

عبد الرحمن العجمي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

# النصائح الوافية والمقالات الأثرية

في نصرة الدعوة السلفية

تأليف  
فضيلة الشيخ  
محمد بن موسى آل نصر

دار  
المسار



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

السنة النبوية الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

النصائح الوافية  
والمقالات الأثرية  
في نصرة الدعوة السلفية

بألف  
فضيلة الشيخ  
محمد بن موسى آل نصير

المنهاج

جميع حقوق الطبع محفوظة

لـ « دار المنهاج »

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رقم الإيداع: ٢١٠٢٣ / ٢٠٠٤م

دار المنهاج

الإدارة: ١٧ شارع صعب صالح - من أحمد عصمت - عين شمس الشرقية - القاهرة - ج.م.ع

جوال: ١٧ ٥٣٣ ٠١٢ ٠٠٢ / فاكس: ٤٩٨٨٦٢٤ / ٠٢٠٢

المكتبة: ٨١ شارع الهدي المحمدي - من أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة

جوال: ٠٠٢ / ٠١٢٤٠٧٣٩٧٤

E-Mail: daralmenhaj@hotmail.com

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة :

إن الحمد لله ؛ نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله ، فلا مضل له ، ومن يضلل ؛ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴾ [ آل عمران: ١٠٢ ] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ

مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [ النساء: ١ ] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا

عَظِيمًا ﴾ [ الأحزاب: ٧٠-٧١ ] .

أما بعد : فإن أحسن الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ،  
وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في  
النار .

أما بعد :

فبين يديك أخي القارئ الكريم مجموعة من المقالات والردود العلمية المنهجية التربوية النافعة - إن شاء الله تعالى - فيها إحقاق لحق أو إزهاق لباطل أو دعوة لفضيلة أو نهي عن رذيلة ، أو بيان لمنهج سليم وكشف لمنهج منحرف ، فيها تأصيل لعقيدة السلف وسلوكهم ومنهجهم وتحذير من مناهج بعض الخلف من الضالين المتهوكين ، كتبها في أوقات مختلفة وأزمنة متفاوتة وأمكنته شتى دفاعاً عن حق أعتقده ودفعاً لباطل أنتقده ، فإن الحق لا يعرف المداهنة ، ولا يقبل المهادنة ، وطلابه أندر وأعز من الكبريت الأحمر ، وقد خلا منهم السهل والواد إلا من رحم الله ، وأما أهل الباطل وأهل الخصومة واللجاجة فما خلا منهم نادٍ ولا وادٍ فالله حسبيهم في المعاش والمعاد .

ولا زال الله يغرس في طلبه العلم غرساً يستعملهم في طاعته كما وعد على لسان رسوله في حديث حمل العلم يجمع بهم أهل البدع ويشرد بهم أهل الفتن والمحن ﴿ بَلْ نَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨] ، وهم متوافرون على مر العصور وكر الأيام والدهور فإن الباطل لا بد له من حق يجمعه وضياء يكشفه كما يكشف ضياء الفجر عسعة الليل المدهم ، وإن جهاد اللسان والبيان قد يكون أمضى وأنكى في وقت اشتداد الفتن وكثرة الأهواء والمحن من جهاد السيف والسنان ، وإن تصحيح عقائد الناس وسلوكهم وأعمالهم ، وتصفية مناهجهم لمن أعظم الجهاد في زمن التبس فيه الحق بالباطل واختلط الحابل بالتابل واتبع الناس كل ناعق ، وساروا خلف كل مارق ، وهذه المقالات الموسومة بـ « النصائح

الوفية والمقالات الأثرية في نصرة الدعوة السلفية» جزء من هذا البرنامج وقد نشر بعضها في صحف خليجية ونشر كثير منها عبر مجلتنا الحبيبة «الأصالة» جعلها الله اسماً على مسمى ، وبعضها لم ينشر من قبل ، الأمر الذي دعاني إلى جمعها جميعاً وإخراجها في سفر واحد بناءً على اقتراح إخوة أفاضل فقويت عزيمتي على نشرها ليرجع إليها طلاب العلم فهي خلاصة مسيرة دعوية وعلمية لما يزيد على ربع قرن من هذا الزمان .

وأخيراً : أتمنى من كل أخ في الله وجد في عملي خلاصاً أن يصلح ولا يفسد ، وينصح ولا يفضح ، ويستر ولا يُشهرُّ وأنا له من الشاكرين ولمنته من المتقلدين .

سائلاً المولى جل في علاه أن ينفع بها وأن يتقبلها مني بقبول حسن ، لتكون ذخراً لي عنده ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبها حامداً ومسلماً ومصلياً

محمد بن موسى بن حسين آل نصر

السلفي الأثري

عمان - البلقاء

٢٠ شوال ١٤٢٤ هـ

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري  
أسكنم الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

# الباب الأول

## تأملات قرآنية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنم الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## المقالة الأولى :

﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ ﴾

لم يعص الله بذنوب أعظم وأقبح من الإشراك به ، ولذا أطبقت رسالات الأنبياء على التحذير منه والتنفير عنه وبيان سوء عاقبته وأنه يُوجب خلود صاحبه في النار .

والشرك : أن تجعل لله نداءً ونظيراً ومثيلاً في الخلق أو الصفة ، أو العبادة .

### ● والشرك نوعان :

أكبر : كدعاء الأموات والاستغاثة بهم والذبح لغير الله والسجود للأوثان والأصنام ، وهو مخرجٌ من الملة .

وأصغر : كالرياء ، وطلب السُّمعة والمحمدة ، ونحو ذلك .

وبينهما مراتبٌ ودركاتٌ ؛ ومن أشدها شرك الطواغيت الأرضيين الذين استبدلوا شريعة الله بقوانينٍ وضعيّةٍ مستوردةٍ مستحلين ذلك رغبة فيها وزهداً ورغبة عن شريعة الله .

والشرك الأكبر إذا مات صاحبه عليه خسر الدنيا والآخرة وحبط عمله ولم تنفعه قرينة ولا طاعة .

والقرآن الكريم لا يكاد يخلو منه آية أو سورة لم تحذر من الشرك ، والآيات التي تحذر من الشرك بأنواعه كثيرةٌ جداً .

منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ

لِمَنْ يَشَاءُ ۗ ﴾ [ النساء : ٤٨ ] .

ومنها قوله : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ

النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿ [ المائدة : ٧٢ ] .

ومنها قوله : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[ الأنعام : ٨٨ ] .

ومنها قوله : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [ الزمر : ٦٥ ] .

وكان من دعاء إبراهيم ربه : ﴿ وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾

[ إبراهيم : ٣٥ ] .

ولقمان في وصاياها لابنه يحذره في وصيته الأولى من الشرك كما حكي

الله عنه : ﴿ يَبُنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [ لقمان : ١٣ ] .

وفي السنة الثابتة عن النبي ﷺ التحذير من الكبائر يبدؤها بالشرك

كحديث : « اجتنبوا السبع الموبقات ... الشرك بالله والسحر ... » (١) .

ولما سئل ﷺ أي الذنب أعظم عند الله قال : « أن تجعل لله نداً وقد

خلقك » (٢) .

وقد بلغ من تحذيره ﷺ من الشرك والزجر عنه أن قال وهو في النزع

يجود بأنفاسه العطرة الشريفة : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبورَ

أنبيائهم مساجد » (٣) ، يُحذّر ما صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي

أن يتخذ مسجداً ، وابتهل إلى ربه وهو في آخر رمق من حياته ألا تفتن الأمة

(١) متفق عليه .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

بقبره فيعبدوه من دون الله شأن عبَاد القبورِ في كل زمان فقال : « اللهم لا تجعل قبوري وثناً يُعبد ، اشتدَّ غضبُ الله على قوم اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد » (١) .

فَالْغُلُوُّ فِي قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَاناً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ - ولو بعدَ حين - فالذين عبدوا اللات عكفوا على قبره بعد موته ، فقد كان يَلْتُمُ لَهُمُ السُّوَيْقُ عَلَى صَخْرَةٍ وَيُطْعِمُهُمْ فَفْتَنُوا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ؛ فَالْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ كَانَ أَوَّلَ سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الشَّرِكِ ، فَقَدْ ظَلَّ النَّاسُ بَعْدَ آدَمَ أَلْفَ سَنَةٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ حَتَّى كَانَ لِآدَمَ خَمْسَةَ أَحْفَادٍ : وَدُ ، وَسَوَاعُ ، وَيَغُوثُ ، وَيَعُوقُ ، وَنَسْرُ ، فَلَمَّا مَاتُوا جَعَلُوا لَهُمْ أَنْصَاباً فَلَمَّا نُسِيَ الْعِلْمُ عِبَادُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَرْسَلَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَرَسُولَهُ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ .

من أجل ذلك نهى النبي ﷺ عن الغلو في المدح ؛ وهو الإطراء ، لأنه نوعٌ من العبادة لغير الله فقال ﷺ : « لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » (٢) .

وقد يظنُّ بعضُ الجهلة وبعضُ المحسوين على العلم أن الشرك : أن تسجد لغير الله فحسب : أما دعاء الأموات والنذر لهم والاستغاثة بهم والعكوف على القبور وسؤال أصحابها كشف الكربات لا يدخل صاحبه في زمرة المشركين !!

وهذا جهل فاضحٌ بالتوحيد الذي بعث الله به رسله ، فالأنبياء كلهم

(١) رواه مالك في «الموطأ» .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

قالوا كلمة رجل واحد : ﴿ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾

[ الأعراف : في مواضع شتى ] ، وقال الله عنهم : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [ الأنبياء : ٢٥ ] .

والعبادة كما عرفها العلماء : هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبُّ الله ويرضى

من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته القيمة « الواسطة بين الحقِّ

والخلق » (ص ٥٧-٥٨) في رده على سؤال عن الواسطة الشرعية والشركية :

« ... وإن أراد بالواسطة أنه لا بدَّ من واسطة يتخذها العبادُ بينهم وبين

الله في جلب المنافع ودفع المضار ، مثل أن يكونوا واسطةً في رزق العباد

ونصرهم وهُداهم يسألونهم ذلك ويرجعون إليهم فيه ؛ فهذا من أعظم

الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء

يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار » .

إلى أن قال : « فمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالحجَّاب الذين

يكونون بين الملك والرعية بحيث يتوسطهم بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم

يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون حوائج الناس لقربهم منهم ،

والناس يسألونهم أديباً منهم لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب ، فمن أثبت

وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل .

وهؤلاء مُشبهون شَبَّهوا الخالق بالمخلوقين وجعلوا لله أنداداً » ١.هـ .

فالشرك أنواعه كثيرة ، وأكثرها شركُ العبادة الذي ابتليت به أكثر الأمم

والشعوب وهو يندرج تحت ثلاثة أنواع عامة :

شرك الربوبية ، وشرك الألوهية (العبادة) ، وشرك الأسماء والصفات ،  
وسياتي الحديث عن هذه الأنواع مفصلاً إن شاء الله تعالى .

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه .  
اللهم اجعل أعمالنا صالحة ولوجهك خالصة ، ولا تجعل لأحد فيها شيئاً .

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [١٨٠] وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ

﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصفات : ١٨٠-١٨٢] .

## تحريف الكلم عن مواضعه سبب العذاب والهوان

يقول مولانا الحق : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ [البقرة: ٥٨-٥٩] .

هذه آيات عظيمة تحكي قصة بني إسرائيل ونكولهم عن الجهاد وعدم دخولهم الأرض المقدسة لما قَدِمُوا من بلاد مصر في صحبة موسى عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup> ، ذمًا لهم ، وتبكيًا لصنائعهم .  
... وكان هذا الأمرُ منهم بعد خروجهم التيه بعد أربعين سنة مع يوشع ابن نون عليه الصلاة والسلام ، وفتحها الله عليهم عشية جمعة ، وقد حُبِسَتْ لهم الشمس<sup>(٢)</sup> يومئذٍ حتى تَمَّ الفتح .  
ولما فتحوها أمرُوا أن يدخلوا الباب (باب البلد) سجدًا (أي : ركعًا) .  
ولكن اليهود كعادتهم لا يطيعون أمرًا ، ولا يلتزمون عهدًا ، فدخلوا زحفًا على أدبارهم ، وقيل لهم : قولوا : حطة (أي : احطط عنا خطايانا فقد أقررنا بذنبا) ، ولكنهم بدلوا ما قيل لهم أقبح تبديل سخرية منهم واستهزاءً وعلوًا واستكبارًا .

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » (١/٩٨) للحافظ ابن كثير رحمه الله .

(٢) انظر « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (رقم ٢٠٢) لشيخنا ناصر السنة الإمام محمد ناصر الدين الألباني .

فبدّلوا الفعل والقول ؛ بدّلوا الفعل بدخولهم زحفاً على أدبارهم ،  
وبدّلوا القول بقولهم : حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ ، أو حنطة في شعيرة .

فذلك قول الله تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ  
لَهُمْ ﴾ .

فوصفهم الله بالظلم ؛ بسبب تبديل ما أمروا به ، وكل من بدّل ما أمر  
الله به فقد ظلم نفسه ، لأنّ المخالفة عن أمر الله وأمر رسوله سبب اللعنة  
والعذاب .

أرأيت كيف لعن الله إبليسَ وطرده من رحمته لما رفض السجود لآدم  
وفسق عن أمر ربه ؟! قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ  
فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَإِنَّ  
عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

واليهود - إخوان القردة والخنازير - قومٌ بُهتُ ، تاريخهم أسود ، بل  
أظلم من الليل البهيم ، يتعمّدون مخالفة ربهم ومعبودهم ، كيف لا وهم قتلة  
الأنبياء ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ !؟

والذي حكاه الله عنهم من التبديل غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة ؛  
لذلك أنزل الله بهم بأسه ، وسلط عليهم جنده يسومونهم سوء العذاب إلى  
يوم القيامة ﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا  
يَفْسُقُونَ ﴾ .

فهؤلاء يهود من أعرق الناس نسباً ، أبناء أنبياء خلفاً عن سلف ،

ولكنهم لما بدّلوا وحرّفوا وغيّروا وقدموا وأخروا : أخرهم الله ، وضرب عليهم الذلّة والمسكنة ، ومسح طائفة منهم قردة وخنازير ، فالله ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب أو واسطة، والتفاضل لا يكون إلا بالتقوى .

وأمة الإسلام إذا اتبعت سنن اليهود في التحريف والتبديل أصابها ما أصابهم ، فاليهود بالأمس بدّلوا حطة بجنطة ، فزادوا النون ، وبعض أفراد هذه الأمة - ممن اتبعوا خطوات الشيطان - بدّلوا - من ضمن ما بدّلوا - « استوى » بـ « استولى » فأبيّ فرق بين نون اليهود ولام الجهمية وإخوانهم ؟! والله در ابن القيم حيث يقول :

أمر اليهود بأن يقولوا : حطّة ❁ فأبوا وقالوا : جنطة ، بهوان  
وكذلك الجهمي قيل له : استوى ❁ فأبى وزاد الحرف للنقصان  
نون اليهود ولا جهمي هما ❁ في وحي رب العرش زائدتان

وإن تعجب فعجب أن تسمع بعض الدعاة يقول : إذا قال أحدنا : استوى أو : استولى ، لا فرق ! ولا يترتب على هذا القول زيادة إيمان أو نقصان !!

ليت شعري أفلا يتدبرون قول الله : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ !؟

وليس مثل هذا التبديل والتحريف مقصوراً على مثل هذا الصنيع ، بل إنه في الأمة - اليوم - على صور شتى ، وألوان متعدّدة ، لا يُستطاع حصرها ، ولا يُقدر على سردها !!

إنّ تحريف الكلم عن مواضعه وتبديل حقائق كلمات الله ظلم وفسق

وعذاب وهوان ، وقد يُؤدي بأصحابه إلى الكُفر والمُروقِ ، عياداً بالله .  
فاللهم سلّم سلّم .

وإن واقع أمتنا الإسلامية لأَكْبَرُ شاهد على ذلك ، ولذلك قال رسول  
الله ﷺ : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ،  
وتركتهم الجهاد في سبيل الله ؛ سلّط الله عليكم ذلاً ، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى  
دينكم » (١) .

---

(١) أخرجه أبو داود وأحمد وغيرهم ، وانظر لزماً : « السلسلة الصحيحة » (١١) .

## معالم الصراط المستقيم

لقد أمر الله عباده المؤمنين أن يسلكوا صراطه المستقيم ، وأن يسألوه الثبات عليه، والهداية إليه فلا تقوم لهم صلاة إلا إذا سألوه الهداية لهذا الصراط المستقيم سبع عشرة مرة في الصلوات الخمس ، ولا يتم لهم ذلك حتى يستعينوا من سبيلين :

- الأول : سبيل المغضوب عليهم ، وهم اليهود . بإجماع المفسرين .
  - الثاني : سبيل الضالين ، وهم النصارى . بإجماع المفسرين .
- وهذان السبيلان هما منبع الفساد والانحراف .

قال بعض السلف : « من فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه بالنصارى » .

لأن اليهود عرفوا الحق وحرّفوه وانحرفوا عنه ، والنصارى عبدوا الله بلا علم ، فعملوا بلا علم ، فعدم العمل بالعلم يفضي إلى غضب الله ، والجهل والعمل بلا علم يفضي إلى الضلال .

والمتدبر لقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ ﴾ يعلم أن هذا الصراط واجب الاتباع ، وأنه سبيل الهداية الوحيد ، وأن من انحرف عنه يمتد أو يسره ضل وتاه في سبيل الضلال والغواية وتخبط خبط عشواء ، وأخذ يدور حول نفسه كما يدور الحمار في رحاه ، وكان في تيهه وضلاله وحيرته وتخبطه كتبه اليهود عندما خالفوا أمر ربهم وقالوا لنبيهم موسى كليم الله : ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ

وَرَبُّكَ فَاقْتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٤٠﴾ .

وفيه أن الحق واحد في مقابل الباطل لا يتعدد ولا يتنوع ، قال تعالى :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ .

فانظر - رحمك الله - كيف جمع الظلمات التي تمثل الباطل ، وأفرد

النور الذي يمثل الحق وهكذا ؛ فإن صراط الحق واحد هو سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين .

وسبل الشيطان كثيرة ، ولذلك جمعها الله بقوله : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا

السُّبُلَ ﴾ .

وفيه : أن ما يسمى بالتعددية في الأنظمة الديمقراطية باطلٌ ، لأنه تكثير

لسواد الشيطان وحزبه ، وتحقيق لسياسة فرعونية قديمة : ﴿ إِنَّ قِرْعُونَ عَلَا

فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا ﴾ وهي ظاهرة مرضية في الأمة ؛ لأنها تفرقها

وتبعدها عن الحق الذي عبر عنه ربنا بالصراط المستقيم ، وإقرارها والاعتراف

بها اعتراف بتلك السبل الشيطانية التي أشار إليها الرسول ﷺ بقوله : « وهذه

سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو لنفسه » ، وأصحابها هم الذين عناهم

الرسول ﷺ في حديث حذيفة : - الذي فيه - « فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال : نعم ؛ دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه في النار » .

ففيها : التحذير من التفرق في الدين ، والاختلاف على الحق القويم ،

والتنكب عن الصراط المستقيم ؛ لأنه سبيل الضلال .

وفيهما : عدم الاعتزاز بالكثرة والغثائية ؛ لأنها ليست دليلاً على الحق ،

ولا هادية إليه ، ولا عاصمة من الانحراف عنه بل هي قاصمة ؛ إلا أن تكون على هدى من الله وكتاب منير .

وهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ عندما قال : « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل » ، فالحق لا يعرف بالكثرة ، وما مدح الله الكثرة يوماً ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَإِنْ تَطَعْتَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ لِيُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ .

وقول الرسول ﷺ في حديث افتراق الأمم : « ... وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » ، قيل : من هي يا رسول الله ؟ قال : « هم الذين على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » ، وقوله : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله » ، وقوله في وصف الغرباء : « قوم صالحون قليلون في قوم سوء كثيرين ؛ من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم » .

وهكذا كان الحق وأهله دائماً ، فمن أظلم ممن سوى بين المسلمين بين أهل الصراط وأصحاب السبل الشياطين ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ .

ومعرفة الصراط المستقيم وأهله لا بد له من بصر وبصيرة ؛ فالأعمى لا يحسن النظر ، والجاهل لا يتقي تطاير الشرر : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ؛ أي : أنت ومن معك . والله الموفق .

## حياة الأمم

قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الآية .

اعلم أبا الإيمان - وفقني الله وإياك - أن الحياة الحقيقية هي حياة الأرواح ، والتي تصفو بالاستجابة لله والرسول ﷺ ، فلا حياة لمن لم يستجب لله والرسول ، وإن كان معدوداً من جملة الأحياء ! فالمستجيبون لله والرسول هم الأحياء حقيقة وإن كانت أبدانهم مفقودة ، فأمثالهم في القلوب موجودة ، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء في أبدانهم وحركاتهم .

وقد تنوعت أنظار المفسرين في معنى الحياة الواردة في هذه الآية ، والجمهور منهم على العموم ؛ كما نقل ذلك القرطبي - رحمه الله - في [ الجامع لأحكام القرآن ( ٧ / ٣٨٩ ) ] ، ويؤيده ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد بن المعلى - رضي الله عنه - قال : كنت أصلي ، فمرَّ بي رسول الله ﷺ فدعاني ، فلم آتِه حتى صليت ثم أتيتُه ، فقال : « ما منعك أن تأتي ؟ ألم يقل الله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ » الحديث .

وقال بعض السلف كعروة بن الزبير : يعني الحرب التي أعزكم الله بها بعد الذل ، وقواكم بها بعد الضعف ، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم .

قلت : وهذا يصدق قولُ الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

فهم - وإن قتلوا في أعين الناس - أحياءٌ حقيقةً عند الله ؛ يأكلون ، ويشربون ويسرحون ، ويمرحون في الجنة ، يتمتعون بنعيمها ، وظلالها ، وأشجارها ، وأنهارها .

ولا تعارض بين الأمرين ؛ فالحياة الحقيقية لا تكون إلا بالاستجابة الكاملة لله والرسول ، ووجه هذه الحياة المشرق هو كون المسلمين في عزة ومَنعة يجاهدون في سبيل الله من انحراف عن منهج الله ؛ ليكون الدين كله لله .

نعم ؛ إن الأمة الإسلامية إنما تحيا بالجهاد الذي يُعزُّ الله به الإسلام وأهله ، ويذل به الشرك وأهله ، والأمة الإسلامية على مر العصور إنما ذلت حينما تنكبت سبيل الله ، فخالفت أمر الله ورسوله ، وعطلت شعيرة الجهاد ، وهدمت منارتها ، فالجهاد ذروة سنام الإسلام ، به يعز ، وبه يسمو ، وبه يحفظ العرض ، والأرض ، والأبدان ، والأديان ، والأموال .

وقد تجرعت الأمة الإسلامية غصصاً ، وسامها عدوها سوء العذاب حينما نكست أعلام الجهاد ، ونكلت عن جهاد أعدائها ، وهذا ما أخبر به الرسول حيث قال : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد في سبيل الله ؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم » <sup>(١)</sup> .

فإحياء معنى الجهاد حقيقة جزء كبير من الرجوع إلى الدين الذي به

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (٧/٢١٦) . والحديث سبق تخريجه .

حياة الأمم والشعوب ، إذ الجهاد من أعظم ما تحيا به الأمة الإسلامية ،  
وأى حياة للمرء عندما يُدنس عرضه ، وينتهب ماله ، وتغتصب أرضه ،  
ويسام سوء العذاب؟! إنه وإن كان حياً فهو ميت ، والموت خير له من  
الحياة .

وقد وعد الله المؤمنين بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، وهذا مشروط  
بالسير على منهج الله واتباع رسوله ﷺ والجهاد في سبيله : ﴿ فَمَنْ أَتَّبَعَ  
هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ ؛ فالحياة هي حياة الأرواح بإقامة الأديان ،  
لا حياة الأبدان بتحصيل الشهوات والملذات .

ولكن ينبغي أن نعلم بدءاً وانتهاءً أنه لن ينطلق الجهاد في مساره  
الصحيح الحق إلا إذا حطت الأمة رحالها على الفهم الصحيح لهذا الدين ؛  
وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده .

فكل جهاد على غير سبيل النبي ﷺ وأصحابه فليس بجهادٍ ، وكل حياة  
على غير هذه الوجهة المباركة فليست حياة!!  
فاللهم أحيينا بالإسلام وأحي الإسلام بنا ، أنت ولي ذلك والقادر عليه

## فلا تزكوا أنفسكم

إن التأمل البصير الواعي لآيات الله يجعل المؤمن منضبطاً بالأحكام الشرعية ظاهراً وباطناً ؛ بعيداً عن أي تأثر - خارجي أو داخلي - ولو بأي تسويغ يسوغه لنفسه ! من أبين ذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ ؛ إذ فيه النهي عن مديح النفس ، أو ذكر (مآثرها) و (حسناتها) !! فالمعنى المجمل لقوله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي : لا « تُخبروا الناس بما في القلب ، والله هو المطلع عليه ، المجازي على ما فيه من بر وتقوى ، وأمّا الناس فلا يُغنون عنكم من الله شيئاً » (١) .

وربطاً للحكم بالواقع - ولو من باب التمثيل - أقول : من أهم خصائص النظام الديمقراطي - الذي (يفرض) اليوم على شعوب العالم بأسره ! - وجود الانتخابات البرلمانية النيابية فيه ، وهذا يقتضي أن يُرشح عدد من (الناس ! ) أنفسهم للانتخابات ، وبالتالي (عليهم) أن يقوموا (بالدعاية) لأنفسهم من أجل ذلك !! .

وخلال انتخابات نيابية (وقعت) آثار دهشتي عدة مخالفت شرعية وقع فيها المرشحون لأنفسهم ، وليتهم كانوا من غير المتدينين لهان الخطب ، بل قد كانوا - وللأسف - من المشايخ الذين يُشار إليهم بالبنان !!

ومن أظهر هذه المخالفات : تزكية أنفسهم. فلسان حالهم يقول : أنا أفضل من تنتخبون ! وفي مجلس النواب تضعون !

(١) انظر « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (رقم ٢٠٢) .

واحد يُذكَرُ بجهاده ! ويريد أن يُوظف ذلك لنجاحه في الانتخابات !  
وآخر يتشبع بما لم يُعط ؛ فيذكر بشهاداته الجامعية وما يُتقن من لغات !  
وثالث يقول في إعلاناته : ربع قرن في خدمة القرآن الكريم ، وكأنه  
يُريد أن يصل إلى دنياه عن طريق القرآن .

وتذكرت - ساعتئذٍ - هذه الآية: ﴿ فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن  
آتَقَى ﴾ .

وقول رسول الله ﷺ : « إياكم والتمادح ، فإنه الذبح » ، وهذا إذا كان  
من الآخرين ، فكيف إذا كان الشخص مادحاً نفسه لينال عرضاً من الدنيا !  
وهل كان السلف - وهم خيار الأمة - يُوظفون آيات القرآن لمصالحهم  
ومآربهم؟! وهل يجوز من مشايخ زماننا فعل ذلك ليصل الواحد منهم إلى  
قبة البرلمان ليحظى بالشرف والجاه، ويجوز على جواز سفر (دبلوماسي) ،  
وسيارة فارهة ، وراتب مرموق ، ويشار إليه بالبنان !!

ألم يقل الرسول ﷺ : « إنا لا نُعطي هذا الأمر من طلبه » ؛ أي :  
الإمارة والولاية؟! وما أدري هؤلاء أنهم أهل لتحمل الأمانة والمسئولية .

ألم يفقهوا قول الرسول ﷺ : « لیتمین اقوام وُلُوا هذا الأمر أنهم خروا  
من الثريا وأنهم لم يَلُوا من أمور الناس شيئاً » <sup>(١)</sup> ، فكيف بمن نصب نفسه  
مُشرعاً ، ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾ ؟!  
حتى إن بعضهم استشهد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ

(١) « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (٣٦١) .

الْأَمِينُ ﴿﴾، بل رأيت أكثر من واحد يصف نفسه بما وصف به كلیم الله موسى عليه السلام ، وهذه الآية مقولة في حق خير خلق الله في زمانه ؛ كلیم الله موسى ، فمن مثل موسى أمانة وخلقاً وعصمة وعلماً وعملاً؟! !

وكتب بعضهم : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ ! والله أعلم

بإرادته ونيته ومدى مصداقية هذه الإرادة بعد جلوسه تحت قبة البرلمان !

وكتب آخرون : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ ! وهذا

مدح من الله لطائفة من عباده حفظوا العهود وأدوا الأمانات وليس لأحد أن يدعي أنه أهل للوفاء والأداء إلا أن يشاء الله ويوفقه لذلك .

فإذا كان المسلم الصادق لا يقطع لغيره بالتزكية فكيف يقطع بها لنفسه .

فتوظيف الآيات للانتخابات حرام في الدين : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا

قَلِيلًا ﴾ ، وهذا تَأْكُلُ بالقرآن غير مباشر ، وهذا يذكرنا بقول الرسول ﷺ :

« يكون في آخر الزمان رجال يأكلون بألسنتهم »<sup>(١)</sup> .

ناهيك عن مآل هذه (اليافطات) - أو الأوراق - التي تكتب عليها

الأحاديث والآيات !! فإنه سلات المهملات ، أو مجمعات النفايات !! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن العجائب أن بعض العلمانيين كانوا يستغلون القرآن - أيضاً -

للدعاية لأنفسهم وهم من أول يوم عُرفوا فيه كانوا ضد القرآن وأهله .

ومن المخالفات الشرعية : ترشيح النساء - حتى لو كُنَّ متحجبات -

(١) أخرجه شيخنا في « السلسلة الصحيحة » .

للأسف لما في ذلك من فتنة وفساد وإخراج للمرأة من بيتها وعرضها نفسها على الناس ، مما يفقدها الحياء ويعرضها للفتن ، وهذه المفاسد وغيرها تجاهلها الحزبيون - الذين يركبون كل موجة ويضربون على كل دف - ولو خالف شرع الله إذا كان يخدم حزبيتهم المقيتة ويحقق أهدافهم .

أما الإسراف والتبذير ، وإنفاق الأموال ، والكرم الحاتمي ، وصنع اللوائم - دعاية انتخابية - ورفع الصور العظيمة الضخمة فوق أعمدة الكهرباء فحدث ولا حرج !! وكل هذه أساليب لا يقرها الإسلام إذ إن ما أزهق من أموال على المرشحين أنفسهم يكفي فقراء البلد عشرات السنين ، ويُزوج آلاف الشباب المعسرین ، ويبنى عشرات المساجد ، وأما الأقمشة المستعملة في الدعاية ، فإنها تكفي لتكفين آلاف الموتى من المسلمين ، وكل ذلك إسراف وتبذير ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ .

هذا كله طاف خاطري ، وجال في نفسي ، وأنا أتدبر شيئاً من معاني قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى ﴾ ! مقارنة بشيء من واقع الأمة . فأين حقيقة التدبر القرآني؟! وأين حقيقة التصور الإيماني.؟!!

هذا كله - في حقيقته - يناقض تمام المناقضة النهي الوارد في هذه الآية ، ويقذف بالمخلصين لها بعيداً عن حكم الشرع المبين . والله يهدينا جميعاً سواء السبيل .

## ﴿ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾

قال الله تعالى : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، هذه الآية جمعت صفات ومواصفات أهل الثبات على الحق ؛ الذين لا هم لهم إلا مرضاة ربهم ، فلا تحركهم العبارة ولا الإشارة إلا إذا صدرت عن شرع الله ووحيه .

وإن كانت هذه الآية - كما ذكر المفسرون - تحكي بطولات بعض السلف كأنس بن النضر وغيره في غزوة أحد أو غيرها ، ووفاءهم بعهدهم مع الله ، غير أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب - كما هو مقرر عند العلماء - ، ومن هاهنا ؛ فإن هذه الآية عامة لكل المخلصين الصادقين الذين يشبتون على الحق رغم التحديات ، ورغم المغريات ، ولسان حالهم يقول : « إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي » .

فالمؤمن الصادق لا هم له في هذه الحياة الدنيا إلا أن يعمل لمرضاة الله ، ويتجنب مساخطه ، يعمل بسنة رسول الله ﷺ ، ويتجنب البدعة وما يقرب إليها ، يوفي بعهدته مع الله بالالتزام بالكتاب والسنة وعلى منهج سلف الأمة ، عقيدة ، وشريعة ، وعلماً ، وعملاً ، وسلوكاً .

وتأمل أيها القارئ الكريم مؤهلات أهل الاستقامة والثبات على الحق ،

فهم :

١ - مؤمنون : أي صادقون في إيمانهم ، ليسوا مذبذبين ؛ كما قال الله

تعالى في وصف المنافقين : ﴿ مُذَبَذَبَيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾ [النساء: ١٤٣] ، لا يعرف لهم وجه ، ولا حال ؛ كالشاة العائرة ؛ تعير تارة إلى هذا القطيع ، وتارة إلى ذاك ؛ فالمؤمن الحق لا يعرف التلون ، ولا التبديل ، وتغيير المواقف حسب المصلحة - تارة - ، وحسب الكفة الراجحة - تارة أخرى - ، في زمن اختلط فيه الحق بالباطل ، واتبع الناس فيه كل ناعق ، فالحق أبلج والباطل لجلج ، والأمر يحتاج إلى توفيق الله وعنايته وتسديده ، وهذا لا ينال بالأمني . ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ .

٢ - رجال : أي أهل عزيمة وقوامة ، فهم عند كلماتهم ، ومواقفهم ؛ فالرجال هم الذين يثبتون على مواقفهم - التي ينصرون بها الحق - ثبوتاً أشبه ما يكون بثبوت الجبال الرواسي ، ولقد أثنى الله على الرجولة في كتابه وسنة رسوله <sup>(١)</sup> .

٣ - صدقوا وأوفوا بعهدهم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ ، وقد عاهدوا ربهم سبحانه على الثبات حتى ينالوا النصر والشهادة ، وهكذا أهل العلم يثبتون في ميدان العلم ، والدعوة ؛ فلا يتنازلون عن عقيدتهم وإيمانهم ، ومواقفهم الجهادية ، مهما طال عليهم الأمد وكثر الخصوم ، وقل الأنصار .

ومن علامات سوء الخاتمة - عياداً بالله - أن يظل الرجل على الحق سنين عدداً ثم يتكس في نهايات عمره ، وأواخر أجله ، ولو صبر وكتب له

(١) يُنظر مقالتي « الرجولة في الكتاب والسنة » في هذا الكتاب .

التوفيق لواصل المشوار على درب أسلافه ، ولم ينقطع قبل بلوغ الأجل ،  
وقبيل قطف الثمر .

٤ - أنهم أهل صبر وثبات ؛ فالواحد منهم لم يقض نجه بعد ، أي : لم  
يلق الله شهيداً ؛ شهيد ميدان العلم ، أو الأرض ؛ فهو ثابت على وعده ،  
ثابت على الوفاء بنذره دون أدنى تبديل ، أو تغيير مهما عصفت به رياح  
الفتن ، فكيف يتهم من ثبت على ثوابت السلف ولم يبدل تبديل نوابت  
الخلف بالفرار<sup>(١)</sup> ؟ ويتهم بأنه على غير الحق ، ولم يتزحزح يوماً عن الحق  
الذي قرره الله في كتابه وعلى لسان نبيه ، ودرج عليه السلف وعلمائهم  
وأئمتهم قديماً وحديثاً ؛ رغم الإغراءات (المادية) و(المصالح) الدنيوية !!  
نعم ؛ نحن مع السلف - الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه - عقيدةً ،  
ومنهجاً ، إيماناً ، وعلماً ، وعملاً .

نحن مع بقية السلف في هذا الزمان : ابن باز ، والألباني ، وابن  
العثيمين ، ومقبل الوادعي رحمهم الله ؛ الذين قضوا نجهم على التوحيد ،  
والإيمان ، والمنهج ؛ لم يغيروا ، أو يبدلوا ، أو يتلونوا ، نحن معهم ؛ لأنهم  
أئمة الهدى في هذا الزمان ، ولن نبدل أو نتبدل - إن شاء الله - ، ولو سخط  
علينا من بأقطارها ، ولن نرضي أحداً في سخط الله أبداً ، والعاقبة للمتقين .

---

(١) وهي كلمة مؤلة جارحة قدمها أحد الشيوخ الذين كانوا مقدمين عندنا ، وكنا نجلهم قبل أن يبدلوا  
تبدليلاً ؛ حيث كتب في إهدائه الكتاب (المنسوب) - إلى ولده - الذي ينضح حقداً وكراهيةً وغمراً  
ولمراً ، وطعنناً وجهلاً: «إلى ولدنا البار الفار ، أهدي كتاب ولدي. لعلك ترجع إلى الحق» .  
فالله يهدينا وإياه ويرجعه إلى الحق.

## عوامل فلاح الإنسان

## تفسير سورة «العصر»

قال الله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .

« إن سورة العصر سورة عظيمة معجزة وجيزة في ألفاظها غزيرة في معانيها ، جامعة لأسباب السعادة بحذافيرها ومحذرة عن أسباب الشقاوة جميعها ، ولو أراد أبلغ الناس وأفصحهم أن يبين أسباب السعادة و أسباب الشقاوة لاحتاج إلى مجلدات وقد لا يصل إلى المطلوب ، لكنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بسورة من مثله » <sup>(١)</sup> .

وإن هذه السورة قليلة المباني كثيرة المعاني ، جمعت خيري الدنيا والآخرة من عمل بها فاز ونجح ، ومن ترك العمل بها خاب وخسر . قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : « لو ما أنزل الله إلا هذه السورة حجة على خلقه لكفتهم » . وهي مقسومة بين العبد وربّه فنصفها الأول : الإيمان والعمل الصالح ، وهذا لله من عبده ، ونصفها الثاني : التواصي بالحق والصبر عليه ، وهذا بين العبد وإخوانه ، وقد افتتح الله هذه السورة بالقسم وهذا دليل على أهميته وعظم الأمر المقسم عليه ، والله هو أصدق القائلين أقسم أو لم يقسم . ولكن الله يقسم متى شاء ، وكيف شاء وبما شاء . فقد

(١) «الخطب المنبرية في المناسبات العصرية» للشيخ صالح الفوزان .

أقسم « بالضحى » ، و « الطور » ، و « النجم » ، و « العاديات » وغير ذلك كثير .

### • هل يجوز للمخلوق أن يقسم بغير الله ١٥

بالطبع لا ؛ لعموم الأدلة من الكتاب والسنة التي تحذر وتنهاى عن القسم بغير الله فقد جاء في السنة المطهرة أن النبي ﷺ قال : « من حلف بغير الله فقد أشرك »<sup>(١)</sup> كما في « صحيح الجامع » (٦٢٠٤) . وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « لئن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً ، لأن من حلف بغير الله فقد أشرك » .

### • ما المقصود بالعصر ؟

ذهب أكثر المفسرين إلى أنه الدهر ، وقيل : إنه أقسم به لأن فيه عبرة للناظر ، ولأن فيه يصرف الله الأمور ويقدر فيه المقادير ويعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته ، فهو زمن تحصيل الأرباح والأعمال الصالحة للمؤمنين وزمن الشقاء للعاصين والمعرضين عن الله .

وذهب آخرون : إلى أنه وقت صلاة العصر ، وذهب بعضهم إلى أن معناه : ورب العصر ، وقيل : إنه آخر ساعة من ساعات النهار ، وغير ذلك من أقوال ، وأولها بالصواب : القول الأول ، لأن الدهر هو رأس مال الإنسان ، فالساعة التي تنقضي من عمر الإنسان لا ترجع أبداً ، والإنسان

---

(١) أخرجه : الطيالسي (١٨٩٦) ، والترمذي في « الجامع » (٥٣٣٥) ، والحاكم في « المستدرک » (١/١٨) ، وأحمد في « المسند » (٣٤/٢ و ٨٦ و ١٢٥) ، وأبو داود رقم (٣٢٥١) ، والبيهقي (٢٩/١٠) ، والطحاوي في « مشكل الآثار » (٣٥٩/١) . والحديث صححه الحاكم على شرطهما . وأقره الذهبي في « التلخيص » وحسنه الترمذي .

يتمنى الرجوع إلى الدنيا ولكن هيهات... ﴿ قَالَ رَبِّ آرْجِعُونِي ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩٩-١٠٠] .

قال المسيح عليه السلام : إن الليل والنهار خزانتان فانظروا ماذا تضعون فيهما .

وعن الحسن البصري قال : اليوم ضيفك ، والضيف مرتحل يحمذك أو يذمك . فالمغبون من ضيع عمره من غير نفع ولا عمل صالح . قال ﷺ : « كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » .

وظائف المسلم : تعلم القرآن والعلم النافع ، زيارة المسجد الحرام والمسجد النبوي وأداء العمرة ، صلة الأرحام ، تعلم المهن الشريفة ، الأسفار المباحة واللهو المباح ، الحذر من الفضائيات والإنترنت وأخذ النافع منها .

#### • ما المقصود " بالإنسان " ؟

قيل : أراد به الكافر ، بدليل أنه استثنى المؤمنين ، وقيل : إنه أبو جهل ، وقيل : إنه اسم جنس ، أي جنس الإنسان ، وهذا الأولى بالصواب ، فالناس كلهم في خسران إلا من جمع أربع خصال : أولها : الإيمان ، ثانيها : العمل الصالح ، ثالثها : التواصي بالحق بالدعوة إليه ، رابعها : التواصي بالصبر والثبات عليه . وهذه الخصال الأربع اجتمعت في هذه السورة المباركة .

#### • ما هو الإيمان ؟

الإيمان في اللغة هو التصديق الجازم ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ

لَنَا ﴿ . [يوسف: ١٧] .

وعند أهل السنة والجماعة هو إقرار باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالأركان .

\* إقرار باللسان : معناه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله المتضمنة لمعاني التوحيد الثلاثة وهي :

- توحيد الربوبية : ومعناه توحيد الله بأفعاله كالخلق ، والرزق والإحياء والإماتة، وهذا التوحيد أقرب به المشركون لقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف : ٨٧] .

- توحيد الألوهية : ومعناه توحيد الله بأفعال العباد (إفراد الله بالعبادة)؛ كالذبح والنذر والدعاء ، والاستعانة والإنابة ، وأدلة هذه العبادات جاءت في الكتاب والسنة باستفاضة .

- توحيد الأسماء والصفات : ومعناه إثبات ما أثبتته الله لنفسه وما أثبتته الرسول ﷺ لربه من صفات الكمال على وجه التنزيه عن مشابهة الخلق (أي أن الله تعالى منزّه عن أن يشبه خلقه) ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

\* تصديق بالجنان : أي تصديق بالقلب .

\* عمل بالأركان : أي عمل بالجوارح . فالأعمال جزء لا يتجزأ من الإيمان ، والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، والإيمان والعمل الصالح قُرنا جميعاً في كتاب الله ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ

زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴿ [ الأنفال : ٢ ] .

وإن العمل لا يكون صالحاً إلا إذا كان حسناً ولا يكون حسناً إلا إذا توفر فيه شرطان :

الأول : أن يكون خالصاً لوجه الله . الثاني : أن يكون موافقاً لهدي رسول الله ﷺ . وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [ الكهف : ١١٠ ] . فيلزم من ذلك الحرص على الاتباع والحذر من الابتداع ، والاتباع يكون بالعمل بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة من الاعتقاد والعمل الصالح واتباع خير القرون الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية حيث قال : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » <sup>(١)</sup> ، وقوله : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور » <sup>(٢)</sup> ... إلخ .

أما الابتداع فهو التقرب إلى الله تعالى بأعمال لم تأت في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ولم يفعلها الصحابة شأن كثير من البدع التي أحدثها الناس في هذه الأزمان . ولذلك قال عليه السلام : « كل بدعة ضلالة ، وكل

---

(١) أخرجه البخاري في « الصحيح » (٣٦٥٠) ، ومسلم في « الصحيح » (٢٥٣٣) (٢١٠) ، وأحمد في « المسند » (١٢٦/٤-١٢٧) ، وأبو داود في « السنن » رقم (٦٤٠٧) ، والترمذي في « الجامع » (٢٦٧٦) ، وابن ماجه في « السنن » رقم (٤٢) و (٤٣) و (٤٤) ، والدارمي في « السنن » (٤٤/١) .  
والحديث صحيح . انظر تخريجاً موسعاً في « الإرواء » (١٠٧/٨) ، وتعليق أخينا الشيخ مشهور حسن على « الباعث على إنكار البدع والحوادث » (٦٠-٦١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وابن ماجه (٤٣) ، (٤٤) ، وصححه شيخنا الألباني .

ضلالة في النار»<sup>(١)</sup>، وقال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(٢)</sup>.

### • وتواصوا بالحق :

الحق ضد الباطل ، فكل ما كان من عند الله فهو حق وكل ما خالف  
شرع الله فهو باطل قال تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾  
[الإسراء:٨] ، فالمقصود هو الدعوة إلى الله وتبليغ شرعه والأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر ، وهي وظيفة هذه الأمة دون الأمم .

قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠] ، وقد كانت مسئولية  
الدعوة في الأمم السابقة منوطة بالأنبياء فلما بعث الله نبيه محمداً ﷺ وهو  
خاتم الأنبياء كان لا بد من استمرار الدعوة بعده لأنه لا نبي بعده يحمل  
مسئولية الدعوة لأمته عامة ، فكان واجب الدعوة على العلماء والأمرء على  
وجه الخصوص لقوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ  
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران:١٠٤] ، وقوله : ﴿ فَلَوْلَا  
نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيَتَفَقَّهُوْا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا  
رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٢] ، والتواصي : هو المشاركة

(١) أخرجه مسلم في « الصحيح » رقم (٨٦٧) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣/٢١٤) ،  
والدارمي في « السنن » (١/٦٩) ، وابن ماجه في « السنن » رقم (٤٥) ، وأحمد في « المسند » (٣)  
٣١٩/ و٣٧١ .

(٢) البخاري في « الصحيح » رقم (٢٦٩٧) ، ومسلم في « الصحيح » رقم (١٧١٨) .

الجماعية وليس من طرف واحد ؛ فالأب يوصي الأبناء ، والأم توصي أبناءها ، والأستاذ يوصي التلاميذ ، والحاكم يوصي الرعية ، والمرأة توصي النساء ، والعالم يوصي العامة ، وهكذا كلهم يوصي بعضهم بعضاً بالإيمان والعمل الصالح ، وكل يدعو إلى الحق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حسب قدرته وطاقته .

### • وتواصوا بالصبر :

لما كان سبيل الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعمرَ المسلك ومحفوفاً بالأذى وليس محفوفاً بالورود والرياحين لذا كان من واجب السائرين في سبيل الدعوة إلى الله الصبر عليها أسوة بالأنبياء والدعاة في سائر الأزمنة والأمكنة . قال علي بن أبي طالب : الصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ، وقال الإمام أحمد: وجدنا خير أمورنا بالصبر .

وقد تعرض الأنبياء لسنوف من العذاب والتنكيل والتشريد بدءاً بنوح عليه السلام وختاماً بمحمد ﷺ الذي عزّاه بقوله : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ، فضربوا لنا المثل الأعلى في صبرهم وثباتهم على الحق وتحمل الصعاب في سبيل الله وابتغاء مرضاته ، ولكي تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، وقد بين الله سبحانه جزاء الصابرين فقال : ﴿ إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] وقد تحمل أصحاب رسول الله سنوف العذاب في سبيل نشر الدعوة الإسلامية كخباب وبلال وأبي ذر وياسر وسمية وغيرهم، وتاريخ

السلف حافل بالتضحيات والصبر عليها فلولا صبرهم وجهادهم ما قام دين  
الله في الأرض ، فما نحن إلا حسنة من حسنات جهادهم ، فعلى دعاة  
الإسلام اليوم أن يجعلوا شعارهم الصبر والثبات ؛ فإن نصر الله قريب ،  
والعاقبة للمتقين . والحمد لله رب العالمين .

# الباب الثاني

## فضائل وأحكام

رَفَعُ

عبد الرحمن العجمي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

## أحكام الزكاة في الكتاب والسنة

### ❁ منزلة الزكاة :

الزكاة ركن من أركان الإسلام أوجبها الله على الأغنياء من المسلمين  
رعاية لشئون إخوانهم من فقراء المسلمين :

### ❁ فوائد إخراج الزكاة :

١ - تثبيت أواصر المودة بين الأغنياء والفقراء لأن النفوس جبلت على  
حب من أحسن إليها .

٢ - تطهير النفس وتزكيتها من البخل والشح ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ  
يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ  
صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

٣ - تعويد المسلم الجود والبذل والكرم والعطف على الفقراء  
والمساكين والشعور بهم .

٤ - جعلها الله سبباً للبركة والخلف على المنفق كما في قوله تعالى :  
﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ [سبا : ٣٩] .

وقول النبي ﷺ : « ما من يوم يطلع إلا ينزل فيه من السماء ملكان ، يقول  
الأول : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الثاني : اللهم أعط ممسكاً تلفاً » [متفق عليه] .

### ❁ وعيد من قصر أو امتنع عن إخراج الزكاة :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ  
فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ  
فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة : ٣٤-٣٥] .

وقال ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان  
يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها  
جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت ، حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما  
إلى الجنة وإما إلى النار » [ أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي ] .

ومثل ذلك ورد في صاحب الإبل والبقر والغنم الذي لم يؤد زكاتها فإنه  
يعذب بها يوم القيامة تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها وخفافها ، نسأل الله  
العافية . وأما وعيد من لم يترك ماله مطلقاً نقداً كان أو عيناً ذهباً أو فضة أو  
سائمة فقد ورد فيه وعيد أفظع وأشنع .

قال ﷺ : « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً  
أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شذقيه - ثم يقول : أنا  
مالك أنا كنزك » ، ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ  
بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا

بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [ آل عمران : ١٨٠ ] ( أخرجه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة  
رضي الله عنه ) . وقوله : شجاعاً أقرع : أي ثعباناً عظيماً قد تساقط شعر رأسه  
من شدة السم الذي فيه نسأل الله السلامة والعافية .

❖ من تصرف لهم الزكاة :

يجب على المسلم أن يخرج زكاة ماله الحلال امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ  
لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ  
وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].  
والمستحقون للزكاة ثمانية بيتهم الآية ، ومعرفة كل واحد من هؤلاء لا  
يتسع له هذا المختصر فاطلبه في كتب الفقه والتفسير .

❖ المال الذي تجب فيه الزكاة :

- ١- الذهب والفضة. الدليل ﴿ وَالذَّيْنِ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ  
وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة : ٣٤] .
- ٢- الزروع والثمار : الدليل : ﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا  
حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [الأنعام : ١٤١] .
- ٣- الكسب الحلال من تجارة ونحوها : الدليل : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .
- ٤- الخارج من الأرض من معدن وغيره والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا  
أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .
- ٥- كل ما يصح أن يسمى مالاً ينتفع به سواء أكان إبلاً أم بقرأ أم غنماً  
أم نخلاً أم ذهباً أم فضةً أم نقداً ، فكل ذلك وغيره داخل في مسمى كلمة

« مال » ؛ قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾  
[ التوبة : ١٠٣ ] ، وقوله : ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [ الذاريات :  
١٩ ] ، وإليك أخي المسلم نصاب كل نوع من هذا الأموال ومقدار الزكاة  
الواجبة في كل نوع منها .

### ❁ زكاة الذهب والفضة :

اعلم أخي المسلم أن نصاب الذهب عشرون مثقالاً وهو يعادل (٨٥)  
غراماً ، فإذا ملك الرجل أو المرأة هذا المقدار من الذهب وحال عليه الحول  
ففيه ربع العشر أي نسبة (٢٥) بالمائة منه .  
أما نصاب الفضة فهي مائتا درهم وهي تعادل (٥٩٥) غراماً ، فمن  
ملك نصاب الفضة وحال الحول ففيه ربع العشر (٢٥) بالمائة منه .

### ❁ زكاة النقد :

إذا بلغ النقد في حوزتك ما يعادل قيمة (٨٥) غراماً فما فوق من  
الذهب وحال عليه الحول ففيه ربع العشر ، أي في كل مائة دينار دينارين  
ونصف الدينار ، وفي كل ألف دينار خمسة وعشرون ديناراً ، فإذا كان غرام  
الذهب الواحد سعره خمسة دنانير فيكون النصاب (٨٥ × ٥ = ٤٢٥ ديناراً) ،  
فإذا حال عليها الحول ففي كل مائة دينار دينارين ونصف كما تقدم .

### ❁ زكاة عروض التجارة :

اعلم أخي المسلم أن للعلماء في عروض التجارة قولين :  
الأول : وهو قول الأكثر : أنه يجب الزكاة في كل ما أعهده الإنسان للبيع

والاتجار به من حيوان وعقار وأثاث ومتاع وأوانٍ وغير ذلك ، وكل شيء عندك للتجارة فهو عروض تجارة ، إذا حال عليه الحول قوم ثم أخرج ربع عشر قيمته من عروض التجارة .

والثاني : وهو قول عطاء وداود وابن حزم والشوكاني وصديق حسن خان ، ومن المعاصرين شيخنا العلامة الألباني رحمه الله : وقال : إن القول بوجوب الزكاة على عروض التجارة مما لا دليل عليه في الكتاب والسنة الصحيحة ، ونقل عن عطاء أحد أئمة التابعين قوله فيما أخرجه عبد الرزاق (٤/ ٨٤ / ٧٠٦١) ، وابن أبي شيبة (٣/ ١٤٤) بسند صحيح جداً : « لا صدقة في لؤلؤ ، ولا زبرجد ، ولا ياقوت ، ولا فصوص ، ولا عرض ، ولا شيء لا يدار (أي لا يتاجر به) ، وإن كان شيئاً من ذلك يدار ففيه الصدقة في ثمنه حين يباع » .

قلت : وإن كان وقع الخلاف في عروض التجارة لضعف الحديث في ذلك فلا خلاف في المال الناتج عنها من أرباحها أنه يجب فيه الزكاة إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول فزكاته زكاة نصاب الذهب والفضة كما تقدم .

**تنبيه (١) :** « أما العقارات التي أعدها الإنسان له ولا يريد بيعها وإنما يريد أن يسكنها أو يؤجرها فهذه ليس فيها زكاة ، ولا زكاة فيما أعده الإنسان لبيته من الأواني والفرش ونحوها ، ولا فيما أعده الفلاح لحاجة الفلاحة من المكائن وآلات الحرث ونحوها ، وخلاصة ذلك أن كل شيء تعده لحاجتك أو للاستغلال سوى الذهب والفضة فلا زكاة فيه » <sup>(١)</sup> .

---

(١) « الضياء اللامع » (ص ١٦٠) لشيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله .

## ❁ زكاة الحبوب والثمار :

فنصاب الحبوب والثمار خمسة أوسق ، والوسق ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ ، فيكون مقدار النصاب بصاع النبي ﷺ من الحبوب ، والشعير والأرز ، والذرة ، والتمر ، والزبيب ، ثلثمائة صاع ؛ وهو أربع حفنات بيدي الرجل المعتدل الكفين إذا كانت يده مملوءتين ، ويجب عُشر الناتج إذا كان الزرع أو البستان يُسقى بلا كلفة بل بالأمطار والأنهار والعيون الجارية وغير ذلك .

أما إذا كان يُسقى بمؤونة وكلفة ويحتاج إلى عمالة ومكائن رافعة للماء ونحو ذلك فالواجب فيها نصف العشر ، كما صرحت بذلك السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ .

وأما نصاب السائمة من الإبل والبقر والغنم فيحتاج إلى تفصيل لا يتسع هذا المختصر له ، فيسأل عنه أهل العلم أو يرجع إلى كتب الفقه ولجان الزكاة .

**تنبيه (٢) :** واختلف العلماء رحمهم الله في حلي المرأة من الذهب المعد

للزينة أو للعارية هل تجب فيه الزكاة أو لا ؟ وقد قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ

تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [ النساء : ٥٩ ] .

وقد سئل سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله السؤال

التالي في شأن زكاة حلي النساء :

« س : هل تجب الزكاة في الذهب الذي تستعمله المرأة أو تعيره وإذا

وجبت فكيف تزكي ؟ فأجاب رحمه الله : تجب الزكاة في حلي المرأة التي

تتزين به أو تعيره ذهباً كان أم فضة لدخول ذلك في عموم أدلة الكتاب

والسنة التي دلت على وجوب الزكاة في الذهب والفضة مثل قوله تعالى :  
﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة : ٣٤ - ٣٥] .

وما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من صاحب ذهب أو فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له من نار فأحى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجهته وظهره كلما بردت أعيدت عليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » [رواه مسلم] ، ولما ثبت من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لها : « أتعطين زكاة هذا؟ قالت : لا ، قال : أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟ قال : فخلعتهما وألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت : هما لله عز وجل ولرسوله » .  
وينحو ذلك أفتى الشيخ ابن جبرين وغيره حفظهم الله . [فتاوى إسلامية (٢/٥١)] .

**تنبيه (٢) :** أموال اليتامى والمجانين تجب فيها الزكاة عند جماهير العلماء إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول فيجب على أوليائهم وأوصيائهم إخراجها بالنية عنهم عند تمام الحول لعموم قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم » [أخرجه مسلم وغيره] .

## مع النبي ﷺ في شهر رمضان

إننا نستقبل ضيفاً عزيزاً لا يفد إلا مرة في العام ، يزورنا غباً فنكون له أشد حُباً ، ضيفٌ تخفق بحبه القلوب ، وتشرئب إليه الأعناق ، وتتطلع الأعين لرؤية هلاله ، وتتعبد النفوس المؤمنة ربها بذلك .

وهذا الضيف الكريم المبارك يعرفه المؤمنون حقاً لأنهم هم أنفسهم الذين يؤدونه حقه ويقدرونه قدره فيكرمون وفادته صدقاً وعدلاً .

إن الله رفع قدر هذا الضيف في القرآن، وعلى لسان النبي العدنان ﷺ ، فجعل الخير كله فيه ؛ في أوله ووسطه وآخره ؛ قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

لا شك أنك عرفت أخي القارئ من هو هذا الضيف !

ثرى ما هي خصائصه وما هي فضائله؟! حتى تستعد لاستقباله وتشمر عن ساعد الجدل لاهتباله ، لتنال ما أودع الله فيه من خير وبركات ورحمات : هذا الشهر أنزل الله القرآن فيه ، ولو لم يكن فيه إلا هذا الفضل لكفى ، فكيف وفيه ما الله أعلم به من مغفرة الذنوب ، ورفع درجات المؤمنين ، ومضاعفة الحسنات ، وإقالة العثرات ، يُعتق الله في كل ليلة من لياليه عتقاء من النار .

وهو شهر تفتح فيه أبواب الجنان ، وتغلق فيه أبواب النيران ، وتُصَفد فيه الشياطين ، ينزل فيه ملكان يقول الأول : يا باغي الخير أقبل ، ويقول

الثاني : يا باغي الشر أقصر ، فيه ليلة من حُرْمها حُرْم خيراً كثيراً ؛ ليلة يُفترق فيها كل أمر حكيم .

إنها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر .

وإنّ الوقوف على هديه ﷺ في كل طاعة أمر في غاية الأهمية ، خصوصاً هديه في شهر رمضان ، لأن العمل الصالح لا يرفع للعبد إلا إذا أخلص فيه لله وجرد المتابعة لرسول الله ﷺ ؛ فالإخلاص والمتابعة هما ركنا قبول العمل الصالح ، وهما كجناحي الطائر ، فهيهات أن يُحلق الطائر بجناح واحد !!

وفي هذه السطور نقف وإياك أخي القارئ على أحواله ﷺ في رمضان ، باختصار واعتصار ، لتكون على بينة من هديه صلوات الله وسلامه عليه ، فمن لم يكن مع الرسول ﷺ في هديه في الدنيا لم يكن معه في دار الكرامة في الآخرة ، إذ الفلاح كل الفلاح في اتباع رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً ، ولا ينال ذلك إلا بالعلم النافع ، ولا يُوجد علمٌ نافع إلا بعمل صالح ، فثمرة العلم النافع العمل الصالح .

فيا عبد الله إليك بعض أحواله <sup>(١)</sup> ﷺ وهديه في رمضان لتتأسى به فتنال محبته وتحشر معه :

- كان ﷺ لا يصوم حتى يرى الهلال رؤية محفقة أو بإخبار العدل أو بإكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً .
- وكان ﷺ يكتفي بشهادة الواحد ، وفي هذا حُجة على قبول خبر

(١) كل ما في هذا المقال أحاديث صحاح ، معظمها في « الصحيحين » أو أحدهما .

الواحد . وثبت أن الأمة صامت برؤية أعرابي جاء من البادية فأخبر النبي ﷺ أنه رأى الهلال فأمر ﷺ بلالاً أن يؤذن بالصيام .

• وكان ﷺ ينهى أمته أن تتقدم رمضان بصوم يوم أو يومين احتياطاً وتعمقاً إلا أن تكون عادة لأحدهم ؛ لذلك نهى عن صيام يوم الشك .

• وكان ﷺ يبيت النية من الليل قبل الفجر ، وأمر أمته بذلك .

• وكان ﷺ لا يُمسك عن الأكل والشرب والمفطرات حتى يرى

الفجر الصادق رؤية محققة عملاً بقول الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا

حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾

[ البقرة : ١٨٧ ] .

وبين ﷺ لأمته أن الفجر فجران صادق وكاذب ، فالكاذب لا يحرم

طعاماً ولا شراباً ولا جماعاً ، ولم يكن ﷺ يُشدد على أمته في رمضان ، ولا في غيره ، فلم يشرع لهم ما يسمى - بغير حق - أذان الإمساك .

• وكان ﷺ يُعجل الفطور ويؤخر السحور ، ويأمر أمته بذلك قائلاً :

« لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطور » .

• وكان بين سحوره ﷺ وقيامه لصلاة الفجر قدر قراءة خمسين آية .

وأما أخلاقه ﷺ فحدث عن حُسنها ورفعتها ولا حرج ؛ فقد كان ﷺ

أحسن الناس أخلاقاً ، كيف لا وقد كان خلقه القرآن . كما وصفته أم المؤمنين عائشة .

وقد أمر ﷺ أمته بحسن الخلق خصوصاً الصائمين فقال : « من لم يدع

قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

- وكان يتعاهد أهله ويحسن عشرتهم في رمضان أكثر من غيره .
- وكان لا يمنعه الصيام من تقبيل أهله ومباشرتها وكان أملك الناس لإربه .
- ولم يكن يدع السواك في رمضان وغير رمضان ؛ يطهر فاه ويُرضي ربه .
- وكان ﷺ قد احتجم وهو صائم ، ورخص بالحجامة للصائم ؛ وخلاف ذلك منسوخ .
- وكان ﷺ يُجاهد في رمضان ، ويأمر أصحابه بالفطر ليقووا على ملاقة عدوهم .
- ومن رحمته ﷺ أن رخص للمسافر بالفطر ، وللمريض ، والشيخ الفاني ، والمرأة العجوز ، والمرأة الحامل أو المرضع ، فيقضي المسافر ، ويُطعم الشيخ الفاني والحامل أو المرضع .
- وكان يجتهد في العبادة والقيام في رمضان ما لا يجتهد في غيره ، خصوصاً في العشر الأواخر يلتمس ليلة القدر .
- وكان يعتكف في رمضان وخصوصاً في العشر الأواخر ، واعتكف في العام الذي توفي فيه عشرين يوماً ، وكان لا يعتكف إلا صائماً .
- وأمّا مدارسته للقرآن : فلم يكن أحد يجتهد اجتهاده ، وكان جبريل يلقاه فيدارسه القرآن في رمضان ؛ لأنه شهر القرآن .
- أما جوده وكرمه في رمضان فلا يوصف ؛ فقد كان ﷺ كالريح المرسلة بالخير لا ينحشى من ذي العرش إقللاً .

• وكان ﷺ أعظم المجاهدين لم يمنعه الصيام من المشاركة في الغزوات ، فقد غزا ست غزوات في تسع سنوات ؛ كلها في شهر رمضان ، وقام بأعمال جسام في رمضان ، حيث هدم مسجد الضرار ، وهدم أشهر أصنام العرب ، واستقبل الوفود ، وتزوج بحفصة أم المؤمنين ، وفتح مكة في رمضان .

والخلاصة : أن شهر رمضان شهر اجتهاد وجهاد وتضحية في حياة الرسول ﷺ لا كما يفهم (ويفعل) كثير من مسلمي زماننا أنه شهر دعة وكسل وخمول وبطالة !!  
فألهم وفقنا لاقتفاء أثر نبيك ﷺ ، وأحينا على سنته ، وأمتنا على شريعته . والله الموفق .

## حكمة الصيام

قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [ البقرة : ١٨٣ ] .

ويقول تعالى مخاطباً للمؤمنين من هذه الأمة وأمرأ لهم بالصيام<sup>(١)</sup> - وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع ، بنية خالصة لله عز وجل وفي وقت مخصوص - لما فيه زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة ، وذكر سبحانه أنه كما أوجب عليهم فقد أوجب على من كان قبلهم ، فلهم فيه أسوة ، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك ؛ كما قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُم شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾<sup>(٢)</sup> [ المائدة : ٤٨ ] .

قال الشيخ السعدي - رحمه الله - : « يخبر الله تعالى بما من الله به على عباده ، بأنه فرض عليهم الصيام كما فرضه على الأمم السابقة ؛ لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان . وفيه تنشيط لهذه الأمة ، بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل

(١) والصيام في اللغة : هو الإمساك ، يقول ( صامت الخيل ) : إذا أمسكت عن العلف والسير، ومنه قول الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة      تحت العجاج وأخرى تعلق اللجما

ومنه يقال : (صام النهار) : إذا ارتفعت الشمس وصارت في إبطاء السير كالواقفة وذلك في وقت الهاجرة .

(٢) « تفسير القرآن العظيم » (١/٦٤١) .

الأعمال ، والمصارعة إلى صالح الخصال ، وأنه ليس من الأمور الثقيلة التي  
اختصصتم بها» (١) .

والحكمة الأساس التي من أجلها شرع الصيام هي قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ ﴾ فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى ، للأمور التالية :

١ - لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه مما اشتمل عليه من التقوى :  
لأن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل ، والشرب ، والجماع ونحوها ،  
التي تميل إليها نفسه ، متقرباً بذلك إلى الله ، راجياً بتركها ثوابه ، فهذا من  
التقوى .

٢ - ومنها : أن الصائم يدرّب نفسه على مراقبة الله تعالى فيترك ما  
تهوى نفسه مع قدرته عليه ، لعلمه باطلاع الله عليه .

٣ - ومنها : أن الصيام يضيق مجاري الشيطان ، فإنه يجري من ابن آدم  
مجرى الدم (٢) ، فبالصيام يضعف نفوذه ، وتقل منه المعاصي .

٤ - ومنها : أن الصائم في الغالب تكثر طاعته ، والطاعات من خصال  
التقوى .

٥ - ومنها : أن الغني إذا ذاق ألم الجوع ، أوجب له ذلك مواساة  
الفقراء المعدمين وهذا من خصال التقوى (٣) .

فالصيام يقوي ملكة التقوى في المؤمن ، وفي الصيام فوائد دينية

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (ص ٦٨) .

(٢) قال ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له  
وجاء » . أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - .

(٣) « تيسير الكريم الرحمن » (٦٨) .

واجتماعية عظيمة أشار إليها ربنا بقوله : ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ومنها على ما ذكره العلماء .

- ١ - يُعوّد الصائم الخشية من الله تعالى في السر والعلن .
  - ٢ - يكسر حدة الشهوة ، ولذا أرشد العازب إلى الصوم .
  - ٣ - يربي الشفقة والرحمة في النفس .
  - ٤ - فيه المساواة بين الأغنياء والفقراء والأشراف والأوضاع .
  - ٥ - صحة للبدن والروح : أما البدن فيطهر من الفضلات والسموم وأما الروح فبتزكيتها وتهذيبها<sup>(١)</sup> .
- فهل تعي أمتنا الصيام وحكمته وأركانه وواجباته وآدابه ؛ كي تسعد في الدنيا والآخرة ، وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) « أيسر التفاسير » (١ / ١٦١) بتصرف .

## المقالة الحادية عشرة :

### ما لا بد منه بين يدي الحج

أخي المسلم الكريم :

ها أنت قد عزمت على شد الرحال إلى بيت الله الحرام ملياً نداء أبيك إبراهيم الخليل عليه السلام ، آخذاً نسكك عن نبيك محمد ﷺ ، لتؤدي فريضتك ، وتقيم شعيرتك ، وتُعظم بيت الله ، وتظهر الذل والعبودية لله تحقيقاً لقول الله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، وقول رسول الله ﷺ : « أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فحجوا »<sup>(١)</sup> .

فعليك أخي الحاج أن تجرد الهمة لهذه المهمة التي كتبها الله عليك وجعلها إحدى مباني الإسلام ، لترجع بحج مبرور وتجزى بالجنة ، فتغسل حوبتك ، وتعلن توبتك وترجع من ذنوبك كيوم ولدتك أمك ؛ صافياً نقياً كالثوب الأبيض المنقى من الدنس .

وإليك أخي الحاج بعض هذه المهمات الواجبات ، لتكون على بينة من دينك فتفعل ما يزينك ولا يشينك .

أولاً : الإخلاص لله والبعد عن الرياء والتسميع :

وذلك أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لله وابتغى به وجهه ، لقول الله في الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً ﴾ فمن حج يبتغي الذكر والصيت

(١) وكل ما ورد في هذا المقال أحاديث صحيحة ، معظمها في « الصحيحين » ، أو أحدهما .

انقلب إليه عمله ولم يُرفع فوق رأسه .

ثانياً : المتابعة لرسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً :

فالإخلاص لله دون متابعة لرسول الله لا يكفي ولا يجزئ ، فأبى الله أن يقبل عملاً إلا إذا أخلص فيه صاحبه لله وجرّد المتابعة لرسول الله . وقال ﷺ : « فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وحتى تقتدي به الأمة في حجها ليكون صحيحاً مقبولاً مبروراً قال : « لتأخذوا عني مناسككم » .

وقد حفظ أصحابه صفة حجه ﷺ منذ خروجه من المدينة وحتى عودته إليها من غير زيادة ولا نقصان ، وحديث جابر بن عبد الله - الصحابي الجليل - أكبر شاهد على ذلك<sup>(١)</sup> .

ثالثاً : اجتناب الشرك بأنواعه وأشكاله :

وذلك أن الشرك أعظم ذنب عُصي الله به ، وهو محبط للعمل مخلد في النار لا يقبل الله من صاحبه صرفاً ولا عدلاً قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ .

رابعاً : التوبة ورد المظالم :

على الحاج أن يتوب من ذنوبه توبة نصوحاً ، لأن الإصرار على الذنب

(١) وقد جمع شيخنا الفاظه وطرقه في كتابه المستطاب « حجة النبي ﷺ » .

نذير شر واستخفاف بالله يؤدي إلى سوء الخاتمة وشر العاقبة في الدنيا والآخرة ، فما من مصيبة إلا بذنب، وما من نعمة إلى بتوبة واستغفار وطاعة، والفلاح معلق بالتوبة قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

والعذاب معلق بالمعاصي والذنوب فهلاك الأمم والشعوب من حصاد المعاصي والذنوب ، ويجب عليك أخي الحاج أن ترد المظالم إلى أهلها ، وتؤدي الديون إلى أصحابها ، وترجع الأمانات إلى أربابها .

خامساً : اختيار المال الحلال والنفقة الطيبة :

لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، من حج بمال ربوي أو بمال من كسب حرام لم يرجع بحج مبرور ، وإن كان حجه صحيحاً عند الجمهور ، ولكنه إلى الحج المأزور أقرب منه إلى المأجور ، وصدق الشاعر إذ يقول :

إذا حججت بمال كله سحت      فما حججت ولكن حجت العير  
لا يقبل الله إلا كل صالحة      ما كل من حج بيت الله مأجور

سادساً : التماس الرفيق الصالح :

ينبغي على الحاج أن يصاحب رفيقاً يذكره إذا نسي ، ويقويه إذا عجز ويصبره إذا يس ، ويشجعه إذا جن ، يأخذ بيده للخير ويدله عليه ، يجب له الخير كما يجب لنفسه ، ينصح له في حله وترحاله ، لأن رفيق السوء مجنبه مخذلة ، يضل صاحبه ويلقي به في مهاوي الردى ، ولا تؤمن غوائله وبوائقه ، قال عمر رضي الله عنه : « لا تصاحب الفجار فتتعلم من فجورهم » وشبهه النبي ﷺ - كما في « الصحيح » - بنافخ الكير .

وهذا مذمة ومنقصة . وقديماً قيل : قل لي من صاحبك أقل لك من أنت .

قال الشاعر :

**عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه**      **فكل قرين بالمقارن يقتدي**  
فصاحبك جنتك أو نارك فاختر أيهما شئت .

وعلى الحاج أن يحذر من السفر وحده ؛ لأن الطرق والأسفار لا تؤمن غوائلها ، ويجتمع في الأسفار من المفاجآت والأخطار وانتشار الهوام والجن ما لا قبل للرجل وحده به ، والمؤمن قوي بإخوانه ، وقد ورد النهي عن سفر الرجل وحده .

سابعاً : ألا تخرج المرأة إلا مع زوج أو محرم لها :

لأن الحج لا يجب على المرأة مع عدم المحرم ، وهي حينئذ ممن قال الله فيهم : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ؛ فهي إذا لم تجد المحرم تكون من جملة غير المستطيع ، لأن حفظ الأعراس والدماء والأموال مقدم على أداء الحج ، ومن رحمة الله بالأمة أن جعل الحج على الاستطاعة ؛ لعلمه جل جلاله ضعف الناس ، ولا يلتفت في هذا المقام إلى ما يفتي به (بعض) المفتين من إجازة حج المرأة مع نسوة ثقات دون محرم !!  
وقد بسطنا الكلام حول هذا الأمر في رسالة مفردة فليرجع إليه .

**والخلاصة :** أن المرأة إذا خرجت من غير محرم أثمت ، ولكن صح حجها على القول الصحيح .

ثامناً : ملازمة مكارم الأخلاق وحسن العشرة مع رفقته :

فيجب أن يكون حسن الخلق لأنه أثقل شيء في الميزان ، وسوء الخلق محبط للأجر والثواب ، فعليك أخي الحاج بخفض الجناح لإخوانك ولين الكلام والصبر على الأذى ، وبذل المعروف والقيام على خدمتهم والتجافي عن الإساءة إليهم .

وهذه أخي الحاج بعض المهمات الجليلات التي يلزمك التحلي بها في حجك وعمرتك سردها لك للذكرى والنصيحة . وقد اقتصرنا على الأهم من هذه التنبهات ، والمقام لا يتسع البسط والإسهاب . جعلني الله وإياك هداة مهتدين ، والحمد لله رب العالمين .

## زاد الحجاج

قال تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

وجمهور المسلمين على أن الأشهر المعلومات هي : شوال ، وذو القعدة ، وال عشرة الأول من ذي الحجة ، فهي التي يقع فيها الإحرام بالحج غالباً<sup>(١)</sup> .  
والمعنى : أن من أحرم في هذه الأشهر فقد أصبح فرضاً عليه ولو كان نفلاً ، واستدل بهذه الآية الشافعي ومن تابعه على أنه لا يجوز الإحرام بالحج قبل أشهره<sup>(٢)</sup> .

فإذا أحرم الحاج بالحج أو العمرة فيجب عليه أن يصون حجه ويحفظه عما يفسده أو ينقص ثوابه ، فعلى كل مسلم أحرم بالحج أن يعظم شعائر الحج ؛ لأنها من شعائر الله ؛ قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] .

ولهذا نهى الله تعالى عن (الرفث) ، و(الفسوق) ، و(الجدال) في الحج .  
قال ابن عباس : الرفث : « غشيان النساء ، والتقبيل ، والغمز ، وأن يعرض لها بالفحش من الكلام » ، وقال طاوس : « الرفث : التعريض للنساء بالجماع وذكره بين أيديهن » ، وقال عطاء : « الرفث قول الرجل

(١) « تفسير السعدي » (ص ١٠٢) .

(٢) المصدر السابق (ص ١٠٢) .

للمرأة في حال إحرامها : إذا حللت أصبتك ، إلى غير ذلك من معان قريبة»<sup>(١)</sup> .  
وأما الفسوق فأصله الخروج عن حدود الشرع وعن الطاعة ، فابن عباس ومن وافقه يقول : « الفسوق : هي المعاصي » ، وابن عمر يقول :  
« الفسوق إتيان معاصي الله في الحرم »<sup>(٢)</sup> .

وقال آخرون : الفسوق هاهنا السباب ، وهذا قول ابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومجاهد والسدي وغيرهم ؛ متمسكين بما ثبت في « الصحيح » :  
« سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »<sup>(٣)</sup> .

وقد رجح الحافظ ابن كثير أنه المعاصي ، فقال : « والذين قالوا :  
الفسوق هاهنا هو جميع المعاصي ، والصواب معهم ، كما نهى تعالى عن  
الظلم في الأشهر الحرم ، وإن كان في جميع السنة منهيًا عنه ، إلا أنه في الحرم  
أكد ، ولهذا قال : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ  
أَنْفُسَكُمْ ﴾ [التوبة : ٣٦] ، وقال في الحرم : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ  
نُدِقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] » .

قال - يرحمه الله - : « واختار ابن جرير أن الفسوق هاهنا : هو ارتكاب  
ما نهى عنه في الإحرام ، من قتل الصيد ، وحلق الشعر ، وقلم الأظافر ،  
ونحو ذلك<sup>(٤)</sup> ، كما تقدم عن ابن عمر ، وما ذكرناه أولى ، والله أعلم »<sup>(٥)</sup> .

(١) « مختصر تفسير البغوي » (١/١٩٧-١٩٨) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٤٦) وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) « تفسير الطبري » (٢/٢٨٢) .

(٥) « تفسير ابن كثير » (١/٧٠٥-٧٠٦) .

وقد ثبت في « الصحيحين » من حديث أبي حازم عن أبي هريرة، قال :  
قال رسول الله ﷺ : « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق ، خرج من  
ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وأما الجدل : فإنه مشتق من الجدل وهو الفتل ، والمراد به هنا المماراة ،  
وقيل : السباب ، وقيل : الفخر بالآباء ، والظاهر الأول<sup>(١)</sup> .

وقال السعدي في « تفسيره » : « والفسوق : هو جميع المعاصي ، ومنها  
محظورات الإحرام ، والجدال : هو المماراة ، والمنازعة ، والمخاصمة ؛ لكونها  
تثير الشر وتوقع العداوة ، والمقصود من الحج : الذل والانكسار لله ،  
والتقرب إليه بما أمكن من القربات ، والتزهد عن مقارفة السيئات ، فإنه  
بذلك يكون مبروراً والمبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، وهذه الأشياء وإن  
كانت ممنوعة في كل مكان وزمان فإنه يتغلظ المنع عنها في الحج »<sup>(٢)</sup> .

وبعد أن نهى سبحانه عن اقرار المعاصي أمر بفعل الأوامر فقال :  
﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ حتى لا يستهين الحاج بأي طاعة ، وأي قربة ،  
وأن يحرص على المبادرة إلى الطاعات كما يبادر إلى ترك المعاصي ، « فأتى الله  
سبحانه بـ ( مِنْ ) للتنصيص على العموم فكل خير وقربة وعبادة داخل في ذلك ،  
أي : فإن الله به عليم ، وهذا يتضمن غاية الحث على أفعال الخير ؛ خصوصاً في  
تلك البقاع الشريفة والحرمات المنيقة ، فإنه ينبغي تدارك ما أمكن تداركه فيها ، من  
صلاة وصيام وصدقة وطواف وإحسان قولي وفعلي »<sup>(٣)</sup> .

(١) « فتح البيان في مقاصد القرآن » (١/٢٨٢) .

(٢) « تفسير السعدي » (ص ١٠٢) .

(٣) « تفسير السعدي » (ص ١٠٣) .

ثم حث سبحانه على زاد التقوى الذي هو أصل كل خير ، الحامل على ترك المنكرات ، وفعل الخيرات ، فمن كان فقيراً من التقوى فإنه يزهد في الخير ، ويقع كثيراً في الشر ؛ « فالزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه في دُنياه وأخراه هو زاد التقوى الذي هو زاد إلى دار القرار ، وهو الموصل لأكمل لذة ، وأجل نعيم دائماً أبداً ، ومن ترك هذا الزاد فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شر ، وممنوع من الوصول إلى دار المتقين ، فهذا مدح للتقوى »<sup>(١)</sup> .

قلت : وهذا - والذي نفسي بيده - هو الغاية من الحج والحكمة منه نيل تقوى الله ، بفعل ما أمر ، والانتهاز عما نهى عنه وزجر . والله الموفق .

---

(١) المصدر السابق (ص ١٠٣) .

## الحجّة في فضل الأيام العشرة من ذي الحجّة

قال تعالى : ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ وهذه الأيام كما ذكر المفسرون هي العشر من ذي الحجّة ، وقال تعالى مقسماً على فضلها وذلك لشرفها عند الله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ والليالي العشر هي ليالي ذي الحجّة ، ثم خصص أفضل أيامها فقال - والشفع - وهو يوم النحر والوتر وهو يوم عرفة وهذا نظير قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ ، مع أن جبريل وميكال من جملة الملائكة ، وكذلك ذكر يوم النحر ويوم عرفة مع أنهما من جملة العشر من ذي الحجّة .

أما يوم عرفة ففيه ركن الحج الأعظم - الوقوف بعرفة - وأما يوم العشر فهو يوم الحج الأكبر ، وفيه أكثر أعمال الحج ؛ من رمي وذبح وحلق وتقصير وطواف إفاضة ، وفيه صلاة العيد لغير الحاج وجوباً ، وفيه التهليل والتكبير ، وفيه إهراق دم الأضاحي والهدي ، وقد قال النبي ﷺ : « أفضل الحج العج والثج » ؛ والعج : هو رفع الصوت بالتلبية ، والثج : هو إهراق دم الهدي .

قال تعالى : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ اتَّقْوَى

مِنْكُمْ ﴾ .

❁ فضل الأيام العشرة من ذي الحجّة :

وجاء في الحديث: « إنها لتقع من الله بمكان قبل أن تقع على الأرض » ؛

فهذه الأيام المباركات من أفضل مواسم الخير تضاعف فيها الحسنات وتكفر فيها السيئات وتقال فيها العثرات بل إن العمل الصالح فيها يفوق أجر الجهاد في سبيل الله إلا جهاداً تزهق فيه النفس ويذهب فيه المال ؛ هذا النوع من الجهاد هو الذي يعدل فضل هذه الأيام ، وهيئات هيئات أن يقوى عليه إلا أقل القليل من الناس ممن بر وصدق وهدى إلى خير عظيم .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أيام فيها العمل الصالح أحب إلى الله تعالى من هذه العشر - يعني من ذي الحجة - قالوا : يا رسول الله ؛ ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء » . أخرجه البخاري .

دل هذا الحديث على أن آحاد الجهاد لا يعدل فضل هذه الأيام إلا جهاد الاستشهاد جهاد زهق النفس والمال وهو جهاد مخصوص .  
لذلك قال العلماء : إن العمل المفضول في هذه العشر يعدل العمل الفاضل في غيره .

### ❁ فضل يوم عرفة :

وهو موسم لتكفير الذنوب ؛ وذلك أن الله يغفر لأهل الموقف بوقوفهم على جبل عرفات شعناً غبراً ذاكرين مليونين مهللين داعين منيين ، فقد ثبت أن الله تعالى يدنو عشية عرفة من عباده ويباهي بهم الملائكة ويشهد ملائكته على غفران ذنوب عباده الحجاج فيقول : « أشهدكم يا ملائكتي أنني قد غفرت لهم » .

ولذلك هذا اليوم شديد وعسير على الشيطان لم ير في يوم أحقر ولا أصغر من يوم عرفة لما يعاين من تنزيل رحمة الله تعالى ، وأما أهل الأقاليم والآفاق فإنهم يغفر لهم بصيامهم ليوم عرفة يوم التاسع من ذي الحجة . فقد ثبت في الحديث الصحيح أن صيام يوم عرفة لغير أهل الموقف يكفر ذنوب ستين - الماضية والباقية - . فأبي فضل بعد هذا الفضل ، وأي فرصة أعظم من هذه الفرص ، فالمغبون حقاً من غفل عن هذه العشر قياماً وصياماً وذكرًا وشكرًا واستغفارًا وصدقةً وبذلاً وأمرًا بالمعروف ونهياً عن المنكر .

ومن العجائب أن نرى تجار الدنيا ينشطون في مواسم تجارتهم ويضاعفون الجهد ويصلون الليل بالنهار دون كلل أو ملل بجمع حطام الدنيا الزائلة بينما أكثر تجار الآخرة يغفلون ويهملون ويرفضون في مواسم الخير الأخروي فلا يستثمرونها فيما يكون شيئاً لتكفير ذنوبهم ورفع درجاتهم وإقالة عثراتهم ومضاعفة حسناتهم ورضوان ربهم عليهم ، بل ربما اشتغلوا بمعصية الله عز وجل ومحاربة دينه ، والصد عن سبيله واقتراف الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وما علم أولئك المساكين أنهم يضيعون أنفسهم ويلقونها في أحضان الشيطان ، وأن وبال ذلك عائد عليهم في الدنيا والآخرة « فمن خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة » .

❁ سلفنا الصالح وهذه الأيام :

ولقد أدرك سلفنا الصالح قيمة الوقت عموماً وقيمة هذه المواسم - التي اختص الله بها أمة الإسلام - خصوصاً ، فجاهدوا أنفسهم وحملوها على

الحق حملاً حتى ذلت للحق ، وانقادت له بعيداً عن الشهوات والشبهات .

❁ نصائح لعامة المسلمين :

لذلك احرص يا مسلم يا عبد الله على مواسم الخير كهذه العشر من ذي الحجة وكشهر رمضان وليلة القدر والنصف من شعبان والعاشر من محرم والإثنين والخميس ويوم الجمعة وغيرها من الأيام والليالي .

احرص يا أخي على البعد عن المعاصي ، فإنها سبب كل ذل وهوان ؛

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت ، وفي الحديث الصحيح: « إذا

تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد في سبيل الله ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » .

فاحذر أخي المسلم وأختي المسلمة من المعاصي كبيرها وصغيرها

ظاهرها وباطنها ، فإنها تُرْدِيكَ وهي أشد فتكاً بك من العقارب والحيات

السامة ، و عليك بالطاعات وخصوصاً في مواسم الخير ، تزود بها قرباً من الله

لتكون من أحبابه وأوليائه ، وتجبر بها ما نقص من فرائضك . ولا يزال العبد

يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه . جعلني الله وإياكم من أحبابه ورزقنا

الحسنى وزيادة .

## أحكام الأضحية في السنة المطهرة

الأضحية سنة من سنن النبي ﷺ لم يدعها هو ولا أصحابه رضي الله عنهم مع القدرة عليها وهي من سنة أينا إبراهيم عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وقصة إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل مشهورة معلومة لدى جميع المسلمين ، والمقصود بيان أحكام هذه الشعيرة المباركة فأقول وبه وحده :

• تعريف الأضحية : الأضاحي جمع أضحية بضم الهمزة ، ويجوز كسرها ، ويجوز حذف الهمزة وفتح الضاد « ضحية » ، وكأنها اشتقت من اسم الوقت الذي شرع إيقاعها فيه وبها سمي اليوم يوم الأضحى .

• وقت الأضحية : ووقتها يبدأ بعد الانتهاء من صلاة العيد ، ويكون ذلك ضحى ؛ قال تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴾ ، فقدم الصلاة على النحر ، فدل ذلك على أن من ذبح قبل الصلاة فليس له من النسك شيء وإنما هو لحم قدمه لأهله ، ويؤيد ذلك ويؤكد حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : « شهدت الأضحى مع رسول الله ﷺ ، فلما قضى صلاته بالناس نظر إلى غنم قد ذبحت فقال : من ذبح قبل الصلاة فليذبح شاة مكانها ، ومن لم يكن ذبح فليذبح على اسم الله » . متفق عليه .

الأول : ما ذهب إليه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : أنها يوم النحر وثلاثة أيام بعده وهي أيام التشريق .

الثاني : ما ذهب إليه الإمام مالك رحمه الله تعالى : من أنها يوم النحر

ويومان بعده .

والصواب - والله أعلم - مع من ذهب إلى أنها يوم النحر وثلاثة أيام بعده لما ثبت عن النبي ﷺ قال : « كل أيام التشريق ذبح » . رواه أحمد وابن حبان والبزار .

• مكان ذبحها : قال ابن القيم رحمه الله تعالى في « زاد المعاد » ( ٢ /

٣٢٢) : قد كان من هديه ﷺ أن يضحي بالمصلى فلما قضى خطبته نزل من منبره وأتى بكبش ذبحه بيده وقال : « باسم الله والله أكبر ، هذا عليّ وعلى من لم يضح من أمتي » .

وفي « الصحيحين » أن النبي ﷺ كان يذبح بالمصلى (رواه البخاري).

قلت : ولعل الحكمة في ذلك - والله أعلم - حضور الفقراء إليها واستفادتهم من لحومها .

• عمن تجزئ الأضحية : وتجزئ الشاة عن الرجل وأهل بيته وإن كثروا لقول عطاء بن يسار سألت أبا أيوب الأنصاري كيف كانت الضحايا على عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال : « إن كان الرجل يضحي بالشاة عنه وعن أهل بيته فيأكلون ويطعمون » أخرجه الترمذي ومالك في « الموطأ » وابن ماجه ، وإسناده حسن .

• شروط الأضحية : ويشترط في الأضحية المسنة خلوها من الأمراض كالعرجاء البين عرجها بحيث تتأخر عن الغنم لأجل عرجها ، والهزيلة العجفاء والدليل على ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « أربع لا يجوز في الضحايا : العوراء البين عورها ، والمريضة البين مرضها ، والعرجاء البين عرجها ، والكبيرة

التي لا تنقي» . رواه أحمد والأربعة . ومعناه لا نقي فيها وهو المخ من شدة الهزال .

وجهور العلماء رحمهم الله يذهبون إلى أنه يقاس عليها غيرها مما كان أشد منها أو مساوياً لها كالعمياء ومقطوعة الساق ونحو ذلك .

• صفة ذبحها: أمر الإسلام بالرفق بالحيوان ومواقف النبي ﷺ في ذلك ثابتة في السنة أمراً وفعلاً فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ : أمر بكبش أقرن يطأ في سواد ويبرك في سواد وينظر في سواد ، فأتي به ليضحى به ، فقال لها : « يا عائشة هلمي المديّة ، ثم قال : اشحذها بججر . ففعلت . ثم أخذه فأضجعه ثم ذبحه ثم قال : باسم الله ، اللهم تقبل من محمد وآل محمد ، ثم ضحى به » . رواه مسلم .

قال الصنعاني في « سبل السلام » ( ٩ / ٢ ) : فيه دليل على أنه يستحب إضجاع الغنم ولا تذبح قائمة ولا باركة ، لأنه أرفق بها ، وعليه أجمع المسلمون ، ويكون الإضجاع على جانبها الأيسر ؛ لأنه أيسر للذبح في أخذ السكين باليمنى وإمساك رأسها باليسار ، وفيه استحباب الدعاء بقبول الأضحية وغيرها من الأعمال ، وقد قال أبونا إبراهيم الخليل وابنه عند الذبح ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

• السنة للمضحى ألا يأخذ من شعره وأظفاره شيئاً :

فإذا دخل شهر ذي الحجة وعزم أحد على الأضحية فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحى فلا يمس من

ولا من بشره شيئاً» رواه مسلم .

• حكم الأضحية في الشرع : ذهب بعض أهل العلم إلى وجوب

الأضحية على من قدر عليها ومن أدلتهم على الوجوب :

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من

كان له سعة ولم يضحّ فلا يقربن مصلّانا » . رواه أحمد وابن ماجه وصححه الحاكم .

قالوا : ولأنه نهى عن قربان المصلّى دل على أنه ترك واجباً كأن يقول :

لا فائدة في الصلاة مع ترك هذا الواجب ، ولقوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ .

٢- ومن أدلتهم أيضاً: حديث جندب بن عبد الله قال شهدت مع النبي

ﷺ يوم النحر قال : « من ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى ومن لم يذبح فليذبح » . متفق عليه .

فالأمر ظاهر الوجوب لمن قال به ، فأدلة القائلين بعدم الوجوب لا

تصلح لصرف هذه الأحاديث عن الوجوب .

وأما أدلة القائلين بعدم الوجوب فمنها : حديث ابن عباس رضي الله

عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ثلاث هن علي فرائض وهن

لكم تطوع : الوتر والنحر وصلاة الضحى » رواه أحمد في « مسنده » والحاكم

في « مستدرکه » .

وجوابنا على هذا الحديث : أنه ضعيف ؛ فيه أبو خباب الكلبي يحيى بن

أبي حبة ؛ قال يحيى القطان : لا أستحل أن أروي عنه ، وقال الفلاس :

متروك . وله طرق أخرى كلها ضعيفة لا تصح .

ومن أدلتهم أيضاً : حديث جندب بن عبد الله - الذي مر ذكره - ؛ قال الشافعي : إن قوله (فأراد أحدكم) يدل على عدم الوجوب .

قلت : فمن خلال بيان أدلة الفريقين ، الفريق الأول : القائلون بالوجوب ، الفريق الثاني : القائلون بأنها سنة مؤكدة ، يتبين أن الحق مع الذين ذهبوا للوجوب مع القدرة عليها ؛ لوضوح أدلتهم وقوتها ، ولا صارف لها عن الوجوب كما هو ظاهر .

• تقسيم الأضحية : يستحب للمضحى أن يتصدق وأن يأكل ، وأكثر العلماء يستحبون تقسيمها أثلاثاً ، ثلث للادخار ، وثلث للصدقة ، وثلث للأكل لقوله عليه السلام : « كلوا وتصدقوا وادخروا » أخرجه الترمذي ، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « أمرني رسول الله ﷺ أن أقوم على بُدنه ، وأن أقسم لحومها وجلودها على المساكين ، ولا أعطي في جزارتها شيئاً عنها » متفق عليه .

دل على أنه يتصدق بالجلود والجلال كما يتصدق باللحم ، وأنه لا يعطي الجزار منها شيئاً أجرة له ؛ لأن ذلك في حكم البيع لاستحقاقه الأجرة ، وحكم الأضحية كحكم الهدي في ذلك .

## الإسراء والمعراج

### تاريخ وعبر

#### • حادثة الإسراء والمعراج :

الإسراء والمعراج حدثان عظيمان في الإسلام غيّر الله بهما مجرى التاريخ ، لما جرى فيهما وما نتج عنهما من فرض الصلاة - التي هي عمود الدين - ، وقيام دولة الإسلام في المدينة المنورة ، وتقويض دعائم الشرك في جزيرة العرب وما حولها ، وانتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها في نحو ربع قرن من الزمان .

وقد سمى الله عز وجل سورة كاملة باسم هذا الحدث العظيم «الإسراء» ، قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

فالإسراء : هو السُّرَى لَيْلاً ، فقد أسرى الله بنبيه ﷺ راكباً على البراق صحبه جبريل عليه السلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة واحدة ثم عرج به في نفس الليلة إلى السموات العُلا بواسطة المعراج .

ولقد ابتدأ الله الآية بالتسبيح ، وفيه رد على المكذبين لهذه الحادثة العظيمة ، وفيه تأكيد على أن الإسراء كان يقظة لا مناماً حقيقة لا خيالاً ، ولفظ «بعبد» يدل على ذلك فإن لفظ «عبد» لا يكون بالروح دون الجسد بل بهما جميعاً ؛ ولو كان الإسراء والمعراج مناماً لما كان فيه فتنة لكثير

من الناس حيث كذبه المشركون وارتد بعض المسلمين عن إسلامهم .  
فشق صدره ﷺ قبل تلك الرحلة وركوبه على البراق وصعوده بالمعراج  
وصلاته بالنبين وسلامه عليهم في منازلهم في السموات العلا من أكبر الأدلة  
على وقوعه بالروح والجسد .

### • متى وقعت حادثة الإسراء والمعراج ؟

والمشهور بين الناس أن الإسراء والمعراج وقع في شهر رجب ، لكن  
المحققين من العلماء أجمعوا على وقوعه في شهر ربيع الأول قبل الهجرة بعام .

### • تكريم الله لنبيه ﷺ :

ولقد سبق هذا الحادث العظيم حوادث أليمة على قلب رسول الله  
ﷺ، منها موت عمه - الذي كان نصيراً له ﷺ ومدافعاً عنه - ، وكذلك  
موت زوجته خديجة - رضي الله عنها - تلك الزوجة المخلصة الوفية التي  
واسته بمالها ونفسها وكانت تخفف من آلامه وتواسي أحزانه ، ولقد اشتد  
أذى المشركين له فخرج إلى الطائف لعله يجد فيهم ناصرًا ومعيناً ؛ فما كان  
منهم إلا أن ردوا عليه أسوأ رد ؛ فأغروا به سفهاءهم فأدموا قدميه دون رحمة  
أو شفقة ، وما رجع إلى مكة إلا بحماية وجوار أحد زعماء مكة المطعم بن  
عدي، ولقد مكنه الله من رقاب أعدائه حيث أرسل له ملك الجبال يستأذنه  
أن يطبق عليهم الأخشبين فما كان من الرحمة المهداة إلا أن قال : « اللهم  
اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » ثم جاءت حادثة الإسراء والمعراج بعد هذه  
الآلام تكريماً لنبيه محمد ﷺ ، فلأنه أهانه أهل الأرض وآذوه فإن أهل السماء  
أكرموه وبجلوه ورحبوا به أيما ترحيب .

## • فرض الصلوات الخمس :

ولقد كان من ثمار هذه الرحلة المباركة وهذه المعجزة الخالدة أن فرض الله عليه وعلى أمته الصلوات الخمس وتلقاها من ربه بلا وسيط ، فالشريعة كلها نزل بها جبريل ، أما هذه الصلاة - معراج المؤمنين - فقد تلقاها رسول الله ﷺ مشافهة من ربه لتبقى هذه الصلاة صلة بين العبد وربّه دون وسطاء أو شفعاء ، يراقبون بها ربهم وينتهون بها عن الفحشاء والمنكر ، ومن أحداثها : أنه ﷺ علا إلى مقام سمع فيه صريف أقلام القدر ، فرأى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، وقد رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، ﴿ أَفْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۗ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٩﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿٢٠﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۗ ﴿٢١﴾ .

ولقد رأى نبينا ﷺ الجنة وما فيها من قصور وبساتين وأنهار ، فإذا بها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك ، ورأى رسول الله ﷺ نهراً في الجنة حافتاه خيام اللؤلؤ فضرب بيديه إلى ما يجري فيه الماء فإذا مسك أذفر فقال ما هذا يا جبريل : قال : « هذا الكوثر الذي أعطاكه الله » (١) .

ورأى قصراً لعمر في الجنة فأراد أن يدخله فذكر غيره عمر فقال عمر حين علم ذلك : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أو عليك أغار (٢) ، ورأى النار وأهلها أعادنا الله منها ، كما رأى المغتابين يأكلون لحماً خبيثاً (٣) ، ورأى أقواماً لهم أظافر من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم وهم الذين

(١) رواه أحمد والبخاري والترمذي والنسائي ، عن أنس .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه أحمد بإسناد صحيح كما في « تفسير ابن كثير » (١٤ / ٣) .

يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم .  
ورأى خطباء السوء من هذه الأمة رجالاً تقرض شفاههم بمقارض من  
النار ، وهم الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب  
أفلا يعقلون .

### • الصلاة في المسجد الأقصى :

ولقد رأى رسول الله ﷺ أنبياء الله في كل سماء وتقدمهم إماماً في  
المسجد الأقصى ؛ هذا المسجد الذي ربط الله بينه وبين المسجد الحرام برباط  
مقدس وثيق ؛ قبلة المسلمين الأولى ومسرى نبيهم ، والتفريط فيه تفريط  
بالمسجد الحرام .

### • الإسلام ناسخ لما قبله :

إن اجتماع الأنبياء ليلة الإسراء في المسجد الأقصى خلف نبي الإسلام  
محمد ﷺ دليل على أن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وأن دين  
الأنبياء واحد وإمامهم واحد هو محمد بن عبد الله ﷺ .

صلاة الرسول ﷺ في المسجد الأقصى وزيارته له دعوة للمسلمين أن  
يحافظوا عليه ويطهروه من دنس يهود ؛ كما طهروه من قبل من دنس الصليبيين  
الحاقدين ، وهي بشارة للمسلمين بفتح المسجد الأقصى ولو بعد حين ، وأن  
السلطة الدينية على المسجد الأقصى يجب أن تكون للإسلام وحده وإمامة النبي  
ﷺ بالأنبياء دليل على ذلك ، وفي ذلك رد على دعاة توحيد الأديان في كل زمان .

### • فهم السلف لذكرى الإسراء والمعراج :

لقد كان سلفنا يفهمون الاحتفال بالمناسبات العظيمة أنه تجديد للعهد

مع الله والتزام حقيقي بشريعة الإسلام ، لقد كانت حياتهم كلها جهاد ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، ولاء وبراء ، وتحكيم لشرع الله في الأرض ، ونبذ لمنهج الكفر ، وتنكب لسبل الضلال ، لكن الأمة حين أفلست من تغيير واقعها المرير كثرت أعيادها واحتفالاتها ؛ التي ما زادت الأمة إلا خبالاً واستسلاماً لليأس والإحباط .

ولقد نسجت حول الإسراء والمعراج قصص وحكايات وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان ؛ ومن ذلك المعراج المنسوب لابن عباس وهو منه براء ، وقد بين العلماء بطلان هذا الكتاب وكذب نسبه لابن عباس - رضي الله عنه - فالمعراج الصحيح إنما يؤخذ من الكتاب وصحيح السنة ، ولقد لخص الحافظ ابن كثير الإسراء والمعراج كما في « تفسيره » ، وكما في « السيرة » التي ألفها - رحمه الله - ، والحمد لله رب العالمين .

## الباب الثالث

كلمات في الدعوة والمنهاج

رَفَعُ  
عبد الرحمن العجدي  
أسكنم الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## العالم الرباني وحاجة الأمة إليه

في كل يوم يُقبل وليل يدبر تشتد حاجة الأمة إلى العالم الرباني الذي وصفه الله بقوله : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ووصفه بقوله : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ .

ذلك أن العلماء هم ورثة الأنبياء يهدونهم إلى الحق ويرشدونهم إليه ، فهم منارات الهدى ومصابيح الدجى ؛ فلولا العلماء لكان الناس كالأنعام لا يعرفون معروفاً ولا يُنكرون منكراً ، ففضل العلماء على الأمة عظيم ؛ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ ، والإمامة في الدين إنما تُنال بالصبر واليقين ، وعليه فهل كل من لبس العمامة والجمبة عالم؟! وهل كل من أشير إليه بالبنان عالم!!!

كلا... فالعالم هو الذي يخشى الله ويتقيه حق تقاته ، هو الذي يعمل بطاعته ويحذر معصيته يطلب العلم لله ؛ لا ليماري به العلماء ، أو ليجاري به السفهاء ، أو ليصرف به وجوه الناس إليه ، أو ليوسع له في المجالس ، وتُغدق عليه الجوائز والصلوات ، ويُلقى عليه هالة من التقديس فيمدح بما ليس فيه ، ويتشبع بما لم يعط فيغدو كلابس ثوبي زور !!

وعالم السوء من أحسن زخرفة الألفاظ ، وأجاد سبك العبارات ، وبرع في شقشقة الكلام ، وهو من الداخل خواء من كل فضيلة ، قد ملأ النفاق قلبه وأفاض على جوارحه ، يحسبه الظمان ماء وما هو إلا سراب بقيعة ، يقول ما لا يفعل ، ويفعل ما لا يؤمر ، ويقفو ما ليس له به علم ، ويعرض

عما ندب إليه ، ويتكلف ما لا يعنيه : يشتغل بعيوب الآخرين ، وينسى عيوب نفسه ، قصده من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى المنزلة عند أهلها ، أولئك لا يجدون عرف الجنة حتى يعود اللبن في الضرع ، وحتى يلج الجمل في سم الخياط إلا أن يشاء الله .

والعالم الرباني عز وجوده في هذا الزمان إلا من رحم الله وقليل ما هم ، مصداقاً لقول رسول الله : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور العلماء ، وإنما يموت العلماء حتى إذا لم يُبق عالماً ، اتخذ الناس رءوساً جهالاً فسئلوا ، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (١) .

ومن صفات العلماء الربانيين : بعدهم عن السلاطين محترزين عن مخالطتهم ؛ فيفرون منهم فرارهم من المجدوم لئلا يفتنوا بهم ويتعلقوا بديانهم ، فيصبحوا مطية لهم يرتحلونهم متى شاءوا فيزينوا لهم الباطل حسب أهوائهم ، فبئس ما صنعوا وبئس المنقلب منقلبهم .

وفي الحديث الصحيح : « ومن دخل على السلطان افتتن » ، قال حذيفة رضي الله عنه : إياكم ومواقف الفتن . قيل : وما هي ؟ قال : أبواب السلاطين ، يدخل أحدكم على السلطان فيصدقه بالكذب ، ويقول ما ليس فيه .

وقال سعيد بن المسيب : إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنه لص .

وقال بعض السلف : إنك لا تصيب من ديانهم شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه .

(١) متفق عليه ، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

ومن صفات العالم الرباني : عدم التسرع في الفتوى ؛ فلا يُفتي إلا بما يتيقن صحته .

وقد كان السلف يتدافعون الفتوى حتى ترجع إلى الأول .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلي : أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ ما أحد يسأل عن حديث أو فتوى إلا ود أن أخاه كفاه ذلك ، ثم قد آل الأمر إلى إقدام أقوام يدعون العلم اليوم ، يُقدمون على الجواب في مسائل لو عرضت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع أهل بدر واستشارهم .

فكيف بأدعياء العلم في العصر الحديث !!

ومن صفات العالم الرباني : اعتقاد عقيدة السلف الصالح ومنهجهم ، وتعظيم السنة ومحاربة البدعة وأهلها والتشريد بهم وبغضهم ومعاداتهم ، فهو يوالي أهل السنة ، ويعادي أهل الأهواء والبدعة ، ويجاهد في سبيل الله باللسان والسنان ولا يخاف في الله لومة لائم .

والعالم الرباني : يتبع ولا يستدع ، ولا يضرب السنة بالكتاب ، ولا يُقسم الدين إلى قشر ولباب .

والعالم الرباني : ينصاع للحق ويشكر من أسدى إليه نُصحاً ولو كان أصغر منه سناً أو أقل منه فقهاً ، ولا يضيق صدره به ، بل يتواضع للناس وخصوصاً لشيوخه ومعلميه .

والعالم الرباني : يخاف سوء الخاتمة فلا يجترئ على الباطل ، أو يتناول على المسلمين ، أو يسخر منهم ، أو يغمزهم ويلمزهم ، أو يُكيل لهم التهم والفرى جزافاً .

والعالم الرباني : لا يتعامل مع مخالفيه من المسلمين كما يتعامل مع الأفاعي والعقارب ، فيرخي العنان<sup>(١)</sup> للسان شتماً وقذفاً وسخرية وتفناً في عبارات السب واللعن ، بل يُنظف لسانه ويُطهر جنانه ، ويسأل ربه المغفرة ويخاف سوء الخاتمة .

فما أحوجنا إلى علماء ربانيين صادقين<sup>(٢)</sup> ، ليأخذوا بيد هذه الأمة إلى سبل السلام ، فإن الأمة أحوج ما تكون إلى الأسوة والقدوة المتمثلة بأخلاق علماء الجيل الأول ؛ الذين تمثلوا أخلاق الرسول ﷺ - الذي كان خلقه القرآن<sup>(٣)</sup> - فتزكو الأمة بهم ، ويكون لها التمكين في الأرض ، وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) كما كان عليه محمد الغزالي وأمثاله من المنحرفين .

(٢) أمثال الألباني وابن باز وابن العثيمين كمثال لعلماء هذا العصر الربانيين .

(٣) كما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها .

## نصائح مهمة إلى علماء الأمة

هذه كلمات من القلب إلى القلب ، أتوجه بها إلى إخواني أهل العلم وطلابه عسى الله أن ينفعهم بها ؛ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ، ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ .

أيها العلماء الأفاضل : أنتم حملة لواء الدعوة إلى الله تعالى ، وأنتم ورثة النبي ﷺ ، فأنتم أشرف الأمة وسادتها ، وأنتم المقدمون عند الله وعند رسوله وعند عباده المؤمنين إن كنتم كما يجب أن تكونوا ؛ عقيدة وأخلاقاً وسلوكاً وعملاً وعلماً وفضلاً ، ولذلك فمستوليتكم عظيمة ، وأمانتكم جسيمة لا تقوى عليها الجبال الراسيات ، فحققوا قوله تعالى فيكم : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

احذروا أن تقولوا ما لا تفعلون ؛ فإنكم إن كنتم كذلك حل بكم مقت الله وغضبه ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

كونوا ثرجماناً عملياً للكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، فإن نبيكم ﷺ كان خلقه القرآن .

لا تخشوا في الله لومة لائم ، فلا تدهانوا أحداً ، ولا تمالئوا ظالماً مهما

بلغ في ظلمه وبطشه ، فلا تركنوا إلى الذين ظلموا من الطواغيت، فشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، والعذاب بالمغفرة ، فتمسكم النار ، فتحشروا مع الظلمة والجبابة .

ازهدوا في دنياكم ، فلا تغرنكم المناصب العالية ، والقرب من الظلمة ، فتنفسو قلوبكم ، وتؤثروا مصالحكم العاجلة الفانية على آخرتكم الباقية الخالدة ، فتكونوا من علماء سوء أذئاب بغلة السلطان .

اتقوا الله في أنفسكم وأمتكم فلا تُحلوا ما حرم الله ولا تحرموا ما أحل الله ، فاقضوا بالحق وبالحق اعدلوا ، ولتكن لكم استقلاليتكم فيما تفعلون وتذرون ، وبذلك تنالون ثقة الناس بكم وتعظيمهم لكم ؛ لما عندكم من الحق .

حققوا أعظم ركن في الإسلام في أنفسكم وادعوا الناس إليه - أعني : التوحيد والاتباع المتمثل في شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله - ، فحققوا التوحيد واحذروا الشرك ، فمن الأساس يبدأ الداعية ، فمن بدأ بالسقف قبل الأساس خرّ عليه السقف من فوقه .

وإياكم أن تعصبوا لشخص ما مهما سما وعلا ؛ خلا رسول الله ﷺ ، فإن تعصبتم لغير كتاب ربكم وسنة نبيه ضللتكم وفرقتم أمتكم شيعاً وأحزاباً ، ونالكم حظ وافر من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ ، وقوله : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ .

اعلموا أن الحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان ، فلا تعظموأهل البدع ولا تبجلوهم فتعظموأبدعهم ومنكراتهم بتعظيمكم إياهم ،

فتسخطوا ربكم .

قال ﷺ : « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله » (١) .

اجتمعوا على كلمة سواء بينكم ، ووحّدوا صفوفكم ، واحشدوا

طاقاتكم .

فليجمعكم الحق ، ورضا الله ، ووحدة المصير ، والخطر المحقق .

وإياكم ثم إياكم أن يفرقكم الهوى وحب الرئاسة والعلو في الأرض .

ارفقوا بالناس في دعوتكم ، ولا تقسوا عليهم ، وخاطبواهم برفق ولين

فلا تكونوا من المنفرين ؛ فتصبحوا فتنة للآخرين ، قال ﷺ : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه وما ينزع من شيء إلا شانه » (٢) .

أيها العلماء : أحيوا سنة الجهاد التي أماتها أعداء الأمة في الأمة ،

الجهاد بأنواعه كافة ؛ جهاد العلم والدعوة ، وجهاد السيف والسنان ،

فالعلماء هم القادة والسادة على مر العصور ، فإن نمت عن الجهاد وتخاذلتم

عن القيام به سلط الله عليكم وعلى الأمة ذلاً وهواناً لا ينزعه عنكم حتى

تعودوا إلى دينكم وجهادكم ، كما قال ﷺ : « إذا تبايعتم بالعينة » (٣) ، وأخذتم

أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا

ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » (٤) .

أيها العلماء الأفاضل : اعلموا أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما

صلح عليه أولها ، فصلح أمر أول هذه الأمة بالزهد واليقين وقد فسد أمر

(١) « صحيح الجامع الصغير » (٢٥٣٦) لشيخنا الألباني .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) العينة : ضرب من البيوع الربوية التي فيها احتيال على شرع الله .

(٤) حسن بشواهد كما في « الصحيحة » (١١) لشيخنا رحمه الله .

الأمة عندما فشت فيها البدع والمحدثات والمنكرات ، فخذوا بأيدي هذه الأمة إلى سبيل الله المستقيم ؛ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ .

أيها العلماء الأفاضل: احذروا مؤامرات أعداء الإسلام من هذه الأمة ومن غيرها ؛ فإنهم يقفون لكم بالمرصاد ، ويكيدون لكم ولدينكم ولأمتكم صباح مساء وحذروا الأمة من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وحذروهم من الفرق الضالة الهالكة قديمها وحديثها ف « إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ » (١) .

وقد اختلط الحابل بالنابل ، والتبس الحق بالباطل ، فلا بد من نور الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح لكشف الشبهات ، وضرب فتن أهل الشهوات : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ .

قال ﷺ : « افتقرت اليهود والنصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة ؛ كلها في النار إلا واحدة ، قيل : من هم يا رسول الله؟ قال : هم الذين على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » (٢) .

فلا بد - إذن - من معرفة ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام في كل أمور دينهم ؛ لنسير على نهجهم وتتبع سبيلهم ، فنكون معهم ، ونحشر في زمرتهم ، لأن الدعاوى العريضة اليوم كثيرة ، والأمانى عديدة ، والفتن شديدة ، فمن يأخذ بأيدي الحيارى والتائهين - ويرفعهم من تلك

(١) أخرجه مسلم .

(٢) حسنه شيخنا في « صحيح الجامع » (٨٠/٥) .

الدركات إلى أعلى الدرجات - إلا ورثة النبي ﷺ حقاً وصدقاً وهم أنتم .  
فإلى الأمام يا دعاة الإسلام ، وعلماء الأمة وصانعي مجدها ، فإن الأمة  
تترقب وثبتكم ، وتشرب بأعناقها إليكم ، وتهوي بأفئدتها إليكم ، فكونوا  
عند حسن ظن أمتكم بكم ، والسلام عليكم .

## حكمة الداعية

فالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى فريضة شرعية وضرورة حتمية أمرنا الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

والدعوة إلى الله هي سبيل النبي ﷺ وسبيل أمته - التي هي خير أمة أخرجت للناس - بما حملت من أمانة الدعوة إلى الله وإلى شرعه أمانة في عنق هذه الأمة إلى قيام الساعة قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

وقال ﷺ : « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » <sup>(١)</sup> .

وقال أيضاً : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » <sup>(٢)</sup> .

وطريق الدعوة إلى الله هي طريق الأنبياء جميعاً من نوح عليه السلام وختاماً بمحمد ﷺ ؛ وهي محفوفة بالمخاطر والصعوبات وليست محفوفة بالورود والرياحين ، وأكبر دليل على ذلك ما أصاب الأنبياء من أقوامهم من

---

(١) أخرجه البخاري في « الصحيح » (٤٩٦/٦) (رقم: ٣٤٦١) وغيره ، من حديث عبد الله بن عمر .  
(٢) أخرجه مسلم في « الصحيح » (رقم: ٧٨) ، والترمذي في « الجامع » (رقم: ٢٨٧٣) ، والنسائي في « المجتبى » (٤٩/٢) و(١٠/٣ و٩٢) ، وأبو داود في « السنن » (رقم: ١١٤٠) و(٤٣٤٠) ، وابن ماجه في « السنن » (١٢٧٥) و(٤٠١٣) .

أذى وتكذيب وافتراء عليهم ، بل وصل الأمر إلى حد القتل والتهديد بالرجم وأمثلة ذلك يطول حصرها ؛ فالأنبياء عليهم السلام كانوا أحكم الدعاة وأكثرهم موعظة بالتي هي أحسن وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ ، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وجعله على خلق عظيم ، ضرب بذلك أروع الأمثلة لأخلاق الدعاة إلى الله ، ولما كان النبي ﷺ هو الأسوة الحسنة لأمتة عموماً وللدعاة خصوصاً كان على كل داعية إلى الله أن يتمثل أخلاقه ﷺ وأن يقتفي أثره ﷺ في حكمته في الدعوة إلى الله ، فالداعية لا بد أن يكون عنده الصبر الكافي لمواصلة المشوار، مشوار الدعوة على طريقها الطويل الشاق وإلا انقطع في أول الطريق ولم يواصل المسيرة ، ولعل هذا هو السبب الذي من أجله رعى كثير من الأنبياء الغنم قبل البدء بدعوتهم ، حتى يكونوا على درجة عالية من الصبر ؛ فهم الذين يسوسون الأمم والشعوب ، وكذلك الدعاة هم الذين يجب عليهم قيادة المجتمعات أفراداً وجماعات .

### • الدعوة لا بد لها من موعظة حسنة :

والداعية لا بد له أن يتحلى بأخلاق الدعاة من الأنبياء والصالحين فيدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر الله سبحانه نبيه ﷺ والخطاب عام شامل لكل أمة النبي ﷺ قال تعالى : ﴿ آدَعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

وقال ﷺ : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يتزع من شيء إلا شانه »<sup>(١)</sup> ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى موسى وهارون عليهما السلام أن يرفقا

(١) أخرجه مسلم في « الصحيح » (٢٥٩٤) (٧٨) و(٧٩) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٤٦٩) =

بفرعون عند دعوتهما له حيث قال : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه: ٤٤] ، فإذا كان فرعون أكبر طواغيت الأرض -الذي ادعى الربوبية- أمر الله باللين والرفق معه ، فالعصاة من المسلمين أولى وأحرى بهذا الرفق .

### • النبي ﷺ معلم الحكمة قولاً وفعلاً :

والنبي ﷺ هو القدوة الحسنة لكل من دعا إلى الله إلى يوم القيامة ، وعلى الدعاة جميعاً أن يقتبسوا الحكمة من سيرته وأخلاقه في دعوته ، وأمثلة حكمة النبي ﷺ البالغة في دعوته كثيرة وكثيرة جداً ، منها :

#### ١ - حكمته في إنكار المنكر :

والدليل على ذلك قصة الأعرابي الذي بال في المسجد ؛ ففعله هذا أعظم المنكرات ؛ لأنه تدنيس لبيت من بيوت الله ، فلما رآه الصحابة قاموا إليه ليوسعوه ضرباً ولعناً وشتماً ، لكن صاحب الحكمة منعهم قائلاً : « لا تزرموا عليه بوله ، أهريقوا عليه ذنوباً أو سجلاً من ماء » <sup>(١)</sup> ؛ فقد علم ﷺ بحكمته وتوفيق الله له وحصافة رأيه أن إنكار المنكر في مثل هذه اللحظة (أي : حال بوله) يوقع في منكر أشد ؛ فإن ترويعه - الذي قد يؤدي إلى إمراضه - وانتشار بوله هنا وهناك مما يؤدي إلى تلويث ثيابه وأنحاء شتى من المسجد كل ذلك منكرات بعضها فوق بعض ، فلما قضى الأعرابي حاجته من بوله دعاه ﷺ بلطف قائلاً : « إن هذه المساجد جعلها الله لذكره وعبادته فلا يجلب فيها

= و(٤٧٥) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٨/ ٥١٠) ، ومن طريقه أبو داود في « السنن » ( ٢٤٧٨ و(٤٨٠٨) ، وأحمد في « المسند » (٦/ ٨٥ و ٢٠٦ و ٢٢٢) ، كلهم من حديث عائشة .  
(١) أخرجه البخاري في « الصحيح » (رقم: ٢١٩ و ٢٢١ و ٦٠٢٥) ، ومسلم في « الصحيح » (رقم: ٢٨٤ و ٢٨٥) .

شيء من البول والغائط ونحو ذلك» ، وبذلك علمه النبي ﷺ وحل المشكلة دون إثارة وضجيج وتنفير ، خصوصاً أن هذا الأعرابي قد كان جاهلاً بهذا الأمر ، كما علم أصحابه درساً بل دروساً في الرفق والصبر ومعالجة الأمور بهدوء وتروٍ ، ولو أنه تركهم ﷺ يفعلون ما حدثتهم أنفسهم بفعله - لإنكار هذا المنكر - لوقعت محذورات كثيرة ، وربما ارتد الرجل عن دينه من سوء المعاملة ، وفي هذه القصة فوائد كثيرة جداً لا يتسع المقام لسردها .

## ٢ - حكمته ﷺ في تخليص المشرك من شركه :

عن عمران بن حصين - أو غيره - أن حُصيناً<sup>(١)</sup> أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ! لعبد المطلب كان خيراً لقومه منك ؛ كان يطعمهم الكبد ، والسنام ، وأنت تنحرهم ! فقال له النبي ﷺ ما شاء الله أن يقول له .. فقال له : ما تأمرني أن أقول ؟ قال : « قل : اللهم قني شر نفسي ، واعزم لي على أرشد أمري » . قال : فانطلق فأسلم ... إلخ<sup>(٢)</sup> .

## ٣ - النبي ﷺ يعالج من أراد الزنا :

النبي ﷺ الطيب الحاذق الذي أطلعه الله سبحانه وتعالى على أمراض الناس وعلاجها ، نراه ﷺ يعالج أمراضاً نفسية مستعصية بحكمته وأسلوبه العذب الهين اللين فقد جاءه رجل يطلب منه أن يرخص له في الزنا فقال له النبي ﷺ : « هل لك أم ؟ فأجاب : نعم يا رسول الله ، فقال له : هل تحب أن يزني بها أحد ؟ قال : لا ، فذاك أبي وأمي . قال ﷺ : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » ، ثم أخذ

(١) وكان كافراً ، وهو والد عمران .

(٢) رواه أحمد (٤/٤٤٤) ، والحاكم (١/٥١٠) وصححه ، وهو كما قال .

يتدرج معه ، فقال : « هل لك أخت ؟ قال : نعم ، قال : فهل تحب أن يزني بها أحد ؟ قال : لا ، فذاك أبي وأمي ، قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم » ، وهكذا أخذ يعدد له محارمه كعمته وخالته ويبين له كراهية الناس لذلك مثل كراهيته هو لذلك ، حتى تاب الرجل وأقلع عما كان يفكر فيه من الزنا بحكمة النبي ﷺ وموعظته الحسنة ولم يكتف ﷺ بذلك بل دعا له واضعاً يده على صدره قائلاً : « اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه » (١) .

فتأمل أخي المسلم هذه القصة العظيمة كيف لو وقعت مع بعض دعاة زماننا لصرخ في وجهه دفعة واحدة هذا حرام أغرب عن وجهي أعوذ بالله منك ولزجره وفضحه وشهر به .

فهذا قليل من كثير من حكمته ﷺ وأسلوبه الهين اللين ، ولا يعني أننا أمة ضعيفة هزيلة نجبن عند اللقاء ونذل للمتكبرين المتعطرسين ، لا فقد كان النبي ﷺ وكذلك صحابته الكرام أشجع الناس عند اللقاء ، وأعز الناس عند المشركين المتكبرين ؛ لقول الله تعالى : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [ المائدة : ٥٤ ] ، فهذا هو النبي ﷺ وهذه هي أخلاقه وأخلاق أمته ؛ فلكل مقام مقال ، فهل يعي دعاة الإسلام هذا الجانب العظيم فيلتزموه قولاً وعملاً وسلوكاً ؛ فيوفقون في دعوتهم وينجحون في سيرتهم ..

نسأل الله أن يكون ذلك ، والحمد لله رب العالمين

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٢٥٦/٥-٢٥٧) ، والطبراني في « الكبير » (٧٦٧٩) من حديث أبي أمامة الباهلي ، بسند صحيح . وانظر « مجمع الزوائد » (١/١٢٩) .

## أولويات الدعوة إلى الله

كثيرٌ هم العاملون للإسلام لكنهم أشكال وأنواع فمنهم المخلصون وهم على قسمين :

مخلصون في دعوتهم لكنهم لا يدرون من أين يبدءون ، وكثير منهم لا يملكون العلم النافع القائم على الكتاب والسنة ، فتراهم مع إخلاصهم يتخبطون في جهلهم ؛ فهؤلاء ربما كان ضررهم أكثر من نفعهم .

وآخرون مخلصون وعندهم من العلم ما يخولهم لتبوؤ الصدارة في المجتمع الإسلامي ؛ لكنهم لا يعرفون من أين يبدءون وحالهم كحال من رأى قوماً قد تحطمت سفينتهم وتعلق أهلها بالأوحاها فأخذ يجمع هذا الحطام قبل إنقاذ الناس من الغرق - الذي يتهدهم - فمعرفة كيف ومتى يبدأ الداعية دعوته فقه عظيم من فقه الدعوة إلى الله لأنه كمعرفة الداء قبل صرف الدواء .

• البدء بما بدأ به الأنبياء عليهم السلام سبب نجاح الدعوة

والدعاة .

معلوم لدى المسلمين جميعاً أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أنزل الكتب وأرسل الرسل إذ إن الرسل جميعاً جاءوا لأقوامهم يدعونهم إلى غاية واحدة وهدف سامٍ جليل من أجله قامت السموات والأرض وهو عبادة الله سبحانه وتعالى لا شريك له .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ؛ فالأنبياء جميعاً

قالوا لأقوامهم وشعوبهم : ﴿ يَلْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ؛

فأول كلمة قرعت أسماع المشركين من النبي ﷺ : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا »<sup>(١)</sup> ، ولما كان العرب هم أهل اللسان والبيان علموا معنى هذه الكلمة مع إقرارهم أن الله ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم ونزل عليهم الغيث ولكن شق عليهم التبرؤ من آلهتهم الأرضية المتمثلة في أصنامهم بأشكالها وأسماءها لأنهم يعلمون أن من لوازم إفراد ربهم بالعبادة الانسلاخ عن هذه الآلهة الباطلة وعدم صرف شيء من العبادة لها وهذه نقطة الخلاف بينهم وبين النبي ﷺ ، وأخطأ من زعم - من أدعياء العلم - أن المشركين كانوا يعتقدون في أصنامهم ما يعتقدونه في ربهم من خلق ورزق وإماتة فمن زعم ذلك فما شم رائحة العلم وما وعى شيئاً من التوحيد .

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ .

### • قبول الأعمال منوط بصلاح العقيدة :

والأعمال أنواع مختلفة منها الركن ومنها الواجب ومنها المندوب فإذا علمنا أن الأعمال الصالحة لا تُقبل عند الله سبحانه وتعالى إلا إذا كان صاحبها موحداً وحقق شرطين اثنين في عمله :

الأول : الإخلاص لله سبحانه وتعالى .

الثاني : موافقة هدي النبي ﷺ ويتمثل هذين الشرطين في قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ .

(١) أخرجه ابن حبان ، وصححه شيخنا في « إرواء الغليل » (٨٣٤) .

فمن حقق هذين الشرطين ولم يكن موحداً لله سبحانه وتعالى - الذي هو بمثابة الروح والجسد والأساس للبناء - فقد حبط عمله لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، والموحد لا يكون موحداً حتى يجتنب ثلاثة أنواع من الشرك ؛ الأول : شرك الربوبية ؛ وهو الإشراف مع الله في أفعاله ؛ كقول غلاة المتصوفة: « وإن من جودك الدنيا وضرتها » . والثاني : شرك في العبادة ؛ كدعاء غير الله والاستغاثة بهم والذبح لهم والنذر لهم وغير ذلك . والثالث : شرك في الأسماء والصفات ؛ وهو وصف الله سبحانه وتعالى بصفات المخلوقين ، أو تشبيهه الله بخلقه وتعطيل أسماء الله وصفاته العليا التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٣٦﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

● بعض الدعاة يقدمون ما حقه التأخير ويؤخرون ما حقه

التقديم .

والداعية ينبغي أن يتلمس حاجات الأمة ويعرف أمراضها المستعصية المهلكة فيبادر لعلاجها قبل غيرها ؛ كما لو رأيت مصاباً ينزف دماً غزيراً وعلمت أنه مصاب بزكام في أنفه فالواجب عليك أولاً إيقاف نزيفه الذي لو استمر أدى إلى هلاكه ، والداعية كالتاجر الحاذق الذي خبر حاجات الناس واطلع على ما يُروج عرضه في الأسواق . فلا تكن أخي الداعية كمن يبيع

الثلج في موسم الشتاء ، ولا كمن يحاول بناء السقف قبل تثبيت الأساس  
فأول ما يجب البدء به في دعوتك أخي الداعية هي العقيدة ؛ التي هي أساس  
الدين وقاعدته الصلبة .

فإن صلحت صلح ما بعدها وإن فسدت فسد ما بعدها ؛ لذا رأينا  
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يبدءون دعوتهم بإصلاح عقائد الناس أولاً .  
قال أحد الفضلاء :

**العلم إن طلبته كثير**      **والعمر عن تحصيله قصير**  
فقدم المهم منه فالمهم . والله أعلم .

## من أخلاق الخطيب الأول ﷺ وجوامع كلمه

لا أحد يُنكر ما للمنبر في الإسلام من دور ريادي في توجيه الأمة نحو الخير ، وشحذ هممها للجهاد في سبيل الله ، والعمل المتواصل الدءوب لئصرة الإسلام ، والعمل على خدمته .

لذا أولى الإسلام المنبر اهتماماً عظيماً ، فأمر ألا يعتليه كل من يشتهيه بحق أو بباطل ، إلا من كان أهلاً له ، لأن الأمر إذا وسد إلى غير أهله فانتظروا الساعة كما جاء في الحديث الصحيح .

وقد لعب المنبر دوراً عظيماً في الإسلام خصوصاً في حروب النبي ﷺ مع المشركين ، فقد كان النبي ﷺ يُعد لحسان بن ثابت شاعر الإسلام منبراً ليهجو الكفار ، ويُلهب حماس المؤمنين المجاهدين ، وكان ﷺ يقول لحسان : « اهجهم وروح القدس معك » ، وقال له : « اهجهم » ، والذي نفسي بيده إنه لأشد عليهم من وقع النبل »<sup>(١)</sup> .

قال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز - رحمه الله - في تقديمه لكتاب « الحداثة » (ص:٥) : « وهذا الكلام من النبي ﷺ يدل على أن سلاح الكلمة والبيان من الأسلحة الماضية التي اتخذها الرسول ﷺ لمنازلة أعداء الإسلام بها جنباً إلى جنب مع سلاح السيف والسنان » . فهما صنوان لا يفترقان .

وقال ﷺ : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة »<sup>(٢)</sup> .

وقد كان الوعاظ والخطباء من سلفنا إذا وعظوا الناس أبكوهم وأثروا

(١) متفق عليه .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

في حياتهم أيما تأثير ، وما ذلك إلا لإخلاصهم ، وصلاح ظاهرهم وباطنهم ،  
وجمعهم بين القول والعمل ، والأسوة الحسنة ، وفصاحتهم ، وبلاغتهم ،  
فمواظب الحسن البصري وابن الجوزي وغيرهما من علماء الإسلام ما زال  
علماء الإسلام يقتبسون منها ويتعظون . وقد سُئل أحد الوعاظ الخطباء من  
سلفنا : ما لك إذا وعظت الناس أبكيتهم ، وإذا وعظهم غيرك لم يتأثروا ؟  
فقال : « ليست الأم الثكلى كالنائحة المستأجرة » .

ولما كان شأن الخطبة عظيماً أمر الرسول ﷺ بالإصغاء إليها والإنصات  
لها ، وعدم الاشتغال بغيرها ، وجعل الاشتغال عنها من اللغو المذهب للأجر ،  
فقال ﷺ : « إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب : أنصت ، فقد لغوت » (١) .

إذا علمنا ذلك فما هو حق هذا المنبر ، منبر رسول الله ﷺ الذي اتتمن  
الله عليه خطباء هذه الأمة !؟

وسؤالي يدور حول حق منبر المسجد أول منبر في الإسلام ، أما منبر  
الصحافة ، والإذاعة المسموعة والمرئية وغيرها من منابر فهي ليست موضوع  
كلامنا ، وإن كانت لا تقل أثراً عن منبر المسجد ، فمن ارتقى شيئاً من تلك  
المنابر فهو على ثغر من ثغور الإسلام فليحذر أن يؤتى الإسلام من قبله .

ورسالتني هذه موجهة إلى خطباء المساجد من علماء وطلاب علم ، إذ  
الأصل في المنبر ألا يعتليه إلا من كان من أهله . وإلا كان إثمه أكثر من  
نفعه ، وشره أكثر من خيره ، قاد الأمة إلى واد سحيق .

وكم هي المنابر التي تئن وتشتكي أولئك الذين تسلقوها ظلاماً وزوراً ،

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

فلم يتقوا الله فيها ، ولم يعطوها حقها - الذي أمروا به - ، فهي تئن من تحت أقدامهم أين العشار شوقاً إلى الخطباء المتبعين لا المبتدعين ، العاملين لا الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويهدمون أكثر مما يبنون ، يحيون الأمة من جديد يبعثونها من رقادها ، ولا يعملون على إخمادها وتحديرها وشغلها بقضايا لا تخدم المصلحة العامة فضلاً عن خدمة القضية الإسلامية تفرغاً لحماستهم ، وشغلاً لعواطفهم !!

إلى خطباء الأمة أوجه كلماتي هذه ، راجياً بها النصح والإرشاد والله على ما أقول شهيد .

قال الله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿١٨﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿ [ الزمر : ١٧-١٨ ] .

\* اعلموا إخواني الخطباء أن حقوق المنبر عليكم كثيرة ، فمنها : أن تقوا الله فيه ، فهو أمانة ائتمنكم عليها ربكم لتعظموه وتمجدوه وتوحدوه جل جلاله ، لا لتعظموا من خلاله أنفسكم ، وتعلوا على أقرانكم ، ويشار إليكم بالبنان ؛ ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْأَخْرَىٰ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [ القصص : ٨٣ ] .

\* أيها الخطباء الأفاضل : المنبر لتوجيه الأمة نحو الخير ، ولتوحيد الله والتحذير من الشرك ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإعلاء كلمة الله تعالى ، وليس المنبر مكاناً للمهاترات والشتائم والسخائم وتسفيه أحلام الآخرين وتجهيلهم ورميهم بفظائع الأمور .

\* أيها الخطباء الأفاضل : ليس المنبر مكاناً لاستخراج الأحقاد الدفينة

والعصبيات المقيتة ، إنما المنبر دعوة للحق على بصيرة وعمل متواصل لجمع الكلمة وتأليف قلوب الأمة وجمعهم على كلمة سواء على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعلى منهج السلف الصالح .

\* أيها السادة الخطباء : الناس تنظر إليكم نظرة إجلال وتعظيم ، وعدوكم يتربص بكم الدوائر فلا تشمتموا بكم الأعداء وتُخبئوا فيكم آمال الصديق بل الأمة كلها فتنفذ أيديها منكم ، فاشتغلوا بعدوكم جميعاً ولا يشغلنكم الشيطان بضعكم ببعض .

\* أيها الخطباء الأفاضل : اهتموا بقواعد دينكم واشتغلوا بها ولا تفرقوا ولا تختلفوا ، ولا يحملنكم تعصبكم لرأيكم على هجر إخوانكم والهجوم عليهم والتشهير بهم من على منابرهم فهي ليست ملكاً لكم لتقولوا عليها ما تريدون ، وتتصروا لأنفسكم ، بل هي ملك لله رب العالمين ، فالفرقة عذاب والخلاف شرٌّ ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٦﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٦٧﴾ [الروم : ٣١-٣٢] .

\* أيها السادة الخطباء : تذكروا قول الله تعالى : ﴿ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال : ٢٥] ، فالفتنة نائمة ، فمن أيقظها لم ينج منها ، وباء بإثمها ، ومن أجاج نار الفتنة أحرقتة يوماً من الدهر علم أو لم يعلم .

\* يا خطباء المساجد : نزهوا ألسنتكم عن الطعن في علماء المسلمين ، خصوصاً الأئمة العاملين المتبعين للسنة السائرين على نهج سلف هذه الأمة ،

فأولئك مصابيح الدجى وهم ورثة الرسول ﷺ حقاً ، فمن طعن فيهم اتهمناه ، لأنه طعن في الدين ، قال ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء » (١) ، وقال في الحديث القدسي : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » (٢) ، قال الإمام الشافعي رحمه الله : « لو لم يكن العلماء هم أولياء الله ، ما كان لله وليٌّ » .

\* أيها الخطباء الكرام : إن جمع كلمة الأمة وتوحيد صفوفها أمام عدوها الظاهر والباطن وظيفتكم وأنتم مسئولون عنها فماذا أنتم قائلون أو فاعلون ؟

\* أيها الخطباء الأفاضل : عالجوا خلافاتكم بعيداً عن أعواد المنابر وظهورها ، وبعيداً عن أسماع العامة لئلا توقعوهم في الفتنة والحيرة وسوء الظن بكم جميعاً بل الطعن بكم أجمعين .

\* أيها الخطباء الأفاضل : تذكروا قول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه : « لا تظنن بكلمة خرجت من فم أخيك شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً » ، وتذكروا قول أحد علماء السلف : « ظلم لأخيك أن تخفي تسعاً وتسعين حسنة من حسناته وتظهر سيئة واحدة من سيئاته » .

\* أيها الخطباء الأفاضل : لا تتعجلوا بالحكم على الآخرين قبل أن تتبينوا وتتثبتوا ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [ الحجرات : ٩ ] ، واحذروا كل نمام قنات ، فمن نَمَّ لك نَمَّ عليك .

(١) رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان في « صحيحه » وإسناد حسن .

(٢) رواه البخاري .

\* أيها الخطباء الأفاضل : ليكن ولاؤكم لله ورسوله فلا تتعصبوا لجماعة أو حزب أو طريقة ، بل تعصبوا للحق وحده ، واحذروا اتباع الهوى ، فكم رجل ضل وزاغ باتباع هواه ، قال تعالى : ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ ص : ٢٦ ] .

\* أيها الخطباء الأفاضل : حذروا الأمة من الشرك صغيره وكبيره ، وادعوهم لتوحيد الله وإفراده وحده بالعبادة ، وحذروهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وإياكم والكذب على الله بقول ما لا تعلمون ، والكذب على رسوله بنسبة أحاديث لم يقلها ولم تصح نسبتها إليه .

\* أيها الخطباء الأفاضل : لقد كان نبيكم إمام الخطباء إذا خطب علا صوته واحمرت عيناه وكأنه منذر جيش : صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ يَلْهَبُ الْمَشَاعِرَ لَا لِمَجْرَدِ حِمَاسَةٍ أَوْ عَاطِفَةٍ ، ولكن ليوقد الحس في الضمائر ، ويؤجج جذوة الإيمان في الصدور فتأسوا به في خطبكم لتجنوا ثمار أعمالكم .

\* أيها الخطباء الكرام : لا تكثروا على الناس فيملوا ، وتذكروا قول نبيكم : « إن قصر خطبة الرجل وطول صلاته مئنة فقهه » <sup>(١)</sup> ، فتشبهوا بنبيكم تفلحوا .

\* أيها الخطباء الأفاضل : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم عليكم بالاتباع واحذروا الابتداع ، ولا تتبعوا الرخص فتساهلوا في دين الله وتجاهلوا العامة والخاصة على حساب الحق ، فأنتم قدوة الناس في الخير .

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » .

\* أيها الخطباء الأحبة : هذه نصيحتي إليكم ، نصيحة أخ محب لكم  
جميعاً ، راجياً تقبلها والإفادة منها ، ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٥٥] ، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ  
أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] ،  
﴿ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ  
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

## السنة بين أتباعها وأعدائها

إن القرآن الكريم حافل بالآيات الداعية إلى اتباع السنة ولزومها والتمسك بها ، وكيف لا وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي . وهي الشارحة للقرآن المفصلة لأحكامه والمقيدة لمطلقه ، وهي المبينة له المفسرة لمحكم آياته .

قال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۗ ﴾ [ النساء : ٨٠ ] .

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۗ ﴾ [ النساء : ٥٩ ] .

الرد إلى الله في هذه الآية - كما قال العلماء - : الرد إلى كتابه والرد إلى رسول الله الرد إلى سنته . فالدين إذن كتاب وسنة ولن يفترقا أبداً ما دامت السموات والأرض ، والاستغناء بأحدهما عن الآخر - كاستغناء القرآنيين بالقرآن عن السنة - كفر وضلال مبین ؛ لأن إنكار السنة إنكار للوحي المنزل من عند الله ، لأن السنة من وحي الله قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ۝١ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾ [ النجم : ٣ ، ٤ ] .

فإذا كانت السنة من الوحي فما حكم من ردها وأنكرها ؟ الجواب هو كافر مرتد عن دين الإسلام حتى لو آمن بالقرآن الذي أمر باتباع السنة قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۗ ﴾ .

قال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

وَالْحِكْمَةَ ﴿ [الأحزاب : ٣٤] .

الحكمة في هذه الآية عند جماهير علماء الدين هي سنة النبي ﷺ فلا يسوغ لأحد إنكارها أو ردها ؛ لأن إنكارها إنكار للأصل الثاني وإنكار للتشريع الإسلامي الذي تكفل الله بحفظه .

(١) والسنة محفوظة كالقرآن .

والسنة الصحيحة محفوظة كالقرآن ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، والذكر هو القرآن والسنة فالقرآن يفسر بعضه بعضاً ويفسر هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٣ ، ٤٤] .  
وأهل الذكر في هاتين الآيتين : هم أهل العلم ، والعالم لا يكون عالماً إلا إذا كان عالماً بالكتاب والسنة ؛ فعلم من ذلك أن أهل الذكر هم علماء الكتاب والسنة ، ولما كانت السنة من الوحي يسّر الله علماء جهابذة يذبون عنها كل ما ليس منها ، وهذا مصداق قول رسول الله ﷺ : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

(٢) لا بد من السنة لفهم القرآن وأحكامه .

والقرآن نزل ببعض الأحكام والسنة جاءت شارحة ومفصلة للقرآن فمثلاً : الصلاة جاء الأمر بها في القرآن إجمالاً دون تفصيل قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ .

فلو أردنا أن نصلي كما يحب الله ويرضى وكما كان يصلي النبي ﷺ فلا بد من الرجوع إلى السنة فقد صلى النبي ﷺ أمام أصحابه على المنبر وقال لهم : « إنما فعلت ذلك لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي فصلوا كما رأيتموني أصلي » . رواه البخاري <sup>(١)</sup> ، وكيف نفرق بين الركن الواجب والمستحب في أحكام صلاتنا دون الرجوع إلى السنة وكذلك الحج ورد الأمر به إجمالاً دون تفصيل فكيف تحج على الصفة المشروعة التي أمر بها الرسول ﷺ في سنته بقوله : « خذوا عني مناسككم » <sup>(٢)</sup> .

وهكذا في سائر العبادات إن لم نستعن بالسنة الصحيحة لفهم القرآن ضللنا السبيل وتخبطنا في ظلمات الجهل وأعملنا رأينا في الحكم على آيات القرآن الكريم . ومن أضل ممن فسر القرآن برأيه دون وحي السنة ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ... يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله من حلال اتبعناه » <sup>(٣)</sup> .

### ٣ - السنة قد تُنسخ القرآن وهي مُقيّدة لمطلقه :

من الأدلة التي لا يستطيع أن يكابر فيها أهل البدع على حجية السنة ومنزلتها وأنه لا يستغنى عنها بالقرآن المثل التالي : معلوم أن الله سبحانه وتعالى قد حرم الميتة والدم حيث قال جل جلاله : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ

(١) أخرجه البخاري في « الصحيح » رقم (٦٠٠٨) ، ومسلم في « الصحيح » (١/٤٦٥ و ٤٦٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٤/٣٨) .

(٣) أخرجه في « المسند » (٨/٦) ، وأبو داود في « السنن » رقم (٤٦٠٥) ، والترمذي في « الجامع »

(٢٦٦٥) ، وابن ماجه في « مقدمة السنن » رقم (٦٣) ، وحسنه الترمذي ، وانظر « صحيح

الجامع » لشيخنا الألباني رحمه الله .

الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لِعَيْرِ اللَّهِ ﷻ، فلو أردنا أن نستغني عن السنة بالقرآن لحرمنا على أنفسنا كل ميتة وكل دم ، فالكبد والطحال والسّمك والجراد حرام على ظاهر هذه الآية ، لكن السنة النبوية استثنت من الميتة أمرين ومن الدم أمرين فالسّمك والجراد والكبد والطحال حلال في ديننا وهذه الأشياء مستثناة من التحريم عن طريق السنة .

قال عليه الصلاة والسلام : « أحل لنا ميتتان ودمان ؛ فأما الميتان فالسّمك والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال » <sup>(١)</sup> .

وسئل عليه الصلاة والسلام عن ماء البحر فقال : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » <sup>(٢)</sup> .

فالقرآنيون الذين ينكرون السنة يجرمون على أنفسهم ما أحل الله لهم على لسان رسوله ، والأمثلة على ذلك كثيرة معلومة وليس غرضنا حصرها في هذه العجالة .

ومن أمثلة نسخ القرآن بالسنة الصحيحة قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ، فلا وصية لوارث » <sup>(٣)</sup> .

فإن هذا الحديث قد نسخ الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون ، قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٩٧/٢) ، والشافعي في « الرسالة » (٤٢٥/٢) ، وابن ماجه في « السنن » رقم (٣٣١٤) ، والحديث صحيح .

(٢) أخرجه مالك في « الموطأ » (٢٢/١) ، وأبو داود في « السنن » رقم (٨٣) ، والترمذي في « الجامع » رقم (٦٩) ، والنسائي في « المجتبى » (٥٠/١) ، وابن ماجه في « السنن » رقم (٣٨٦) ، وصححه البخاري وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم .

(٣) أخرجه أحمد في « المسند » (١٦٤/٤) ، والترمذي في « الجامع » (٢١٢٢) ، والنسائي في « المجتبى » (٢٤٧/٦) ، وابن ماجه في « السنن » (٢٧١٢) ، وانظر « صحيح الجامع » للعلامة الألباني رقم (١٧٨٨) .

الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿ [البقرة: ١٨٠] .

٤ - فلسفة دخيلة على الإسلام ينبغي الحذر منها :

ومن فلسفات أعداء السنة قديماً وحديثاً التفريق بين الخبر المتواتر وخبر الأحاد الصحيح المتلقى بالقبول ، ففي باب العقيدة لا يحتاجون بخبر الواحد ولا يرون ثبوت عقيدة به وهذه الفلسفة يتبناها بعض دعاة الإسلام اليوم تبعاً لأسلافهم من المعتزلة غير أن أسلافهم لا يفرقون بين العقيدة والأحكام فخير الواحد عندهم لا يثبت به عقيدة ولا حكم شرعي أما خلف المعتزلة دعاة اليوم<sup>(١)</sup> فهم يقبلون خبر الواحد في الأحكام ويردونه في العقيدة فنجم عن هذه البدعة رد كثير من عقائد المسلمين أهل السنة والجماعة كعذاب القبر ونزول المسيح وخروج الدجال وغير ذلك كثير ، فماذا بعد الحق إلا الضلال . أما أنصار السنة وأتباعها من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وأهل الحديث والأثر ؛ كالإمام البخاري وغيره فعندهم أن خبر الواحد إذا كان صحيحاً متلقى بالقبول محتج به مقبول معمول به في العقيدة والأحكام وسائر أحكام الإسلام .

ومن أدلتهم على حجية خبر الواحد قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ

لِيَنْفِرُوا كَأَفْئَةٍ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ

وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿ [التوبة: ١٢٢] ، وحديث

تحويل القبلة من أدلتهم أيضاً ؛ فقد جاء أحد الصحابة على قوم يصلون إلى

(١) كجماعة حزب التحرير - المعتزلة الجدد - .

جهة بيت المقدس بعد تحول القبلة - وكان قد صلى مع النبي ﷺ إلى الكعبة - ، فأخبرهم بذلك وهم في صلاتهم ، فانفتلوا وتحولوا إلى جهة الكعبة ، فهل طلبوا منه أن يأتي بعشرات الرجال من أمثاله حتى يُصدِّقوه ويعملوا بخبره وقوله ؟ لم يكن شيء من ذلك بل أطاعوا وامثلوا ، فعملوا بخبر هذا الواحد المسلم العدل الثقة . وحديث تحويل القبلة هذا رواه البخاري ومسلم من حديث البراء بن عازب ، ونحو ذلك شهادة الأعرابي على رؤية هلال رمضان قبلها النبي ﷺ بعد أن شهد الأعرابي بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأمثلة ذلك كثيرة، لقد صدق الرسول عليه السلام حيث قال لأصحابه : « إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً .. » إلخ<sup>(١)</sup> ، وعلى أعداء السنة تدور الدوائر ، والله مظهر دينه ومتم نوره رغم أنوف أعداء السنة جميعاً . والحمد لله رب العالمين .

---

(١) تقدم تخريجه ، ولتمام البحث راجع « مختصر الصواعق المراسلة » لابن القيم ، و« شرح العقيدة الطحاوية » للإمام ابن أبي العز الحنفي .

## أخلاق النبي ﷺ في السلم والحرب

لقد مدح الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ الأخلاق ، وأثنى على أهلها وعلى رأسهم محمد ﷺ حيث قال في حقه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ولما سُئِلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن أخلاقه ﷺ قالت : « كان خلقه القرآن » . يا لها من عبارة وجيزة بليغة جمعت الخير كله .

كان ﷺ يهتدي بهدي القرآن ، يتمثل بأخلاق القرآن ، ويمشي بها في الناس في سلمه وحربه ومع أصدقائه ومع أعدائه ؛ فيترجم أخلاق القرآن إلى واقع حي ملموس ليكون قدوة وأسوة كما وصفه الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

وقد لخص النبي ﷺ دعوته وحصرها في قوله: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ؛ لأن الأخلاق شملت سائر الدين ، فهي ذات ارتباط وثيق بالعقيدة ، والعبادة ، والمعاملة ، والسلوك ، والعادات ، ولها تأثير مباشر في إيمان المرء وعقيدته، قال ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً » ، فحسن الخلق من كمال الإيمان ، وهو من أكبر أسباب دخول الجنة قال ﷺ - وقد سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة - فقال : « تقوى الله وحسن الخلق » .

وكلما كان الرجل حسن الخلق كان أحب وأقرب إلى الرسول ﷺ : « وإن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً » .

وقد جعل الرسول ﷺ سوء الخلق من خصال النفاق فقال ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » ، فجعل هذه المساوئ الأخلاقية دليلاً على النفاق ، فالأخلاق الإسلامية جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلم : « إن الحياء والإيمان قرنا جميعاً ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر » ، وقال ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ... » والزنا من الفواحش الأخلاقية .

إن الله تعالى قبل أن يأمر عباده بالأخلاق الحسنة وينهاهم عن الأخلاق السيئة يبدأ نداءه لهم بالإيمان : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ ، وهكذا فالقرآن مليء بهذه الأخلاق التي دعا إليها المؤمنين وترجمها ﷺ واقعاً حياً بين الناس ، فكان بحق ترجمة عملية لأخلاق القرآن حتى عند القتل والقصاص والذبح الحلال أمر المسلم بالإحسان : « إذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

وكان من أخلاقه ﷺ أنه لا يغدر ، وكان يجابه أعداءه وجهاً لوجه بعد أن يدعوهم إلى الإسلام ويقيم الحججة عليهم ، وكان يوصي قادة الجيوش ألا يقتلوا طفلاً ولا امرأة ولا شيخاً ولا يقطعوا شجرة ، وكان رحمة مهداة للعالمين ؛ كما وصفه ربه سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِّلْعٰلَمِيْنَ ﴿ ، عفا عن ظلمه ، وأحسن إلى من أساء إليه ، وعفا عن أهل مكة ، وأهل الطائف الذين آذوه وأخرجوه . فأين ذلك من أولئك الغلاة القتلة<sup>(١)</sup> الذين لا يفرقون بين كافر ومسلم ؟ ومحارب ومستأمن ؟ وصغير وكبير ؟ فيقتلون قتلاً عشوائياً بلا رحمة ولا هوادة !!  
وأول ما يقتلون إلا أنفسهم بطريقة بشعة فيها إحراق وتشويه بشع فهل نحن سائرون على أخلاق القرآن لنفوز مع أهله ؟  
جئب الله أرض الإسلام كل فتنة ، وكفى الله المسلمين شرور أعدائهم من الكفار والمنافقين والغلاة الخارجين إنه ولي ذلك والقادر عليه .

---

(١) أصحاب التفجيرات في أرض الحرمين - صانها الله من الفتن ما ظهر منها وما بطن - وأرض المغرب والمشرق، فالواجب التصدي لهذا الفكر التكفيري التفجيري ومنعهم من استغلال أرض الإسلام لضرب الإسلام في أرض الإسلام ، والله غالب على أمره .

## وجوب تعاون المسلمين على البر والتقوى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ... والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » . أخرجه مسلم في « صحيحه » .  
أمر الله سبحانه وتعالى بالتعاون على البر والتقوى ، وأكد رسول الله عليه الصلاة والسلام بقوله وفعله .

قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ، فالتعاون المحمود شرعاً هو : ما كان في الله ، والله ، وأعان على طاعة الله ، وما سوى ذلك فليس من الله في شيء ، وأصحابه آثمون ؛ لتعاونهم على معصية الله سبحانه وتعالى .

والنبي ﷺ هو أول واضع للبنة التعاون في صرح العمل الإسلامي فهو - عليه الصلاة والسلام ، وفي أول يوم من هجرته ، وفي أول ساعة من وصوله إلى المدينة المنورة - ندب الصحابة رضي الله عنهم فشمروا جميعاً عن سواعد الجذ ، وبدءوا ببناء المسجد ؛ ليصبح أول منطلق للدعوة الإسلامية ، وشارك النبي ﷺ بنفسه في بناء المسجد ؛ ليكون حافزاً قوياً لهم على العمل الجاد المخلص ، وليبين لهم : أن الإسلام دين عمل وجهاد وتعاون ، وأن القائد المسلم ينبغي أن يكون متواضعاً ، وألاً يستكبر عن العمل مع رجاله وجنده ، فلما رأى الصحابة رضي الله عنهم نبهم ﷺ يعمل بيديه الشريفتين معهم تفتانوا في العمل .

والأمر نفسه قد وقع في حفر الخندق - ذلكم الخندق الطويل العظيم

الذي احتاج إلى جهد كبير - ولولا مشاركة النبي ﷺ بنفسه في العمل لما استطاع الصحابة رضي الله عنهم حفره قبل هجوم الأحزاب عليهم ، وقد أدرك النبي ﷺ أهمية التعاون وعظم أثره في بقاء المجتمعات ، فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن آخى بين المهاجرين والأنصار ، فتعاونوا على البر والتقوى ، وضربوا بإخائهم أروع الأمثلة في المحبة والصدق والإيثار ، وحب الخير لإخوانهم ما لم يشهد التاريخ له مثيلاً ، مما أورث في قلوب المهاجرين حب الأنصار ، لأن حب الأنصار للمهاجرين وتعاونهم معهم وإيثارهم على أنفسهم لم يكن - ألبتة - لغرض دُنْيوي ، وإنما كان حباً في الله وابتغاء مرضاته .

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

#### • الأمة الإسلامية كالبنيان الواحد :

والنبي ﷺ يُشبه الأمة بالبنيان المتراس المركب من اللبنيات ، وكل فرد من أمة النبي ﷺ لبنة في هذا البناء ، فلا بد لكمال هذا البناء وسلامة بنيانه من سلامة هذه اللبنيات وتماسكها ، أما إذا تفككت وتهللت تصدع البناء وانهار ، وكذلك الأمة الإسلامية ، أفرادها لبنات في المجتمع الإسلامي ، لا بد من تضافر جهودهم واجتماع كلمتهم على طاعة الله سبحانه وتعالى وعلى ما يعود على أمة الإسلام بالخير .

وما أصاب المسلمين على مر العصور من وهن وضعف وتسلط أعدائهم عليهم إلا بسبب تفككهم وضعفهم وقلة تعاونهم فيما بينهم ، والتاريخ

يشهد لما نقول كما حدث أيام المغول والصليبيين ، وفي الأندلس وفلسطين ، وكذا في البوسنة والهرسك ، والجمهوريات الإسلامية - الروسية - !! وأخيراً في العراق .

قال تعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَنْزَعُوا فِتْنَتَهُمْ وَلَا تَنْزَعُوا فِتْنَتَهُمْ وَلَا تَنْزَعُوا فِتْنَتَهُمْ وَلَا تَنْزَعُوا فِتْنَتَهُمْ ﴾ أي :

قوتكم .

وقال عليه الصلاة والسلام : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه » متفق عليه .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : « هذا تمثيل يُفيد الحض على معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته ، وأن ذلك أمر متأكد لا بد منه ، فإن البناء لا يتم ولا تحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضاً ، ويقويه وإن لم يكن ذلك انحلت أجزاءه وخرب بناؤه ، وكذلك المؤمن لا يستقل بأمر دنياه ودينه إلا بمعاونة أخيه ومعاضدته ، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه ومقاومة مضاره ، فحينئذ لا يتم له نظام دنياه ولا دينه ويلحق بالهالكين » .

ومجالات التعاون بين المسلمين كثيرة جداً : فهم يتعاونون في مساجدهم على طاعة ربهم فعلمائهم يعلمون عامتهم ويفقهونهم في دينهم ، ويتعاونون في جهادهم على قتال أعدائهم وحماية دينهم وأعراضهم وأوطانهم .

ولقد رأينا ما أصاب المسلمين في بعض ديار الإسلام من هوان شديد ناتج عن تسلط الأعداء عليهم ، وذلك عندما تخلى عنهم أبناء دينهم وعقيدتهم ، فنال منهم العدو ما نال من قتل وأسر وتشريد ، فأصابهم ما

أصاب الثيران أصحاب الحكاية المشهورة التي تُروى في كتب الأدب الذين قيل فيهم المثل المشهور : « أكلت يوم أكل الثور الأبيض » !

فالعدو الماكر اللثيم يعرف متى ينقض على هذه الأمة ، فأول عمل يقوم به تشتيت جمعهم ، وتفريق كلمتهم ، والوقية بينهم ، فإذا تفرقوا خلا بهم على انفراد .

ولقد حذر النبي من التفرق بقوله عليه الصلاة والسلام : « ما من ثلاثة في قرية ولا بادية لا يقيمون صلاة الجماعة إلا استحوز عليهم الشيطان ، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » <sup>(١)</sup> ، أي : المتخلفة عن القطيع ، المنفردة وحدها ؛ لأن نجاتها وسلامتها ببقائها مع جماعتها من الأغنام ، وكذلك يُقال لهذه الأمة التي تداعت عليها الخصوم والأعداء كتداعي الأكلة إلى قصعتها .

فالاتِّباع قوة والتفرق ضعف وتشتت وهوان .

### تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت أحادا

فالتعاون مطلوب من الجميع ؛ أفراداً وجماعات ، وعلى المستويات كافة ، في البيت ، وفي السوق ، وفي المسجد ، وفي الحقل ، وفي المصنع ، وفي الحرب ، وفي السلم ، وفي كل ميادين العمل .

ولا بد من المحبة والإخاء ، لدوام التعاون بين المسلمين ، فالنفس البشرية لا تأنس إلا بمن تحب ، فالأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، ولذلك رغب النبي ﷺ أمته أن تتعارف فيما بينها ،

(١) رواه أبو داود والنسائي عن أبي الدرداء ، انظر « صحيح الترغيب » (٤٢٥) .

وأن يزور بعضها بعضاً ، ووضع حقوقاً للمسلم بأدائها والمحافظة عليها تدخل المودة إلى قلوبهم ؛ فزيارة المريض إذا مرض ، وتشميت العاطس إذا عطس ، ورد السلام على من عرفت ومن لم تعرف ، ومشاركة المسلمين في أفراحهم ، والشعور معهم في مصائبهم وأحزانهم ، كل ذلك قواعد متينة لبقاء المودة بين المسلمين واستمراريتها ، وهي سبب مباشر لتعاونهم بعضهم مع بعض .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :  
« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . متفق عليه .  
ففي هذا الحديث تعظيم حقوق المسلمين ، والحض على تعاونهم ، ورحمة بعضهم بعضاً .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا<sup>(١)</sup> ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ؛ المسلم أخو المسلم ؛ لا يظلمه ، ولا يحقره ، ولا يخذله ، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ؛ دمه وماله وعرضه » . رواه مسلم .  
فانظر رحمك الله إلى مجتمع سلم من هذه الآفات والأمراض كيف لا يكون قوياً سليماً يتعاون أبنائه فيما بينهم ويتحابون في الله ، وينصر قلوبهم ضعيفهم؟! وهذا هو سر فلاح أسلافنا وانتصارهم على أعدائهم وتمكين الله لهم في الأرض .

(١) النجش : الزيادة في الثمن بقصد أن يغر غيره ، ولزيد من التفصيل والإيضاح ينظر كتابي « جريمة الغش » .

فهل ندرك - حقيقة - ما كان عليه أسلافنا من التعاون وحب الخير  
للآخرين فنفوز كما فازوا ، وبذلك يحقق الله لنا ما وعدنا في كتابه وسنة  
رسوله ، نسأل الله أن يكون ذلك قريباً . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب  
العالمين .

## التحايل على شرع الله

إن الاحتيال على شرع الله من أعظم البدع وأخطرها وهي سنة قديمة سنها اليهود الذين عرفوا قديماً وحديثاً بمكرهم وخبثهم ووقعتهم بين الناس فما من شر وفتنة إلا هم وراءها ومدبروها وما حكاية عبد الله بن سبأ عنا ببعيد .

مصدقا لقول الله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۗ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۙ ۝۱۰۰ ﴾ .

ولم يطل شر اليهود الناس فحسب بل تعدى شرهم إلى أنبيائهم فقتلوهم شر قتلة واتهموا بعضهم بتهم نزههم الله عنها ، ولم يقف أمرهم عند هذا الحد بل أخذوا يتلاعبون بشريعة أنبيائهم ليحلوا ما حرم الله عليهم بأدنى الحيل ، وقصة أصحاب السبت معلومة مشهورة ، قال تعالى :

﴿ وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۗ ۝۱۰۰ ﴾ ؛

وخلاصة هذه القصة : أن الله سبحانه وتعالى قد حرم على اليهود أن يصطادوا السمك يوم السبت فوضعوا شباكهم قبل يوم السبت فوقع فيه السمك يوم السبت فأخذوه يوم الأحد وبذلك احتالوا على شرع الله فمسخهم الله قردة وخنازير عقوبة لهم على شنيع أفعالهم . ولم تكن هذه هي الحيلة الأولى

والأخيرة التي احتالوا فيها على شرعهم بل إن الله سبحانه وتعالى حرم عليهم شحوم الأنعام ؛ فلا يحل لليهودي أن يأكل شيئاً ولو يسيراً من شحم ذبيحته فما الذي فعله اليهود ليحتالوا على شرعهم للخروج من هذا التحريم ؟ فما كان منهم إلا أن جاءوا بهذه الشحوم فجملوها أي أذابوها وباعوها وأكلوا بأثمانها ، وبذلك ظنوا أنهم قد خرجوا من دائرة التحريم ، وفيهم قال عليه الصلاة والسلام : « لعن الله اليهود حرم الله عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا بأثمانها » . فهذا بعض صنيع اليهود قاتلهم الله ، وليس هذا بمستهجن من قتل الأنبياء ، أما أن يحتال بعض المسلمين على شرع الله احتيال اليهود على شرعهم فتلك الطامة الكبرى ، وقد وقع في هذه الأمة ما حذر منه نبيها حيث قال : « لتبعن سنن الذين من قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا حجر ضرب لدخلتموه . قالوا : اليهود والنصارى يا رسول الله ؟ قال : فمن القوم إذن ؟ » .

وبداية سقوط كثير من أفراد هذه الأمة المرحومة إنما يكون عند تشبههم بالمغضوب عليهم من اليهود والضالين من النصارى ، فما هي الحيل التي لجأت إليها هذه الأمة تشبهاً باليهود لتحليل ما حرم الله .

#### ١ - تحليل بعض المحرمات بتغيير أسمائها وأشكالها .

قال عليه الصلاة والسلام : « ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحر والحرير والمعازف والخمور ، يسمونها بغير اسمها » .  
وصدق النبي عليه الصلاة والسلام ؛ فقد كان ما حذر منه عليه الصلاة والسلام ، فقد ظهر في أمته من استحل المحرمات بأسماء مبهرجة مزخرفة ما

أنزل الله بها من سلطان إنما وضعوها لإيهام الناس أنها حلال جائز تعاطيها ،  
 فمثلاً استحلهم للحر وهو كناية عن الزنا ؛ لأن الحر هو « الفرَج » محل  
 الزنا ؛ فإنهم أسموه وأطلقوا عليه وعلى وسائله ومقدماته أسموها فنون جميلة  
 وشعبية فالسينما بما فيها من خلاعة وانحطاط وفجور يسمونها بـ « الفنون  
 الجميلة » ، ومثلها الغناء ولو كان فاحشاً والمعازف بأنواعها من شرقي  
 وغربي ويطلقون عليها آلات الطرب كل ذلك لاستحلال ما حرم الله ، ونحو  
 ذلك الخمر أسموها مشروبات روحية ، وهي إنما تقتل الروح والجسد معاً ،  
 واخترعوا لها أسماء كثيرة كالوسكي والشمبانيا والبيرة وغير ذلك من أجل  
 تزيينها وتحبيبها لقلوب الناس .

ومثل ذلك الربا الذي توعد الله أصحابه بالحرب حيث قال سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ ﴾ ؛ فإنهم  
 يسمون الربا (فائدة) لتحليلها ، ومثل ذلك القمار بأنواعه وأشكاله يسمونه  
 بغير اسمه أيضاً حيث يسمونه بـ « اليانصيب الخيري » فينطبق عليهم قول  
 من قال: يغيرون الشكل من أجل الأكل !!.

## ٢ - نكاح التحليل من التحايل على شرع الله :

وليت أن هذا الأمر وقف عند هذا الحد بل أخذوا يجتالون على ما  
 حرم الله وأجمع على تحريمه المسلمون إبقاءً للعلاقة بين الرجل وزوجته فالمرأة  
 التي طلقت من زوجها ثلاثاً وبانت منه بينونة كبرى أخذوا يفكرون صباح  
 مساء في تحليلها لزوجها فأوحى لهم الشيطان بزواج التحليل الذي لعن النبي ﷺ

فاعليه قال عليه الصلاة والسلام : « لعن الله المحلل والمحلل له » .  
ونكاح التحليل هو أن يتفق الزوج الجديد مع الزوج الحقيقي الذي بانث  
منه زوجته على أن يدخل على زوجته ويبقى معها فترة ثم يطلقها فتعدت  
العدة الشرعية فيأتي زوجها الأول فيعقد عليها من جديد ويتزوجها سواء  
كان هذا العمل بمقابل أو بغير مقابل وهو ما يسمى في بعض البلاد الإسلامية  
بنكاح التجحيش ، وقد سمي النبي ﷺ هذا الزوج المستعار بالتيس المستعار ،  
ونعم التسمية هذه ؛ فحسبه أنه قد شبهه النبي ﷺ بالتيس المستعار ، وهناك  
من أدعياء الضلال من يجوزون مثل هذا النكاح ، بل ويمارسونه بأنفسهم ،  
ليحلوا الزوجة لزوجها ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وما ظنوا أن  
اللعنة قد نزلت عليهم بنص حديث رسول الله ﷺ ، وأمثال ذلك كثيرة  
وكثيرة جداً ، فكيف تفلح أمة تتبع في سلوكها وأخلاقها وسائر شئون  
حياتها سنن أهل الكتاب ، الذين غضب الله عليهم ، ولعنهم ، ومسخهم  
قردة وخنازير؟! وكيف نتصر على اليهود الذين هم أول من سنَّ سنَّة  
الاحتيال على شرع الله؟ ونحن على دربهم سائرون ، وعلى شرعنا وديننا  
محتالون ومخالفون ، هيهات هيهات أن تنتصر أمة هذا شأنها ، ولكن الفرج  
قريب إن عدنا إلى ديننا وطبقنا شرعنا على ضوء ما جاء في كتاب الله وسنة  
رسوله ﷺ وما كان عليه سلف هذه الأمة .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرد المسلمين إلى دينهم ، وأن يجنبهم  
أسباب سخطه وغضبه ، والحمد لله رب العالمين .

## حين ينطق الرويضة

عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ :  
« سيأتي على الناس سنوات خداعات يُصدق فيها الكاذب ، ويُكذب فيها  
الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويُخون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويضة ،  
قيل : وما الرويضة ؟ قال : الرجل التافه يتكلم في أمر العامة » . رواه أحمد  
وابن ماجه والحاكم وغيرهم ، وسنده صحيح<sup>(١)</sup> .

قال ابن الأثير<sup>(٢)</sup> : « الرويضة تصغير الرابضة ، وهو العاجز الذي  
ربض عن معالي الأمور ، وقعد عن طلبها ، وزيادة التاء للمبالغة ، والتافه :  
هو الخسيس الحقيير » .

قلت : وهذا الحديث علم من أعلام نبوته ﷺ ، فإن الناظر في واقع  
الناس اليوم يرى « الرويضة » قد ركب المنابر ، ونعب من عليها - وهي  
تئن وتشتكي إلى الله - نعيب الغربان ، ونعق نعيق البوم في الوديان ، فلا  
تسأل بعد ذلك عن خراب الديار والأوطان !

وآخرون من الرويضات تسمع لهم نبياً كنيب التيوس في الزريبة ،  
يتباكون على مصير الأمة ، وهم مصيبة من أعظم مصائبها ، يحسبون كل  
صيحة عليهم ، يقولون في دين الله بلا علم ، وبلا دراية ، وبلا هداية ،  
ليفتروا على الله الكذب ، وما علموا أنهم بذلك لا يُفلحون .

وهم كالحرباء المتلونة لا تُعرف لهم حال ، ولا يستقر لهم قرار ، وليس

(١) انظر « الصحيحة » (١٨٨٧) .

(٢) في « النهاية في غريب الحديث » (١٨٥/٢) .

لهم هوية تميزهم ، يميلون مع مصالحهم حيث مالت ، ويركبون كل صعب  
وذلول للوصول إلى مراكزهم ولو بنهش البراء ، والتطاول على العظماء ،  
ورميهم بالزور والافتراء .

وبعض هؤلاء الروييضات يطعنون الإسلام باسم الإسلام ، وتراهم  
يتباكون على الإسلام وهم أبعد الناس عنه ، وكم لاقى الإسلام وأهله منهم .  
يسمون التمسك بالإسلام تطرفاً ، ونسوا - أو تناسوا - أن التطرف :  
هو الانحلال الخلقي والمسخ الخلقي الذي يعيشون ، ولكنها كلمة خرجت من  
أفواههم إفكاً وظلماً ، تلقوها من أساتذتهم أبناء ماسون ! فنسقوا بها في كل  
وادٍ ونادٍ ، وبها يتيهون ويهيمون ، ونقنقوا بها نقنقة الضفادع الغائرة في  
الطين ، وليتهم عرفوا مدلولها الشرعي فهي حجة عليهم ، لكن مصيبتهم أنهم  
لا يُحسنون إلا ترديد الببغاوات .

ومن خصائصهم - وقد ركبوا دفة الإعلام والصحافة ، ووسد الأمر  
إليهم بعد أن أقصي عنه خيار هذه الأمة ، وطرردوا طرد الإبل الغريبة - أنهم  
ينشرون ما لهم ولو كان في غاية الغثاثة ، ويحذفون ولا ينشرون ما عليهم ولو  
كان حقاً ظاهراً .

ديدنهم الكذب ، وشعارهم التدليس ، لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ،  
نذروا أنفسهم للشيطان ، وتمردوا على طاعة الرحمن ، وفسقوا عن أمر ربهم  
خالق الإنس والجان ، إذا رأوا عالماً أو طالب علم ولغوا في عرضه ولوغ  
الذئاب في الشياه ، فتارة يتغامزون ، وأخرى يهمزون ويلمزون ، غافلين عن  
قول الحق : ﴿ وَيَلُّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ

عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١﴾  
فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ  
﴿١٢﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١٣﴾ .

هل سمعتم - أيها العقلاء ! - أن جمعاً من الروييضات - ثلثه نصارى ،  
وثلثه الآخر سكارى، والبقية حيارى - يُفاوض على تقرير مصير أمة، وتغيير

تاريخ أجيال تحت شعار : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ !!؟

إنه لن يكون حال الأمة أسوأ ولا أقبح من حالها حينما يعلو الزبد وأما  
ما ينفع الناس فيذهب جفاء ، حينما ينطق فيهم الروبيضة ويصول ويجول ،  
وتخلو له الساحة ؛ حيثئذ : (ويل للعرب من شر قد اقترب) ، وويل لهم من  
شر غائب يُنتظر .

وليس لها من دون الله كاشفة ، ففروا يا عباد الله إلى الله واعملوا  
بالشرع وأحكامه ، به زنوا الأمور والأحداث والأشخاص ، وإياكم  
والانتكاس ، إني لكم نذير مبين . والله مع الصادقين .

## الراحمون يرحمهم الرحمن

قَبِلَ النبي ﷺ الحسن بن علي - رضي الله عنهما - وعنده الأقرع بن حابس ، فقال الأقرع : تقبلون أبناءكم ، والله إن عندي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً . فقال النبي ﷺ : « من لا يرحم لا يُرحم » .

إن الرحمة في ديننا شملت الدنيا والآخرة والإنسان والحيوان والطيور والبيئة .  
قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ . وقد وصف الله تعالى نفسه بالرحمة ، ووصف بها أنبياءه وعباده الصالحين .

قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ .

ولقد جعل الله بعثة النبي ﷺ رحمة للعالمين ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

ولفظ ( العالمين ) عام يشمل عالم الإنس والجن والحيوان ، والطيور ، وأمم البر ، وأمم البحار .

ولقد أمر الله بالرحمة في كل شيء ، وعند كل عمل ؛ فأنت تذبح ذبيحتك ترحمها بالتسمية ، وشحذ المدية ، قال ﷺ : « إن الله كتب الإحسان في كل شيء ، فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وإذا قتلتم فأحسنوا القتل ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

ولقد غفر الله لإحدى بغايا اليهود لرحمتها لكلب كاد يقتله العطش

حيث ملأت موقها بالماء ؛ فأمسكت بفي الكلب فسقته ، فشكر الله لها صنيعها وغفر لها .

وهذا نبينا ﷺ يرى بعض الصحابة قد أخذ فراخ قبرة ، وهي تصيح فوق رءوس الصحابة فقال : « من فجع هذه بولدها ، ردوا إليها أولادها » ؟ !  
وكلما كان الإنسان ضعيفاً فقيراً كان توجه الرحمة إليه أكثر ، وكان الرفق به أوجب ، لذلك نهى ربنا عن زجر اليتيم والإساءة إليه ، قال تعالى :  
﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿٢﴾ ، وقال ﷺ : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله » .

وكان ﷺ يمسح على رأس اليتيم يقول : « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين » ، وأشار بالسبابة والوسطى .

وأمر بالعناية بالأطفال والنساء والشيوخ فقال وهو يودع أصحابه وأمته :  
« الصلاة وما ملكت أيمانكم » ، « استوصوا بالنساء خيراً » ، وقال : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » .

إن الرحمة أمر فطري أودعه الله في قلوب مخلوقاته حتى السباع الضارية منها ، فهي ترحم أولادها ، والله أرحم بخلقها من الأم بولدها ، ولذلك خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ، وأنزل إلى الأرض رحمة واحدة يتقاسمها الإنسان والحيوان .

ولقد ذم رسول الله ﷺ من تجرد من الرحمة ولم ينل نصيباً وافراً منها ، لذلك زجر قاطعي الأرحام فقال ﷺ : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من قطعني فاقطعه ، ومن وصلني فأوصله » .

وفي رواية : « إن الرحمة تتعلق بعرش الرحمن يوم القيامة تقول : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، فيقول لها الله : أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ فتقول : رضيت رب » .

وذم الحكام الظلمة الذين لا يرحمون شعوبهم فقال : « إن شر الرعاء الحُطمة » . ولقد سمي الله نفسه الرحمن الرحيم فهو رحمن الدنيا والآخرة ، وهو واهب الرحمات ، ولذلك أمر بها في كل مقام وحال ، والمسلم يبدأ عمله بتسمية الله الرحمن الرحيم ، ليبارك له في عمله ، فكل عمل يخلو من الرحمة لا بركة فيه ولا خير فيه ، ورحمة العباد بعضهم بعضاً سبب لنزول رحمة الله عليهم .

قال ﷺ : « الراحون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض ، واجعلنا رحماء بيننا كما كان أصحاب نبيك ، وارحم موتانا ، وولّ علينا أهل الرحمة من عبادك يا رحمن يا رحيم .

## عاقبة أهل الغدر

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :  
« لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ، ألا ولا غادر أعظم غدرًا  
من أمير عامة » . أخرجه مسلم واللفظ له ، وعند البخاري من حديث عبد الله  
ابن عمر - رضي الله عنه - بنحوه .

الغدر من الصفات المذمومة والأخلاق القبيحة ، يدل على فساد في  
الباطن ومكر وخبث ، وهو من خصال المنافقين عياداً بالله ؛ فقد قال رسول  
الله ﷺ : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن  
كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أوّتمن خان ، وإذا حدث كذب ،  
وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » . أخرجه البخاري - واللفظ له - ،  
ومسلم (٥٨) .

ولقد كان الغدر من أقبح الخصال ، فما كان النبي يغدر قط ولا  
بالإشارة ، ولما سئل أبو سفيان عن رسول الله ﷺ أسئلة كثيرة ، كان منها :  
هل يغدر ؟ فقال : لا . فصاحب الغدر لا يفلح أبداً ، فلا أمان ولا عهد  
للغادرين ؛ لذلك أجاب هرقل أبا سفيان قائلاً : وسألتك : هل يغدر ؟  
فرعمت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر<sup>(١)</sup> . فمن برئ من الغدر فقد تخلق  
بأخلاق النبيين والمرسلين الذين هم صفوة الخلق أجمعين .

ولكن ، ما هو الغدر لغة واصطلاحاً ؟ وما هي الأحاديث والآثار

---

(١) فالداعي الأول كان يكره الغدر وذم أهله ، ومن العجب أن ترى بعض الشيوخ وطلبة العلم  
والدعاة ابتلوا بهذا الداء العضال حتى مع أقرب الناس إليهم من أصحابهم وإخوانهم .

الواردة في ذمه؟ وما أثره على الأفراد والمجتمعات؟ وما حكم الغادر عند الله تعالى؟

الغدر - لغة - : مصدر غدر يغدر غدرًا، وهو الإخلال بالشيء وتركه ، يقول ابن فارس : الغين والداد والراء أصل صحيح يدل على ترك الشيء ، من ذلك الغدر: نقض العهد : وترك الوفاء به ، ويقولون في الذم : يا غُدر ، وغدر به فهو غادر .

ويقول الراغب : والغدر يقال لترك العهد ، ومنه قيل : فلان غادر ، وجمعه غدرة؛ وغدَّار كثير الغدر ، وغدر الرجل غدرًا وغدرانًا ، وقالوا : الذئب غادر ؛ أي : لا عهد له ، كما قالوا : الذئب فاجر .

وقال ابن منظور : الغدر ضد الوفاء بالعهد ، وقال غيره : الغدر ترك الوفاء ، غدره وغدر به يغدر غدرًا ، تقول : غدر إذا نقض العهد ، ورجل غادر وغدار وغدير وغدور ... وغُدر ، وأكثر ما يستعمل هذا في النداء في الشتم يقال : يا غدر ، ويقال في الجمع يالَ غُدْر .

قال ابن الأثير : غُدر معدول عن غادر للمبالغة ، وهو يستعمل للذكر ، والأنثى غدار<sup>(١)</sup> .

أما الغدر اصطلاحاً : قال الحافظ : هو الرجوع عما يبذله الإنسان من نفسه ويضمن الوفاء به ، وهو خلق مستقبح ، وإن كان يصاحبه فيه منفعة ، وهو بالملوك والرؤساء أقبح ، ولهم أضر .

(١) انظر «مقاييس اللغة» (٤/٤١٣)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (٣٥٨)، و«لسان العرب» (٨/٥).

وقال المناوي : الغدر : نقض العهد والإخلال بالشيء وتركه (١) .

ولقد قنت رسول الله ﷺ شهراً في صلاة الصبح على قوم غدارين من رعل وذكوان ، وعصية وبني لحيان ، الذين قتلوا سبعين قارئاً من قراء الصحابة ، قتلوهم ببئر معونة ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رعلاً وذكوان وعصية وبني لحيان استعدوا رسول الله ﷺ على عدو ، فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسماهم القراء في زمانهم ، كانوا يجتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم ، فبلغ النبي ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب : على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان ، قال أنس : فقرأنا فيهم قرآناً ثم إن ذلك رُفِعَ : « بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا » .

وعن قتادة عن أنس بن مالك حدثه : « أن نبي الله ﷺ قنت شهراً في صلاة الصبح يدعو على أحياء من أحياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان ، قال أنس : إن أولئك السبعين من الأنصار قتلوا ببئر معونة ... » (٢) .  
وكل من لم يوف بما عاهد عليه ولم يؤد الأمانة إلى من ائتمنه عليها فهو غادر بحسب مقدار غدره وضرره وآثاره .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : أهدي للنبي ﷺ عنب من الطائف فدعاني فقال : « خذ هذا العنقود فأبلغه أمك » ، فأكلته قبل أن أبلغه إياها ، فلما كان بعد ليل قال لي : « ما فعل العنقود ؟ هل أبلغته أمك ؟ » ، قلت :

(١) « نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم » (٥٠٢٥/١١) .

(٢) أخرجه البخاري « الفتح » (٤٠٩/٧) واللفظ له ، ومسلم (٦٧٧) .

لا ؟ ، قال : « فسماني غُدراً »<sup>(١)</sup> ، وفي إحدى الروايات عكس ذلك حيث أن أمه بعثت إلى النبي ﷺ بقطف عنب فأكل منه من قبل أن يبلغه النبي ﷺ فلما جاء به أخذ بأذنه فقال : « يا غدر » .

قلت : لعل رسول الله ﷺ أراد أن يشعر هذا الصحابي ولو مزاحاً أن هذا الفعل من الغدر ؛ لأنه تصرف بالأمانة من غير إذن صاحبها ، وهذا لون من ألوان الغدر .

والرسول ﷺ بريء من كل غادر وهو خصيمه يوم القيامة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره »<sup>(٢)</sup> .

والغدر : ظلم ، والظلم ظلمات يوم القيامة ، ويشتد حينما يغدر القوي بالضعيف ، والغني بالفقير ، والصاحب بصاحبه المحب الوفي .

عن جابر رضي الله عنه قال : لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال : « ألا تحذونني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة » ؟ قال فتية منهم : بلى يا رسول الله! بينما نحن جلوس ، مرت بنا عجوز من عجائز رهايينهم ، تحمل على رأسها قلةً من ماء ، فمرت بفتى منهم ، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها ، فخرت على ركبتيها ، فانكسرت قلةً ، فلما ارتفعت ، التفتت إليه فقالت : سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٣٦٨) ، وإسناده صحيح ورجاله ثقات كما في تخريج « نضرة النعيم » (١١) . (٥٠٣٢/)

(٢) أخرجه البخاري « الفتح » (٢٢٧/٤) .

وجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً ، قال : يقول رسول الله ﷺ : « صدقت ، كيف يقدر الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم » (١) .

قلت : فالغدر حرام في شرعنا وشرع من قبلنا ، وشرعنا أشد تحريماً له وتجريماً لفاعله وزجراً لمن تخلق به فهو من كبائر الذنوب ، وقد عقد ابن حجر الهيتمي باباً للغدر ، في كتابه « الزواجر » وقد عد معه القتل والظلم لمن له أمان أو ذمة أو عهد ، وقال : عد هذه الثلاثة هو صريح الأحاديث وهو ظاهر ، وبه قدح بعضهم في قتل المعاهد وعده في الغدر ، وقد جاء عن علي - رضي الله عنه - أنه عد من الكبائر : نكث الصفقة ، أي : الغدر بالمعاهد (٢) .

وكذا فعل الإمام الذهبي في كتاب « الكبائر » حيث عد الغدر وعدم الوفاء بالعهد : الكبيرة الخامسة والأربعين ، وذكر من الشواهد القرآنية والأحاديث [ النبوية ] ما يؤيد ذلك (٣) .

قلت : ويلحق بهذا الباب غدر الأصحاب بعضهم بعضاً ، وتآمر المشتغلين - زوراً - بالدعوة وبخاصة أفراد الجماعات الحزبية ، والحركية التي يكثر بينهم الغدر والتصفيات الفكرية كما يكثر في الحركات السياسية ، والمنظمات العسكرية - التي لا تحرم ولا تحلل - التصفيات الجسدية والغدر

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٩) ، وفي « الزوائد » : إسناده حسن . وأخرجه أبو يعلى (٢٠٠٣) ، وله شاهد عند البزار (١٥٩٩) ، والبيهقي في « السنن » (٩٥/٦ و٩٤/١٠) ، وابن حبان في « صحيحه » (٥٠٥٨) .

(٢) « الزواجر عن اقتراف الكبائر » (٦١٤) .

(٣) « الكبائر » للذهبي (ص ١٦٨) .

والكيد والمكر بأبشع صورته وأقبح أشكاله .

وقد تسربت هذه العدوى إلى بعض المتسبين - بغير حق - إلى العلم والدعوة ، فترى من غدرهم وحقدهم وتآمرهم ما يشيب له الولدان ، فالله المستعان ، ولا يجيق المكر السيئ إلا بأهله .

إذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم ، طالب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان زالت الوحشة وحصلت الألفة ، ولو خالفك فإنه يخالفك بلا حجة ، وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة ، وسيرته الذميمة ، فلا تغتر بكثرة هذا الضرب ، فإن الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم ، والواحد من أهل العلم يعدل بملاء الأرض منهم<sup>(١)</sup> .

---

(١) ابن القيم في « إعلام الموقعين » (٤/٣٦٢-٣٦٣) .

## الرجولة في الكتاب والسنة

إن من مصائب هذا الزمان التي لا تعد ولا تحصى : فَقَدْ كَثِيرٌ مِنَ الذكور رجولتهم ؛ فليس كل ذكر رجلاً ولو أطال شاربه ، حتى قام معه إذا قام أو قعد معه إذا قعد ، فالرجولة ليست بقتل الشارب<sup>(١)</sup> ولبس البنطال والصراخ في المجالس ؛ إنما الرجولة أن يتصف صاحبها بالرجال شكلاً ومضموناً ، مظهراً ومخبراً ، ظاهراً وباطناً .

وقد عرف العلماء الرجولة فقالوا : الرجل ؛ الذكر من نوع الإنسان خلاف المرأة .

قال الراغب الأصفهاني : الرجل تختص بالذكر من الناس قال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ [ الأنعام : ٩ ] ، ويقال للمرأة : رجلة ؛ إذا كانت متشبهة بالرجل في بعض أحوالها .

قال الشاعر : لم ينالوا حرمة الرُّجُلَةِ<sup>(٢)</sup> .

ويقال للغلام إذا شب واحتلم رجلاً ، وجمعه رجال .

وفي التنزيل : ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ [ البقرة : ٢٨٢ ] .

وجمع الجمع رجالات ، وقد يكون الرجل صفة يعني بذلك الشدة والكمال .

---

(١) ظاهرة تغليظ الشارب وتضخيمه على حساب حلق اللحية أخذت تنفشي وتنتشر هذه الأيام بكثرة ، لفقد كثير من الذكور رجولتهم في بيوتهم وعلى نساتهم خاصة فيريدون تميم ما نقص من حياتهم وشخصيتهم ولو بتغليظ الشارب ، وهذا جهل ومخالفة لشرع الله الذي أمر بحف الشارب وإعفاء اللحية ، ولكنهم فعلوا عكس ما أمروا به - عياداً بالله - .

(٢) « المفردات في غريب القرآن » للراغب الأصفهاني (ص ١٨٩) .

وقد نهى النبي ﷺ عن ترجل المرأة إذا صارت كالرجل ، وفي الحديث أنه : « لعن المترجلات من النساء » وهن اللاتي يتشبهن بالرجال في زيهم وهيئاتهم ومشيتهم وغير ذلك .

وعليه فيمكن تعريف الرجولة بأنها : اتصاف المرأة بما يتصف به الرجال عادة<sup>(١)</sup> .

والرجولة في أظهر معانيها : اتصاف الإنسان بما يوصف به الرجال عادة من نحو تحمل الأعباء الثقال ، ومن أبرز ذلك تحمل الرسل الكرام لأعباء الرسالة قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ﴾ . وفيه دليل على أن أعباء الرسالة لا تقوى على حملها النساء ؛ لذلك اقتضت حكمة الله أن يبعث الرسل من جنس الرجال ، وأن تكون الإمامة الكبرى للرجل لا للمرأة ، وقد مدح الله الرجال في صدقهم بعهدهم ، وأن إخلافهم للعهد يتنافى مع هذه الرجولة قال تعالى : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢] .

ومدحهم بالاشتغال بعبادته وطاعته وعدم انشغالهم بدنياهم عن طاعته وذكره وعبادته ؛ قال تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [النور : ٣٧] .

وجعل الله القوامه للرجل على المرأة فقال : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء : ٣٤] .

(١) « الكليات » للكفوي (١/٣٩٣) .

وفضل جنس الرجل على المرأة فقال : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

[ البقرة : ٢٢٨ ] .

وجعل الرجل يقابل امرأتين في الشهادة قال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا

رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ [ البقرة : ٢٨٢ ] .

والرجولة من صفات النبيين قال تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ

أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ [ يونس : ٢ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ

الْقُرَى ﴾ [ يوسف : ١٠٩ ] .

والرجولة أعلى صفات الذكورة ، قال تعالى : ﴿ غَيْرِ أَوْلَىٰ الْأَرْبَةِ مِنَ

الرِّجَالِ ﴾ [ النور : ٣١ ] .

أما السنة النبوية المطهرة فقد ورد فيها ذكر الرجولة والرجال .

فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « كمل من الرجال

كثير ، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران ، وأسية امرأة فرعون ،

وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » <sup>(١)</sup> .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن سعد بن عبادة الأنصاري قال : يا

رسول الله أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلاً ؛ أيقنته ؟! قال : « لا » . قال

سعد : بلى والذي أكرمك بالحق ، فقال رسول الله ﷺ : « اسمعوا إلى ما

(١) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له .

يقول سيدكم» (١) .

قلت : والحديث بمنطوقه ومفهومه يدل دلالة صريحة واضحة على أن الذي لا يغار على زوجته ليس رجلاً ، بل قد صرّحت بعض الأحاديث بأنه ديوث ، والجنة عليه حرام .

فهل هذا الذي يقرّ الخيـث في أهل بيته رجل ؟

وهل ذاك الذي يسمح لزوجته بالتبرج رجل ؟ وهل هؤلاء الذين يسمحون لبناتهم بالاختلاط بالرجال في ميادين عملهم ويختلون بهن في مكاتبهم رجال ؟!

كلا والذي نفسي بيده ، فكم هي الجناية عظيمة ، وكم هي فداحة الخطب حينما فقد الذكور رجولتهم ، فأصبحوا لا ترى من رجولتهم إلا أشباحاً وسراباً ، ولكن الرجولة في وادٍ وهم في وادٍ آخر .

إن التربية الغربية بأفكارها وثقافتها وقوانينها تعمل على تخنيث الذكور وقتل الرجولة فيهم ، مثلما تعمل على ترجيل المرأة وتسلبها على الرجل ، وسلب القوامه من يده وسحب البساط من تحت رجليه يغدو هو وشماعة الأثاث سواء بسواء .

فكم هم هؤلاء الذين سلبت منهم رجولتهم بقصد أو بغير قصد في مجتمعاتنا؟! حتى غدوا أصفاراً على الشمال ، لا وزن ولا قيمة ... والله المستعان .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

## القابضون على الجمر

حقاً إن هذا زمن القبض على الجمر ، فلا جمر أحر من جمر المنكرات والمعاصي التي تحيط بالمسلم من كل جانب ، حتى غداً غريباً بين أهله وفي داره ووطنه ، ذنبه أنه عائد إلى الله ، عائد به من عصيانه ، يلهج لسانه كل حين بقول : ربي الله ... وهذا ما جعل السواد الأعظم من أبناء جلدته من الخاصة والعامّة ينقمون عليه .

حدثني شاب عائد بالله مستمسك بسنة رسول الله ﷺ أنه استيقظ ذات ليلة على أبيه والمقص في يده يهوي به إلى ذقنه يريد أن يجزها به ؛ لأنه (أي هذا الأب) يريد لولده أن يكون « إفرنجياً » في مظهره ومخبره على نمط « الخواجات » ، فهو يتقزز من ابنه إذا رآه مستتاً بسنة رسول الله ﷺ ، وإيم الله إن لم تكن هذه ردة ، فما هي الردة إذن<sup>(١)</sup> ؟

ولا زلنا نقرأ في كتاب ربنا آية هي عزاؤنا وعزاء كل مؤمن آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ؛ هي قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج : ٨] .

وإن تعجب فعجب أن تخرج من المسجد يوم الجمعة - بعد أن شحنت بالإيمان - تأثراً بخطبة الجمعة فترى حالة من التعري والتهتك تستحي منها السائمة من بهيمة الأنعام ، يجتمعون قرب المساجد الجامعة في يوم عيد

(١) الردة ردتان: عقديّة وعملية ، الأولى : مخرجة من الملة ، والثانية : لا تخرج صاحبها من الملة وإن كان يحكم عليه بالفسق والإثم ، فهذا الأب إذا استحل حلق لحيته أو لحية ولده كفر عياداً بالله ، ولو رأى أن الحلق أفضل من الإعفاء لحقه الحكم نفسه لتحسينه ما قبح الشرع وتحليله ما حرم الله .

المسلمين مُتَحَدِّثِينَ كل القيم والأخلاق والمشاعر الإسلامية بل الإنسانية . فلا يملك المسلم الغيور إلا الاسترجاع والحوقله والرضا بأضعف الإيمان<sup>(١)</sup> ! فالنار هبت في كل وادٍ ونادٍ والمستغيثون لإطفائها كثيرون ، ولكن هيهات هيهات - لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي - فليس أقبح من موت القلب وذهاب غيرته على حرمت الله ، فأين الذين يغارون على حرمت الله ؟!

أين الراكعون الساجدون ؟ أم أين العلماء والقضاة والمشايخ ؟! أين ولاية الأمور من كل ما يجري ويدور ؟ أما آن لهؤلاء الإفرنج أن يعلموا ويتعلموا آداب الزائر والمقيم ، أما آن لهم أن يحترموا مشاعر المسلمين فلا يتجردوا تجرد العير في الطرقات ؟ ثم لماذا التعري في هذا اليوم بالذات وفي مثل هذه الأماكن وفي ذلك الوقت ! أليس وراء ذلك ما وراءه ؟!!

أم أنه الغزو الصليبي المسعور يشن الغارة من جديد بشكل آخر لا يتفطن إليه إلا كَيْسٌ فَطِنٌ .

أيها الناس ! احذروا أعداء الإسلام ، فإنهم في كل يوم يؤججون ناراً في دوركم أو قريباً منها لتأكل الأخضر واليابس ، وتأكل كل ما بناه أسلافكم عبر السنين .

---

(١) حدث ذلك في إحدى الدول الخليجية التي يكثر فيها الكفار الغربيون .

## الباب الرابع

### مباحث جهادية وعقدية

رَفَعُ

عبد الرحمن العجوي  
أسكنم الله الفردوس  
www.moswarat.com

## الجهاد النبوي في فلسطين

فلسطين أرض مباركة جعلها الله مهبط الأنبياء ، وملتقى الحضارات ، ومهاجر أنبيائه ، فيها أولى القبلتين ، مسرى النبي ﷺ ، فيها هلاك الدجال على يد المسيح - عليه السلام - ، وفيها هلاك قوم يأجوج ومأجوج ، وفيها ينطق الحجر والشجر : يا مسلم! يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي تعال فاقتله ، فهلاك يهود على أيدي عباد الله الصالحين في أرض فلسطين .

أم رسول الله ﷺ جميع الأنبياء في المسجد الأقصى ؛ لتبقى الإمامة والسيادة على المسجد الأقصى للإسلام من دون سائر الأديان ، تخاضمت عليها الممالك والدول ، وتطاحت لتظفر بها على مر التاريخ ولتحظى بها ؛ لأنها خيرة أرض الله ، اصطفها الله مهاجراً لخليله إبراهيم وكليمه موسى ، ومولداً لعيسى ، ومسرى لمحمد ﷺ .

جاء الإسلام وفلسطين تحت حكم الروم الصليبيين الوثنيين ؛ فكان لا بد من تطهيرها من رجسهم ، وقد كاتب النبي ﷺ ملك الروم ، وأرسل له رسلاً .

وجه إليها النبي ﷺ جيوشاً عدة ، وقد كانت إحدى أقاليم الشام ، ولم تكن يومئذ هذه الحدود المصطنعة التي أفرزتها معاهدة « سايكس بيكو » المشؤومة .

ومن هذه البعث التي أرسلها النبي ﷺ إلى بلاد الشام وفلسطين :

أولاً : بعث مؤتة .

وكان في جمادى الآخرة من سنة ثمان للهجرة ؛ حيث بعث ﷺ الأمراء

إلى مؤتة ؛ وهي قرية<sup>(١)</sup> من أرض الشام ؛ ليأخذوا بثأر من قُتل هناك من المسلمين ، فأمر على الناس مولاه زيد بن حارثة ، وقال : « إن أصيب زيد ؛ فجعفر بن أبي طالب ؛ فإن أصيب جعفر ؛ فعبد الله بن رواحة » ؛ فخرجوا نحواً من ثلاثة آلاف ، وخرج ﷺ يودعهم إلى بعض الطريق ، فساروا حتى إذا كانوا في « معان »<sup>(٢)</sup> بلغهم أن هرقل ملك الروم قد خرج إليهم في مائة ألف ، ومعه مالك بن زافلة في مائة ألف أخرى ؛ من نصارى العرب ؛ من لحم وجذام ، وقبائل قضاة ؛ من بهراء وبلى وبلقين ، فتشاور المسلمون هناك وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ يأمرنا بأمره أو يمدنا : فقال عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - يا قوم ! والله إن الذي خرجتم تطلبون أمامكم - يعني : الشهادة - ، وإنكم ما تقاتلون الناس بعدد ولا قوة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ؛ فانطلقوا ، فهي إحدى الحسينين : إما ظهور وإما شهادة ، فوافقهم القوم ؛ فهضوا ؛ فلما كانوا بتخوم البلقاء لقوا جموع الروم فنزل المسلمون قرب مؤتة ، والروم على قرية - يقال لها : مشارف - ، ثم التقوا ؛ فقاتلوا قتالاً عظيماً .

وقُتل أمير المسلمين زيد بن حارثة - رضي الله عنه - والراية في يده ، فتناولها جعفر ، ونزل عن فرس له شقراء ، فعقرها وقاتل حتى قطعت يده اليمنى ، فأخذ الراية بيده الأخرى ، فقطعت أيضاً ، فاحتضن الراية ، ثم قتل - رضي الله عنه - عن ثلاث وثلاثين سنة على الصحيح ، فأخذ الراية عبد الله ابن رواحة الأنصاري - رضي الله عنه - ، وتلوم بعض التلوم ثم صمم

(١) إحدى مدن الأردن الآن قرب مدينة الكرك .

(٢) مدينة معروفة جنوبي الأردن ، تبعد عن عمان مائتي كيلو متر .

وقاتل حتى قُتل ، فيقال : إن ثابت بن أرقم أخذ الراية ، وأراد المسلمون أن يؤمروه عليهم فأبى ، فأخذ الراية خالد بن الوليد - رضي الله عنه - فانحاز بالمسلمين ، وتلطف حتى خلَّص المسلمين من العدو ، ففتح الله على يديه كما أخبر بذلك كله رسول الله ﷺ أصحابه الذين بالمدينة يومئذ وهو قائم على المنبر ، فنعى إليهم الأمراء واحداً واحداً وعيناه تذرطان ﷺ ، والحديث في « الصحيح » ، وجاء الليل فكف الكفار عن القتال .

ومع كثرة هذا العدو ، وقلّة عدد المسلمين بالنسبة إليهم لم يقتل من المسلمين خلق كثير على ما ذكره أهل السير ، فإنهم لم يذكروا فيمن سموا إلا نحو العشرة .

وكرّ المسلمون راجعين ، ووقى الله شر الكفرة ، وله الحمد والمنة ؛ إلا أن هذه الغزوة كانت إرهاباً لما بعدها من غزو الروم ، وإرهاباً لأعداء الله ورسوله .

**ثانياً : بعث أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - .**

وكان تميمياً لبعث أبيه زيد بن حارثة ، ولينتقم من الروم الذين قتلوا أباه في مؤتة ، وقد أمر النبي ﷺ بإخراج بعث أسامة وهو على فراش الموت ، وكان جيش أسامة معسكراً في الجرف عندما قبض رسول الله ﷺ ، وكان من هدي نبينا ﷺ أنه لا يبدأ أحداً بقتال إلا إذا بلغه الدعوة ، ودعاه إلى الله تعالى ، وقد اتبع رسول الله ﷺ هذا المنهج التزاماً بأوامر الله تعالى له ، اتبع هذا المنهج مع جميع من حاربهم من القبائل العربية وملوك الأرض وأباطرتها في عصره ، فدعاهم إلى الله تعالى ، فأرسل إليهم رسله ، وبعث إليهم كتبه يدعوهم إلى الله تعالى ولم يستثن أحداً منهم ، ومن جملة هؤلاء :

رسالته إلى هرقل ملك الروم : فمن حديث ابن عباس رضي الله  
عنهما : أن أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه قال : انطلقت في المدة التي كانت  
بيني وبين رسول الله ﷺ ، وقال : فينما أنا بالشام ؛ إذ جيء بكتاب من  
رسول الله ﷺ إلى هرقل : يعني : عظيم الروم . قال : وكان دحية الكلبي جاء  
به ، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم  
... سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد :

فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ،  
وإن توليت ؛ فإن عليك إثم الأريسيين : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى  
كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا  
يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا  
مُسْلِمُونَ ﴾ [ آل عمران : ٦٤ ] .

## أدواؤنا .... ودواؤنا

قال رسول الله ﷺ : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد في سبيل الله ؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » (١) .

هذا الحديث الصحيح واقع حي في أمتنا؟! وهو علم من أعلام نبوة نبينا محمد ﷺ ، حيث يشخص أدواءنا ، ويستقرئ أحوالنا، ففي هذا الحديث ذكر عدة أدواء ظهرت في الأمة الإسلامية فكانت سبباً في ذلها وهوانها ، وهي :

• التعامل ببيع العينة ، والعينة بيع ربوي فيه احتيال على شرع الله :  
إن تغيير المصطلحات والأسماء ضرب من الاحتيال على شرع الله ؛  
فها هم يسمون الربا « فائدة » ، والخمر « مشروبات روحية » ، والقمار « يانصيب خيري » ، والزنا واختلاط الرجال بالنساء ورقصهم جميعاً « فنون جميلة وثقافة » وغير ذلك .

ولعن الرسول ﷺ اليهود ، لأنهم أول من سنوا سنن الاحتيال على الشرع ، فقال : « لعن الله اليهود ؛ إن الله حرم عليهم الشحوم ، فباعوها وأكلوا ثمنها ، وإن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه » (٢) .

وقص الله علينا ما فعلوا يوم السبت من تحايل لتحليل ما حرم الله عليهم : « وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ

(١) حسن ؛ انظر « السلسلة الصحيحة » لشيخنا (١١) .

(٢) « صحيح الجامع » (٥١٠٧) .

فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿ [ الأعراف : ١٦٣ ] .

فمن أجل هذا الاحتيال والاعتداء مُسخوا قردة وخنازير .

وكذلك لعن الله على لسان رسوله ﷺ أقواماً من هذه الأمة يحتالون على دين الله بما يسمونه نكاح التحليل ، أو ما تسميه العامة (نكاح التجحيش) - وهو التيس المستعار - فقال ﷺ : « لعن الله المحلل والمحلل له »<sup>(١)</sup> .

وسمي الزوج المحلل بالتيس المستعار تشبيهاً له بالتيس الذي يستعيه صاحب الغنم ، لينزو عليها طلباً للنتاج والحمل ، ونعمت التسمية ؛ فمن احتال على شرع الله بأدنى الحيل فاستحل ما حرم الله أصابه ما أصاب اليهود ، ولا يشفع له انتماؤه لهذه الأمة وزعمه أنه مسلم ( ! ) لأن الله ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب ولا واسطة ، فإذا اقترفت الأمة الكبائر ، واحتالت على دينها وشرعها ، أصابها الذل والهوان .

● ويشير الحديث أيضاً إلى تكالب الناس على الدنيا وتعلقهم بها ، فيقول ﷺ : « وأخذتم أذناب البقر » .

ولا أدري من يتعلق بذيل البقر هل يملأ يديه إلا الروث الذي يلطخ ذيل البقرة ! وفي هذا تنفير للأمة لكيلا تتعلق بالدنيا ، وليس فيه دعوة إلى اعتزال الدنيا ، وإنما النهي يتوجه إلى التعلق بها ، فتكون هي شغلهم الشاغل عن الآخرة ، وإلا فقد أمر الله بالضرب في الأرض ، ولكن شتان بين من جعل الدنيا في يده وجيبه ينفق منها متى شاء ، ومن تمكنت من سويداء قلبه

(١) صحيح ؛ انظر تحريجه في « الإرواء » ( ١٨٩٧ ) .

فغدت همّه وهاجسه الذي يصرفه عن كل عاجل وآجل .

- ومثل ذلك تماماً - بعد - قوله ﷺ : « ورضيتم بالزرع » ...
- وقوله ﷺ : « وتركتم الجهاد في سبيل الله » شاهد ناطق على حال الأمة اليوم، فإن الأمة - حكاماً ومحكومين - إلا من رحم الله - قد نكست أعلام الجهاد ، وضيعت هذه الشعيرة العظيمة ، وركضت خلف أعدائها تستجدي منهم السلام تحت شعار جائر ظالم : « الأرض مقابل السلام » !! وكأن الأرض أرضهم والمقدسات مقدساتهم ، وعدوهم يرفض أن يعطيهم السلام ، ويأخذ أرضهم رغم أنوفهم ، حتى تنازلوا له عن كل شيء ولم يبق لهم ما يستر (حتى) سواتهم ، وهو يطلب المزيد ، ولا يفي بوعد ولا عهد كما هو ديدن يهود ، ولكن المهم عند هؤلاء أن يكون العم سام راضياً عنهم ، ولا يبالون بعد ذلك بما نالهم من شعوبهم وأمتهم وتاريخهم : ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾ .

والنبي ﷺ بين أن الخلاص من الذل والهوان الذي يترتب على هذه المعاصي والمخالفات مرهون بعودة الأمة إلى دينها ، فهو ﷺ يقول : « ... سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » ، وحينما يأمر النبي ﷺ بالعودة إلى الدين فإنما يريد الدين الذي ترك الأمة عليه حينما قال هذا الحديث .

وفي الحديث إشارة تؤكد فساد الركون إلى الدنيا والإخلاق إلى الأرض وذلك في قوله : « ورضيتم بالزرع » ، وهذا تفسير لقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ .

وكل هذا يؤدي إلى حب الدنيا وكرهية الموت والنكول عن الجهاد في سبيل الله ، ولذلك قال ﷺ : « وتركتم الجهاد في سبيل الله » .  
وترك الجهاد مصيبة من أعظم مصائب هذه الأمة ، لأن الجهاد ذروة سنام الإسلام وما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا ، وجعل الله عز هذه الأمة بجهادها في سبيل الله ، وجعل رزقها تحت ظل سيوفها ورماحها .  
والله أمرنا أن ننفر خفافاً وثقالاً في المنشط والمكره ، وأن يكون الجهاد حديث النفس وأعلى أمانيتها كما قال عليه الصلاة والسلام : « من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزوات على شعبة من النفاق » <sup>(١)</sup> ، فترك الجهاد مع القدرة عليه شعبة من شعب النفاق ، والعياذ بالله .

ولقد بين ﷺ المنهج الواجب اتباعه وسلوكه والرجوع إليه بعد ذكر الفرق والاختلاف بقوله : « ما أنا عليه وأصحابي » <sup>(٢)</sup> ، وهو الذي أراده الله بقوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ؛ فهو الدين الحق والمنهج الصدق ، الذي يجب على الأمة أن ترجع إليه ، وتسير عليه .

لا الدين الذي دخلته البدع والفلسفات والعقائد المنحرفة كدين

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة .

(٢) « السلسلة الصحيحة » (١٤٩٢) .

الرافضة ، ودين الصوفية ، ودين المعتزلة ، ودين العقلانيين الغابرين  
والعصرين ، ولا غيرهم - لا كثرةم الله - .

فالأمة لا يُرفع عنها ذلها الذي تعيشه حتى تعود إلى دينها الذي ارتضاه  
الله لها خالياً صافياً نقياً من البدع والضلالات والخرافات والترهات ، كتاباً  
وسنة بفهم سلف الأمة ، فتتزكى الأمة باتباعها رسولها ، وتصفي عقيدتها  
وشريعته مما لحق بها على مر العصور مما ليس منها ، ورحم الله الإمام مالكاً  
حيث قال : « ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » .

فصلاح أول هذه الأمة بالاتباع والتزكية ، وفساد آخر هذه الأمة  
بالابتداع والتدسية التي أصابت نفوسها : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ  
خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝ ﴾ .

## إن موعدهم الصبح ليس الصبح بقريب

منذ أمد بعيد ، وأبناء القردة والخنازير يعدون العدة ويمكرون الليل والنهار لاحتلال بقعة من الأرض يقيمون عليها كياناً لهم ينفثون منها سمومهم في الأرض جميعاً ، فسال لعابهم على أرض فلسطين - أرض الإسلام والمسلمين - تلکم الأرض التي بارک الله فيها وحوّلها ، أرض الميعاد بزعمهم ، وفيها هيكل سليمان المزعوم .

من أجل ذلك أوصلوا الليل بالنهار تآمراً ودساً وكيداً ومكراً ، تارة بالنساء وتارة بالمال وتارة بالاغتيالات وتارة بإنشاء الجمعيات السرية والنوادي الليلية حتى كان لهم ما أرادوا لأسباب منها :

١- سقوط الخلافة الإسلامية التي كانت سبباً مباشراً في تأخير مؤامراتهم الدنيئة سنين عديدة ، من أجل ذلك عملوا على إسقاط الخلافة بشتى السبل ، وتقاسم الشرق والغرب ميراثها .

٢- الاستعمار الأوروبي الحديث للعالم الإسلامي وصدور وعد بلفور الذي ما كان ليصدر في ظل الخلافة .

٣- الضعف والتمزق والصراعات والاختلافات التي يعيشها العالم الإسلامي .

٤- ذهاب الوعي الديني الصحيح وظهور الأحزاب العلمانية والفرق المارقة والطرق الصوفية الخرافية والجماعات الحزبية التي فرقت الأمة وأبعدتها عن الإسلام الصحيح الموعود بالنصر ، وتنكيس أعلام الجهاد في سبيل الله .

كل ذلك وغيره ساعد على قيام دولة يهود في بحر عظيم من الزبد والغثاء. ولكن الله منجز وعده وناصر دينه ولو بعد حين ، فأول الغيث قطرة ثم ينهمر ، فبدأت الصحوة الإسلامية ومن مظاهرها عودة الكثير من الأمة الإسلامية إلى دينها الصحيح فأثمرت هذه تفجر الجهاد الأفغاني من جبال الهندوكوش وتفجر الانتفاضة المقدسة من أكناف بيت المقدس أرض فلسطين لؤلؤة الشام وعروسه .

فأخذ شباب الانتفاضة يرمجون اليهود بالحجارة منطلقين من المساجد متوكلين على الله مؤمنين بقول الله سبحانه : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [ الأنفال: ١٧ ] ، فكانت هذه الانتفاضة ميلاد أمة جهادية ، أمة الغد المشرق ، أمة الأمل والجهاد الحق وبشارة النبي ﷺ ، خرج شباب الانتفاضة مكبرين يرمجون شياطين الإنس من أبناء يهود بجارتهم فيهشمون رؤوسهم ويورمون وجوههم ، فاليوم حجر ، وغداً بارود حتى يأتي نصر الله ، ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [ الحج : ٤٠ ] .

وهاهي بشائر الخير قد لاحت في الأفق بميلاد هذه الانتفاضة<sup>(١)</sup> المباركة مصداقاً لقوله عليه السلام : « تقاتلون اليهود فتسلطون عليهم حتى يحتبئ أحدهم وراء الحجر فيقول الحجر: يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله »<sup>(٢)</sup> .

(١) لكن لا بد من ترشيد جهاد شعب فلسطين وجعله جهاداً على وفق الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة وعدم إبقائه في يد العلمانيين والحزبيين ليجيروه لمصالحهم ومآربهم الذاتية وإنما ليقطف ثماره الشعب كله ، كي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله لتكون كلمة الله وحده هي العليا.

(٢) أخرجه : البخاري في « الصحيح » (٢٩٢١) و(٢٩٢٥) و(٣٥٩٣) ، ومسلم في « الصحيح » (٢٩٢١) ، والترمذي في « السنن » (٢٢٣٦) ، وأحمد في « المسند » (١٢٢/٢) .

فوعده الله قريب وكل آتٍ قريب فأبشروا وأملوا يا أمة الإسلام .  
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم قارعة .

هكذا توعد الله الظالمين المكذبين رسله ، كما وعد المؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً . فوعده ووعيده حق سبحانه ، والله هو العدل يكره الظلم والطغيان ويمقتهما ويعاقب عليهما بالذل والهوان ، فما يصيب رءوس الكفر والإلحاد كل يوم من دواهِ ونكبات ، إنما هو جزاء ما اقترفت أيديهم من ظلم وسفك للدماء البريئة ، وتشريد للشعوب الآمنة ، وتدور الدوائر على الباغي والعاقبة للمتقين ، والله سبحانه يبين أن ما يصيب الكافر من قوارع ، وما يحل قريباً من ديارهم تخويفاً لهم وردعاً لهم وإنما هو جزاء بعض ما كسبوا ، وهل يجازى إلى الكفور !؟

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ

جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم : ٢٨-٢٩] .

فالذين اعتدوا بالأمس على الشعوب المسلمة في بلاد الأفغان<sup>(١)</sup> وغيرها ، فقتلوا الملايين وشردوا مثل ذلك ، وجعلوا الأخضر يابساً ، والجبال قاعاً صفصفاً وهم يدونها بصواريخهم وطائراتهم ، هاهم اليوم يحصدون ما زرعوا ، فالظلم ظلمات في الدنيا والآخرة ، فأبى الله العزة لأعدائه « إنه لا يعز من عاديت ، ولا يذل من واليت » (أخرجه ابن خزيمة في صحيحه) ، وهو شطر من دعاء القنوت ، فالكافر الذي ولغ في دم الشعب الأفغاني المسلم والشعوب الإسلامية الأخرى ها هو اليوم يدفع ضريبة ذلك الاعتداء

(١) واليوم شعب العراق باحتلال أرضه وترويع أهله ونهب خيراته .

الآثم ، فأظهر الله قدرته فيهم بتفجير المفاعل الذري في تشر نوبل ، ما نجم عن ذلك من خسائر وهلاك للحرث والنسل ، ثم قارعة أخرى الزلزال المدمر الذي ضرب جمهورية أرمينيا السوفيتية فراح ضحيته أكثر من مائة ألف أو يزيدون وأعظم القوارع : الهزيمة المنكرة الساحقة التي مني بها المعتدي الآثم ، فتحطمت فيها آله الحرية وهلك فيها خيله ورجله فكان ما أصابه نكالاً من الله لكل معتد ظالم ، وعبرة لمن يعتبر على مر العصور والدهور .

واليوم أصاب النظرية الماركسية والفكرة الشيوعية قارعة عظيمة وذلك عندما ظهر الاتجاه الديمقراطي<sup>(١)</sup> وفاز في الانتخابات على خصومه الألداء أصحاب المذهب الشيوعي الماركسي ، ثالثة الأثافي القارعة التي حدثت منذ أيام حيث غرقت الغواصة النووية في مياه النرويج ، وهذه القارعة الأخيرة لا تقل شأنًا عما سبقها من قوارع ليتحقق وعد الله للمؤمنين ووعيده للكافرين:

﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ

دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [الرعد : ٣١] .

وهكذا يفعل الله بأعدائه<sup>(٢)</sup> في كل عصر ومصر والله لا يخلف الميعاد

وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون ؛ ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ

(١) النظام الديمقراطي نظام كفر ؛ لأنه بديل عن الإسلام ، بل مقدم على الإسلام ، ولأنه يقوم على حكم الشعب بالشعب من أجل الشعب ، وأساسه العلمانية فصل الدين عن الحياة .

(٢) أما قوارع أمريكا فحدث عنها ولا حرج ، من أعظمها ما وقع بسبب ظلمها في (١١) سبتمبر من انهيار أكبر برجين كانت تباهي بهما العالم ونحن وإن كنا لا نقر التدمير والتفجير والقتل العشوائي لكن ما وقع لأمريكا ويقع إنما هو بظلمها ونصرتها لدولة يهود الظالمة الباغية على الشعب الفلسطيني المقهور المستضعف .

اللَّهُ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [الحج : ٤٠] .

وفي ساعة من ليل أو نهار يخسر الكفر والإلحاد موقِعاً أو يسلم حصناً  
فالإلحاد اليوم في النزاع والاحتضار فالشعوب لفظته وكفرت به وكسرت  
أغلاله وقيوده وما تحطيم سور - برلين - إلا بداية انفراط عقد الإلحاد  
المشئوم ؛ وإن غداً لناظره قريب<sup>(١)</sup> ، وكل ذلك من ثمار هزيمة الروس في  
الأفغان فليت العالم يدرك فضل الجهاد صانع المعجزات ماحق الطواغيت  
والجبابرة .

---

(١) والحمد لله فقد رأينا الآية الكبرى ؛ وهي تفكك الاتحاد السوفيتي إلى دويلات متناحرة بعد أن  
كان أكبر قوة في الأرض وضافت الأرض بما رحبت على الشيوعيين وشردوا في الأرض  
ولفظتهم الشعوب وتمنوا أن لم تلدهم أمهاتهم ، وما هي من الظالمين ببعيد ، وإنا نتظر بشوق  
بالغ تفكك الولايات المتحدة - قاتلها الله - بعد ما بلغت في ظلمها كل مبلغ ، ثم ختمت ظلمها  
أخيراً بغزو العراق واحتلال أرضه وقتل شعبه ؛ دون تفريق بين محارب ومسلم وصغير وكبير  
وذكر وأنثى حتى المستشفيات لم تسلم من قصفهم ، فالله نسأل وبأسماؤه الحسنى نتوسل أن يرينا  
فيهم عجائب قدرته .

## تحذير البرية من

### عبادة الأصنام البشرية

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا <sup>(١)</sup> وَلَا سُوَاعًا

وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [ نوح : ٢٣ ] .

وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنه : « أن هذه الأسماء كانت لرجال صالحين من قوم نوح ، وأنهم لما ماتوا سَوَّلَ الشَّيْطَانُ لقومهم ، وزَيَّنَ لهم أن ينصبوا لهم صوراً ، ويسمُّوها بأسمائهم حتى ينشطوا في العبادة إذا رأوهم ! ولم يعبدوهم آنذاك ، حتى هلك أولئك القوم - الذين نصبوا تلك الأنصاب - وعمَّ الجهلُ فيمن خَلَفَهُمْ حتى عبدوهم من دون الله تعالى » <sup>(٢)</sup> .

وقد أخرج البخاري في « صحيحه » <sup>(٣)</sup> عن ابن عباس قال : « صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بَعْدُ : وأما وَدٌّ : فكانت لكلب في دومة الجندل ، وأما سُوَاعٌ : فكانت لهذيل . وأما يَغُوثُ : فكان لمراد ، ثم لبني غطفان بالجرف عند سبأ ، وأما يَعُوقُ : فكانت لهمدان ، وأما نَسْرُ : فكانت لِحَمِيرَ ، لآل ذي الكلاع » .

قلت : وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ قولان للعلماء :

أحدهما : وقد أضلَّت الأصنام كثيراً من الناس ، أي : ضلوا بسببها .

(١) قرأ أبو جعفر ونافع : « وَدًّا » بضم الواو والباقون من العشرة بفتحها .

(٢) « تفسير ابن عباس ومروياته من كتب السنة » (٢/٩١١) ، تأليف الدكتور عبد العزيز الحميدي .

(٣) « صحيح البخاري » برقم (٤٩٢٠) كتاب التفسير : سورة نوح عليه السلام .

الثاني : وقد أضلَّ الكبراء كثيراً من الناس .

قلت : وهذا واقع مشاهد ؛ فكم فُتِنَ النَّاسُ بِأكابر مجرميها فعظموهم أكثر من تعظيمهم لله ، وعبدوهم من دون الله ، فقد زَيَّنوا لهم الباطل ، فشايعوهم عليه ، وجعلوه دينهم وديدنهم تبعاً لأصنامهم البشريَّة الطَّاغوتِيَّة ، ورُفِعَت تماثيلهم وأصنامهم فوق الرُّءوس ! فَإِنَّا لله وَإِنَّا إليه راجعون .

فانظر - رحمك الله - كيف آل الجهلُ بالنَّاس فآلقاهم في حمأة الشرك ومستنقعه الآسن بعد أن استمروا على التَّوحيد قرابة الألف عام ، فلما عبدوا هذه الأصنام الحجرِيَّة التي هي رموز لهؤلاء الصَّالحين عمَّ الشُّرْكُ والخرافةُ الأرضَ ، فأرسل الله أوَّل رسول إلى الأرض نوحاً عليه السَّلام ، يُجَدِّدُ ما اندرس من التَّوحيد ، ويبحثُ الشرك من جذوره ويقتلع الطَّاغوت من أساسه ، ولما أشربت القلوبُ حبَّ هذه الأصنام وعبادة الطَّاغوت لم يؤمن مع نوح إلا قليل ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١٠١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿١٠٢﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿١٠٧﴾ [نوح : ٥ - ٦ - ٢٦ - ٢٧ ] .

وقد أوحى إليه من قبل : ﴿ وَأُوْحِيَ إِلَيُّ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَسِ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٣٦] .

• لا يلزم أن تكون الأصنام حجرِيَّة فحسب :

يخطئ كثير من النَّاس بل الدُّعاة حينما يظنُّون أنَّ الشُّرائع جاءت تنهى

عن عبادة الأصنام الحجرِيَّة فحسب !

أما الأصنام البشرية فليست داخلية في التَّهْيِي والتَّحْذِير ، ومن اعتقد ذلك فليس يحمل من العلم مِثْقَالَ قَطْمِير ولا نَقِير ، فإنَّ القرآن حذر من الأصنام البشريَّة أشدَّ من الأصنام الحجريَّة ؛ كيف والأصنام البشريَّة أصل الشُّرك في الأوثانِ الحجريَّة ؟!

حينما دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً حطَّم الأصنام الحجريَّة التي كانت تعبدها العرب وتعظَّمها حول الكعبة ، وحطَّم - بنصر الله له - كلَّ الأصنام البشريَّة التي اتخذت نداءً من دون الله تشرع للنَّاس ما لم يأذن به الله من طقوس الجاهليَّة الجهلاء ، وقد قال رسول الله ﷺ لعليّ رضي الله عنه : « لا تدع تمثالاً إلاَّ طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلاَّ سويته » (١) .  
حتى لا تُعبد هذه الأصنام والأوثان من دون الله .

#### • الفرق بين الصنم والوثن :

قال العلماء : الصنم ما نحت على صورة إنسان أو حيوان ، كأصنام الجاهلية ، وعجل بني إسرائيل ، والجندي المجهول - زعموا - في زماننا !!  
والوثن : ما ليس له صورة كالقبر والصخرة والشجرة ونحو ذلك .  
والنَّاس قد فتنوا قديماً بالأصنام والأوثان ، وحديثاً - أيضاً - ولكن بأصنام بشريَّة تمشي على الأرض عليها الطيلسان والهيلمان .  
والأنبياء حذروا من ذلك أشدَّ تحذير ، فهذا موسى عليه السَّلام يأخذ بلحية أخيه يجره إليه لما عبد بنو إسرائيل العجل : ﴿ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٧﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٨﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا

(١) رواه مسلم عن عليّ رضي الله عنه .

تَأْخُذُ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿ [ طه : ٩٢-٩٤ ] .

وهذا إبراهيم عليه السلام يشكو إلى ربه فتنة الأصنام فيقول :

﴿ وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَنِي كَثِيرًا مِّنَ  
النَّاسِ ﴿ [ إبراهيم : ٣٥-٣٦ ] ولم يقر له قرار ، ولم يهدأ له بال حتى حطم تلكم  
الأصنام كلها .

ولم يكتف عليه السلام بتحطيم الأصنام الحجرية حتى حطم أكبر صنم  
بشري في زمانه وهو « نمرود » الذي نازع الله ربوبيته حينما قال - فيما حكى  
الله عنه - : ﴿ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ  
مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ ﴾ [ البقرة : ٢٥٨ ] .

ومن بعده موسى عليه السلام صنماً بشرياً طاغوتياً زعم أنه رب  
بني إسرائيل الأعلى الذي يجب عليهم ألا يتخذوا إلهاً غيره ، فقال فيما حكى  
الله عنه : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ ، وقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي  
فَأَوْقِدْ لِي يَٰلَهُمَّنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أُطْعَمُ الْإِلَهَ  
مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [ القصص : ٢٨ ] .

وبين قوله الأول في دعواه الربوبية وقوله الثاني في دعواه الألوهية زمان  
لم يمهل الله بعده شيئاً ، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، فجعله الله نكالاً

الآخرة والأولى ، وعبرة لكلِّ فراعنة الأرض من الأصنام البشريَّة التي تُعبد من دون الله ، وهكذا يفعل الله بكل من نازعه في كبريائه وعظمته .

وفي الحديث القدسي : « العظمة إزاري والكبرياء ردائي ومن نازعني فيهما عذبتة » (١) .

ومن مظاهر العبوديَّة لغير الله : القيام على رءوس العظماء والكبراء ، والانحناء لهم ، ورجوع القهقري إذا انصرفوا من عندهم ، والغلو في مدحهم وطاعتهم في معصية الله ، وتقديم طاعتهم على طاعة الله ، وتقديم القرابين تعظيماً لهم ونفاقاً ، والتَّحَاكُم إلى ما شرعوا لهم من نُظُم ووساير تخالف شريعة القرآن وتصادم سنَّة سيِّد الأنام ، والوقوف بين أيديهم خاشعين لا يتحرَّكون ، بل لا يرمشون ، كأنَّ على رءوسهم الطَّير : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ .

وإذا كان أهلُ العلم قد عدَّوا من أطاع العلماء في اجتهاداتهم الخاطئة التي خالفوا فيها الشريعة السَّمْحَةَ - بعد تبيين خطئها - قد اتَّخذوهم أرباباً ، فكيف الشَّان فيمن أطاع طواغيت الأرض الذين لا يُحَكِّمُونَ شرع الله ، ويسعون لإطفاء نور الله ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾ ﴿٧٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿ (٢) [الأحزاب : ٦٧-٦٨] .

(١) رواه أبو داود وغيره عن أبي هريرة ، انظر « الصحيحة » (رقم : ٥٤١) .  
(٢) قرأ عاصم وحده بالباء وقرأ التسعة من القراء العشرة (كثيراً) بالثاء .

فمن كان هذا شأنه حُشر مع أصنامِه وأوثانِه جميعاً ﴿ فَكُتِبَ عَلَيْهَا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوِنَ ﴿٦٦﴾ وَجُنُودَ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٨﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٩﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ [الشعراء: ٩٤-٩٨] ، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٧١﴾ [فصلت: ٢٩] .

قلت : فعَلَّ اللهُ بهم ذلك جزاء تكبرهم وتغطرُسيهم وبطَرهم يُجازيهم اللهُ هذا الجزاء تبيكياً لهم وحسرة وندامة ، كيف وقد ثبت في السنَّة الصَّحيحة<sup>(١)</sup> أنَّهم يُحشرون على أمثال الذرِّ في صور الرجال يطوهم النَّاسُ بأقدامهم جزاءً وفاقاً !

فهل يُدرِكونَ ؟ وهل يعون ؟ فيتداركوا أنفسهم قبل فوات الأوان !  
نعوذ بالله من مصيرهم ومنقلبهم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٢) ، وحسنه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في « جامع الأصول » (١٠) / (٦١٦) .

## اتِّبَاعُ السَّبِيلِ

لقد أرسل الله نبيّه وصفيّه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحقّ ليُظهره على الدّين كلّه ، فأرسله للنّاس كافّة بشيراً ونذيراً ، فأقام الحجّة وأظهر الحجّة ؛ ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيّ عن بينة ، وترك الأُمّة على بيضاء نقية ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، ولا يتكبّها إلا ضال ، فلم يترك الأُمّة سهلاً تتخبّط خبط عشواء لا تدري الحقّ من الباطل ولا الظلمات من النور ، بل رسم لها السبيل ووضّح لها الصراط المستقيم كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

ولذلك - وتوضيحاً عملياً لهذا المنهج وهذا السبيل - خطّ رسول الله ﷺ خطاً مستقيماً ، وخطّ خطوطاً عن اليمين وعن الشمال ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ ... ثم وضع يده على الخط الأوسط المستقيم وقال : « هذا سبيل الله ، وهذه سبل على كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه » (١) .

فسبيل الله واحد لا يتعدّد ، وسبل شياطين الإنس والجان كثيرة متنوعة ؛ تلتقي جميعاً وتصبّ في مستنقع واحد وإن تعدّدت أشكالها وألوانها ويافطاتها ، فالكفر ملّة واحدة مهما تلون وتشكل ولبس مُسوح الضأن ، ولما ذكر الله النور - الذي هو رمز الحق - أفرده ووحدّه ، ولما ذكر الظلمات - التي هي

(١) رواه النسائي وأحمد والدارمي ، بسند حسنه شيخنا في تعليقه على « المشكاة » (١٦٦) .

رمز الشر وشعاره - جمعه ، ألم تسمعوا قول الله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ  
يَعْدِلُونَ ﴾ .

والنورُ في الآية هو الصراط المستقيم الذي أمر المسلم - في نهاره وليله ،  
بل فرض عليه فرضاً - أن يسأل ربّه الهداية إليه والاستقامة عليه حتى يلقاه ،  
لأنّ الانحراف عنه يمنة أو يسرة معناه : الوقوع في ﴿ السُّبُلِ ﴾ التي على  
أساسها ونبعها سبيلان : سبيل المغضوب عليهم (وهم اليهود) وسبيل  
الضالين (وهم النصارى) .

قال تعالى في أمّ القرآن والسبع المثاني: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾  
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .  
وبين منازل الذين أنعم عليهم فقال : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ  
فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ  
وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

فمن أطاع الله والرسول حُشر مع هؤلاء أجمعين ، جمعنا الله بهم  
وحشرنا معهم بمَنه وكرمه ورحمته .

وإذا تأملنا قول الرسول ﷺ : « على كل سبيل شيطانٌ يدعو لنفسه » ،  
أيقننا ما عليه أئمة الضلال وراءوس الكفر من دعوة محمومة لتعظيم أنفسهم  
وترسيخ مناهجهم الفاسدة وأفكارهم الباطلة ؛ كما أخبر الله عنهم :

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>  
 وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿ ،  
 ووصفهم الرسول ﷺ فقال : « دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَطَاعَهُمْ قَذَفُوهُ فِي  
 النَّارِ » ، قالوا : منا يا رسول الله ؟ قال : « إِنَّهُمْ مِنْ أَبْنَاءِ جلدتنا ويتكلمون  
 بِالسِّتِنَا » . متفق عليه .

وقد كثروا في هذا الزمن حتى ملئوا السَّهْلَ والجبل لا كَثُرَهم الله .  
 فالثبات الثبات يا دعاة الإسلام على الصُّرَّاطِ المستقيم المتمثل في كتاب  
 الله وسنة رسوله وما كان عليه سلف هذه الأمة من الإيمان والعلم والعمل  
 الصَّالِحِ والسُّلُوكِ .

ومزيداً من مواصلة الجهد ، والبراءة من أئمة الكفر حتى يمكن الله  
 للمؤمنين في الأرض ، ويأذن سبحانه ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وما  
 ذلك على الله بعزيز .

ولقد أخبر النبي ﷺ بأنَّ الأمة ستفترق شيعاً وأحزاباً ، وأنها ستتبعُ  
 سنن من كان قبلها من الأمم حذو القُدَّةِ فقال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم  
 شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جُحر ضبٌ لاتبعتموهم » ، قالوا :  
 اليهود والنصارى ، قال : « فمن ؟ »<sup>(١)</sup> وأنت لو رجعت إلى أصول الفرق  
 الضالة لوجدتها - في أصل أصولها - متفرعةً إما عن اليهود أو النصارى .

وأخبر ﷺ أيضاً بأنَّ الاختلاف في هذه الأمة سيكون أكثر وأشد مما  
 وقع فيه اليهود والنصارى فقال : « افرقت اليهود والنصارى على اثنتين

(١) متفق عليه .

وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال: هم الذين على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي « (١) .

وهذا الحديثُ عَلِمَ من أعلام نبوته ﷺ ، فقد رأينا هذا الافتراق وهذا الاختلاف، واكتوينا بناره ، وكلِّمنا أتى على الناس حين من الدهر رأوا اختلافاً أكثر وافتراقاً أشد من ذي قبل ، وهو الذي عناه النبي ﷺ بقوله : « إنَّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة ... » (٢) .

ومن عمَّر من الصحابة أدرك أوائل ظهور هذا الاختلاف الكثير ، فظهور الخوارج ، والمعتزلة ، والرافضة ، وبروز بذرة التَّصوف كل ذلك من إرهاصات ودلالات هذا الحديث .

ولكن رسول الله ﷺ يُشخصُ الداءَ ويصف الدواء ، فالاختلافُ داءٌ ودواؤه التَّمَسُّكُ بالكتاب والسُّنة بفهم سلف الأمة ، ولذلك يؤكِّد الرسول ﷺ على سُنَّة الخلفاء الراشدين ، لأنَّ سنتهم لا تخرج عن سنَّته ﷺ وسبيلهم لا يتنكب سبيله ﷺ وهم بالحق قاموا ، وبه نطقوا ، وبهم قام ونطق ، اختارهم الله لصُحبة نبيه ﷺ فرضي عنهم ورَضوا عنه .

والابتداعُ في الدين أصلُ الفساد وأساسه ، ولذا يجذُرُ منه رسولُ الله ﷺ فيقول: « وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل محدثةٌ بدعةٌ، وكل بدعةٌ ضلالةٌ » .

(١) أخرجه الترمذي ، والطبراني في « الصغير » ، والعقيلي في « الضعفاء » ، وهو حسن بشواهده .

(٢) صحيح ، أخرجه الترمذي وغيره .

وبعضُ الدعاة يزعمون أنَّ كثرة الجماعاتِ على ساحةِ الدَّعوة ظاهرةٌ مُرضِيَّةٌ ، ولهم أقول : إنَّ كثرةَ الجماعاتِ ظاهرةٌ مَرَضِيَّةٌ ؛ لأنها تعني كثرة الاختلاف ، والاختلاف كُلُّهُ شرٌّ ، والشرُّ لا يأتي بخير ؛ خصوصاً أنَّ بعض الجماعاتِ لها ذبولٌ تلتقي مع بعض الفرق الهالكة كالقول بالتَّكفير بالمعاصي والذنوب ، وإنكار أخبار الآحاد ، ورد السنن والآثار بالعقل والهوى ، وتعطيل الصِّفات ، وهذه الجماعات فيها حقٌّ وباطلٌ ، وكلُّما كانت أقربُ إلى الحقِّ كانت أقربَ إلى الصراطِ المستقيم ، وكلما ابتعدت عنه كانت أقربُ إلى (أصحاب السبل) - الاثنتين وسبعين فرقة الهالكة - التي حدَّرتنا منها النبي ﷺ .

من أجل ذلك لا بدُّ من معرفة الباطل وأهله ومناهجهم حتى يُتَّقوا ويُحدَّر منهم، كما لا بدُّ من معرفة سبيل الذين أنعم الله عليهم - وهم الفرقة الناجية - وإتِّمَّ يكون ذلك بالعلم الصَّحيح القائم على الأدلة البيِّنة ، والحُجج الواضحة من الكتاب والسنة الصحيحة بفهم سلف الأمة .

وتركيزنا على فهم السلف - كما ذكرنا ونذكر وسنذكر - ؛ لأنَّهم أعلمُ النَّاسِ باللهِ وبرسوله ، هم الذين نَقَلُوا القرآنَ إلى واقعٍ حيٍّ عمليٍّ ؛ كما يجبُ اللهَ ويرضى ، وقد شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية - فيما رواه الشيخان - فقال : « خير النَّاسِ قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .

ولا يُعرف عن السلف الصالح خلافٌ في قضايا الاعتقاد ، ولا يلتفت إلى شنشنة بعضهم حول اختلاف الصحابة في العقيدة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » (٦/٣٩٤) : « وأما الذي أقول الآن وأكتبه ... أنَّ جميع ما في القرآن من آيات الصفات ؛ فليس

عن الصحابة اختلافاً في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة ، وما رووه من الحديث ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة : أنه تأول شيئاً من آيات الصفات ، أو أحاديث الصفات ؛ بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف ، بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته، وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ؛ ما لا يحصيه إلا الله ، وكذلك فيما يذكرونه أكثرين وذاكرين عنهم شيء كثير .

من أجل ذلك كان تصحيح عقائد الناس وإصلاح مناهجهم أساس دعوة الرسل وكلّ دعوة سنية صحيحة ، فالخلاف مرفوض في سائر قضايا الشريعة ، وفي العقيدة من باب أولى ، ولا يمكن تجميع الناس قبل تصحيح عقائدهم ، لأنّ ذلك معناه التنازع والفشل واحتباس نصره الله عنهم ، لأنّ معية الله ونصرته لا تنزل على أهل الشرك والخرافة وأرباب الضلالة لقول الله : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

فاتباع سبيل المؤمنين واجتناب السبل - التي حذر منها الله ورسوله - فيها الخلاص من واقعنا المعاصر - السيئ - وهذا ما يشهد له الكتاب والسنة والتاريخ ، فهل نحن مدركون؟!

## التحذير من الكذب على الله ورسوله ﷺ

الكذب خلق سيئ ، وخصلة ذميمة ، حذر الله منها في كتابه ، وحذر نبيه منها ﷺ في سنته .

وقد جاءت الآيات الكريمة ، والأحاديث الصحيحة ، تنهى عن هذا العمل المشين ، الذي هو من صفات المنافقين ، والذي يجب أن يترفع عنه الداعية ، بل المسلم ، لأن ديننا قائم على الصدق ، ونبينا ﷺ هو الصادق الأمين .. أمين الله على وحيه ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ .

وقرن سبحانه وتعالى القول عليه بغير علم ، بالشرك بالله ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

ووصف ﷺ المنافقين بالكذب ، قال ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » (١) .  
فعاراً على المؤمن أن يكون كذاباً ، وحرام عليه أن يتصف بهذا الخلق

(١) أخرجه البخاري في « الصحيح » (رقم: ٦٠٩٤) ، ومسلم في « الصحيح » (٢٦٠٢ و ٢٦٠٧) .

الدنيء ، قال ﷺ : « من كذب عليّ مُتعمداً فليتبوأ مقعده من النار » <sup>(١)</sup> .  
 فإذا عرفت ذلك تبين لك أنّ الكذب من الكبائر التي توعدّ الله - أخي  
 المسلم - أهلها أشدّ العذاب ، وقد أجمعت الأمة على تحريم الكذب على  
 الناس ، فما هو حال من يكذب على الله وعلى رسوله؟! إنّه - بلا ريب -  
 أشدّ حرمة في ذلك ، وأكثر وعيداً .

ويتجلّى الكذب على الله في التّقول عليه من غير علم ، وإعطاء الفتوى  
 بغير هدى ، فعالم ناقل عن الله ورسوله ، فليقل خيراً وليظهر علماً ؛ وإلا  
 أصابه قول النبي ﷺ : « من حدّث عنيّ بحديث يُرى أنّه كذب ، فهو أحد  
 الكذّابين » <sup>(٢)</sup> ، وقوله : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

والأحاديث المكذوبة لها أخطارها الشنيعة على الفرد والأمة ، وعلى  
 الدين نفسه، خصوصاً إذا كانت في باب العقيدة ، وسنأتي بمثال على ذلك ،  
 وهو ما يروى : « لو أنّ أحدكم أحسنَ ظنّه بجبر لنفعه » <sup>(٣)</sup> ، فهذا الحديث  
 الموضوع ، بل الباطل ، مما يروجه أهل الشرك في كل زمان ومكان ، الذين  
 يؤذيهم أن يروا أمة الإسلام مؤحّدة ربّها تعبده حقّ عبادته ، فيريدون بأمثال  
 هذا الحديث الباطل إفساد عقيدة المسلمين التي عليها مدار قبول أعمالهم ،  
 وعليها يتعلق فلاحهم ونجاحهم في الدنيا والآخرة ، فالمسلمون يعتقدون أنّه  
 لا ضارّ ولا نافع إلا الله وحده ، وأنّه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن  
 ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ

(١) أخرجه البخاري في « الصحيح » (رقم: ١٢٩١) ، ومسلم في « الصحيح » (رقم: ٣) .  
 (٢) أخرجه مسلم في مقدّمة « الصحيح » (٩/١) ، والترمذي في « الجامع » (رقم ٢٦٦٤) .  
 (٣) لا أصل له ، فانظر « الأسرار المرفوعة » (٢٨٨) .

عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴿ ، فتعلق القلوب بالحجارة وبأشكالها وأنواعها  
وأسمائها شرك بالله سبحانه وتعالى .

عن عقبة - مرفوعاً - : « من تعلق تيمة فقد أشرك » <sup>(١)</sup> ، وقوله ﷺ  
- من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله  
ﷺ يقول : « إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَّةَ شِرْكَ » <sup>(٢)</sup> ، والتمايم هي أشياء  
تعلق على الأولاد يتقون بها العين .

ونحوها كالخرز الأزرق الذي تضعه النساء على أطفالهن لاعتقادهن أنها  
تردّ العين عنهم ، وهذا شرك - والعياذ بالله - .

إنّ هذا الحديث الموضوع قرّر عقيدة الشرك وهدم عقيدة التوحيد من أساسها  
وكذلك تفعل الأحاديث الموضوعة المكذوبة على النبي ﷺ في عقيدتنا وديننا .  
فإن قال قائل : إذا كانت الحجارة لا بركة فيها ولا نفع ، فما بآلنا نقبل  
الحجر الأسود ونستلمه !؟

قلنا : الحجر الأسود من الجنة ، كما أخبر النبي ﷺ والله تعبدنا  
باستلامه وتقبيله ، والنبي ﷺ - وهو سيد المرسلين وإمامهم - قبله وأمر  
بتقبيله ، ونحن نتأسى به في ذلك ولا نعتقد في هذا الحجر دفع ضرر أو جلب  
نفع أو بركة أو قدسيّة - كما يعتقد أهل التمايم في تمايمهم ... .

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما قبّل الحجر الأسود : « والله

(١) رواه أحمد (١٥٦/٤) ، والحاكم (٢١٩/٤) عن عقبة بن عامر ، بسند حسن .

(٢) أخرجه أحمد في « المسند » (٣٨١/١) ، وأبو داود في « السنن » (٣٨٨٣) ، وابن ماجه في  
« السنن » (٣٥٣٠) ، والحاكم في « المستدرک » (٤١٧/٤ ، ٤١٨) ، وقال : صحيح الإسناد ،  
ووافقه الذهبي . وكذا صححه شيخنا في « الصحيحة » (رقم : ٣٣١) .

إنني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك»<sup>(١)</sup>، فهل بعد هذا البيان من شبهة لأهل التمام وأهل الودع والبدع؟!

### وأسباب الوضع والكذب كثيرة منها :

- ١- التَّعَصُّبُ لمذهب دون الآخر، كحديث : « سراج أمّتي أبو حنيفة » .
- ٢- التَّشْيِيعُ لفكرة أو نَحْلَةٍ ، كمذهب الشيعة والرافضة ، ومن موضوعاتهم حديث « أنا مدينة العلم ، وعليٌّ بأبها »<sup>(٢)</sup> .
- ٣- التَّقَرُّبُ إلى بعض الحكّام بوضع بعض الأحاديث ؛ كزيادة : « أو جَنَاح » على الحديث الصحيح : « لا سبق إلا في خوف أو حافر »<sup>(٣)</sup> ، وزاد بعضُ الوضّاعين : « أو جَنَاح » ؛ لعلمه تعلّق الحاكم - في ذلك الزّمان - بالطيور وشَعَفَه بها .
- ٤- التَّريغِب والتَّرهيب ، وأمثلة ذلك كثيرة جدًّا .

---

(١) أخرجه البخاري في « الصحيح » (رقم: ١٥٩٧) ، ومسلم في « الصحيح » (رقم: ١٢٧٠) .

(٢) يُراجع له « أحاديث القُصّاص » (١٥) لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(٣) انظر « الموضوعات » (٤٢/١) لابن الجوزي ، و« السلسلة الضّعيفة » (٣٨٩/١) لشيخنا الألباني .

## الفكر التنويري في الميزان

... نسبوا إلى العقل<sup>(١)</sup> ؛ لأنهم جعلوا العقل هو الحكم في كل شيء ؛ حتى في الأمور الغيبية التي لا تخضع للعقل في العادة ، فهم لا يجعلون الشرع هو الحكم ، فإن العقل عندهم قاضٍ على كل شيء من الشرع والدين ؛ فما وافق العقل قبلوه ، وما خالفه رفضوه ؛ ولو جاء به كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لذلك أعملوا عقولهم في ردّ كثير من النصوص ؛ لأنها - بزعمهم - تتعارض مع العقل ، وإنما تتعارض - في الحقيقة - مع عقولهم القاصرة لا مع العقول السليمة ، فالعقل السليم لا يخالف النقل الصحيح ، وقد صنّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً حافلاً اسمه « درء تعارض العقل والنقل » أو « موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول » .

### ● منزلة العقل في الإسلام :

لم تهمل الشريعة الإسلامية جانب العقل حيث جعلت العقل مناط التكليف ؛ فكرّمت ابن آدم بالعقل ، ولقد دعا القرآن والسنة المطهرة إلى الاستفادة من العقل ، والتدبّر في خلق السموات والأرض ، والاستدلال بالآيات الكريمة من خلال العقل على وجود الباري وعلى ربوبيته وألوهيته .  
ولقد كرّم الله عز وجل الإنسان لأمرين :

١ - الهداية .

٢ - العلم الذي لا يكون إلا بالعقل ، لذلك فالمجنون لا يمكن أن يكون

(١) تنظر رسالتي « العقل ومنزله في الإسلام » .

علماً ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ  
أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

فجعل الله الناس فريقين : عالماً وجاهلاً .

### • العقل لا يكون حكماً على الشرع :

ومع هذه الأهمية للعقل إلا أن الله عز وجل لم يجعل العقل حكماً  
على الغيب ولا على الشرع ، إنما حدّ له حدوداً لم يُجزّ له تجاوزها .

فالعقل وسيلة للتوصل إلى معرفة إبداع الله في الكون وأسرار هذه الحياة  
الدنيا ، وأما ما يكون من شأن الآخرة والغيب وما بعد الموت ، ومعرفة ذات  
الله وصفاته وأسمائه ؛ كل أولئك لا مجال للعقل أن يخوض فيها إلا من  
خلال نصوص الوحي ؛ فمن رام معرفة متى تقوم الساعة بعقله وحده ؛

تخبّط واضطرب ولم يرجع بطائل ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ

السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا

تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ .

### • العقل نعمة عظيمة من نعم الله على الإنسان :

إذا علمنا أن العقل من نعم الله العظيمة على الإنسان كان لزاماً على  
الإنسان العاقل أن ينتفع بعقله ، وأن يستثمره في فهم النصوص الشرعية  
والآيات الكونية ، لا للاستدراك على الشرع وتخطئة الوحي وتكلف معرفة  
الغيوب ، فإنّ الذين يحكّمون العقل في الأمور الغيبية لا يعقلون ، وهم  
يجهلون حكمة الله أو حكمة الشرع في جعل كثير من الأحكام الشرعية غير

معقولة المعنى ( أي : تعبدية محضة ) .

• هل وردت أحاديث صحيحة أو حسنة في فضل العقل ؟

قال العلماء : إنه لم يصحَّ حديثٌ في فضل العقل ، وكل ما جاء في هذا الباب إما موضوع أو ضعيف ، إنّ الذين يقدّسون العقل ويجعلونه حكماً على النقل الصحيح لا يعقلون ؛ لأنّ العقل مخلوق من مخلوقات الله ، والمخلوق مهما أوتوا من العلم والمعرفة والفهم ؛ فلن يبلغوا حقيقة ما غيَّب عنهم ، ولو تكلفوا لذلك أشدّ التكلف ، ولذلك جاء في الحديث الحسن : « تفكّروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله » ، ولقد نعى الله على الذين لم يهتدوا بعقولهم إلى الحق والصواب ، الذين أعرضوا عن الحق إذ جاءهم بعد أن ظهر لهم واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار ؛ حيث شبههم الله بالدواب العجماء ، والأنعام السائمة التي لا تنتفع بجواسها ، قال تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ ، فمن وهبه الله نعمة العقل ولم يهتد به إلى الحق ، بل ضلَّ مع ذلك ضلالاً بعيداً بعد قيام الحجة البالغة عليه ، بل شرد من ربه شرود البعير الضالّ من أهله ؛ فهو في دركةٍ دون دركات البهائم .

• تأثر المدرسة العقلية بالحضارة الغربية الزائفة :

لقد تأثر أرباب هذه المدرسة الفاسدة بالحضارة الغربية الزائفة ، فأكثرهم ممن تلقوا علومهم عن الغرب ، وتعلموا على أيدي المستشرقين ، ودرسوا الفلسفة وعلم الكلام والمنطق ، وتشبّعوا بآراء أهل البدع كالمعتزلة

وغيرهم ، ولقد انبهروا بل فتنوا بما وصلت إليه المجتمعات الغربية من تقدم علمي وتقني ؛ فسعوا جاهدين للعمل على التقريب بين الإسلام وبين الثقافة الغربية مع ما بينهما من تنافر وتناقض وبعُد ، كما بين المشرق والمغرب ، فدعوا إلى التنازل عن مسلّمات وثوابت أصيلة ، وعملوا على ليّ أعناق النصوص الشرعية ، أو تعطيلها ، أو تأويلها تأويلاً فاسداً يُخرجها عن نصّها وروحها ، وشقوا لأنفسهم طريقاً وِعراً ليجمعوا بين المتناقضات ، فتحكموا وتهكموا على كثير من النصوص بأهوائهم وآرائهم الفاسدة الكاسدة العاطلة الباطلة ؛ إرضاءً لأساتذتهم المستشرقين والمستغربين ، ولمن كان على شاكلتهم ؛ كلّ ذلك جهلٌ منهم وضلالٌ وإضلالٌ ، فترى الواحد منهم لا يعرف من الدين إلا اسمه ، ولا يعرف من الإسلام إلا رسمه ؛ فلا ظاهرهم أصلحوه ، ولا باطنهم من الانحراف والشكّ والضلال خلّصوه ؛ فتراهم لا يعملون بشرع الله ، ولا يلتزمون تعاليم الله ، ويرون الإيمان بما وقر في القلب دون ما ظهر على الجوارح ، وهذا مذهب المرجئة القدامى والمعاصرين ، وهو مذهب مرجئة العصر العقلانيين ، الذين يفهمون الشرع بعيداً عن وحي الكتاب والسنة وسبيل العلماء العاملين من الأئمة المثّبعين والعلماء الربانيين في كلّ عصرٍ وأوان .

### • أبرز رموز المدرسة العقلانية المعاصرة :

- ١ - محمد عمارة .
- ٢ - محمد الغزالي السقا .
- ٣ - يوسف القرضاوي .

- ٤ - فهمي هويدي ( الكاتب ) .
- ٥ - حسن الترابي السوداني .
- ٦ - المفكر رجاء جارودي الفرنسي .
- ٧ - جابر العلواني .

## التحذير من البدع !

لقد تلقى الصَّحابة رضي الله عنهم ، الإسلام غضباً طريئاً من نبعه الصَّافي العذب لم تشبه شائبةً فأيقنوا أنَّ الدين كتابٌ وسنةٌ ، وما عدا ذلك فليس من الله في شيء .

وكان إجماعهم على أمر من أمور الدين حجةً دامغةً ، إذ إنهم لا يجتمعون على ضلالة ، فالله قد عصمهم من ذلك ، والنبى ﷺ بين لأُمَّته أنَّ الخلفاء الراشدين أئمةٌ رشديٌ وهدى وسنتهم من سنته ﷺ فما سئوه للأمة فهو حق على الأمة اتِّباعه والعملُ به قال ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عَضُّوا عليها بالتَّواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة » (١) .

وقال ﷺ : « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » (٢) .

وقال ﷺ : « خير النَّاس قرني ، ثمَّ الذين يلونهم ، ثمَّ الذين يلونهم » (٣) .  
فشهد النبي ﷺ لهذه القرون الثلاثة بالخيرية ، فهي أكثر القرون اتِّباعاً لنبيها وأقلهم تكلفاً ، وأبعدهم عن مخالفة هديه ﷺ ، وبعد هذه القرون المشهود لها بالخير ، كثرت الفتن والبدع والأهواء ، وأناخ الشرُّ بكلِّكله ، وبرزت قرون الفتنة في أنحاء كثيرة من ديار المسلمين ، تصديقاً لقول النبي ﷺ : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء ، قيل : من هم يا

(١) تقدم تخريجه في مقال عوامل نجاح الإنسان .

(٢) رواه الترمذي (٢٦٦٣) ، وأحمد (٣٩٩/٥) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، بسند حسن .

(٣) تقدم تخريجه في مقال عوامل فلاح الإنسان .

رسول الله ؟ قال : هم الذين يُصْلِحُونَ إذا فسد النَّاسُ « (١) .

### • الصَّحابة رضي الله عنهم أشد النَّاسِ إنكاراً للبدع :

والصحابه رضي الله عنهم من أكثر أمة النبي ﷺ اجتناباً للبدع وتحذيراً منها ، لقرب عهدهم بالنبوة والوحي ، وتشرفهم بصحبة نبيهم ﷺ .

ولإدراكهم خطورة البدعة في الدين ، وأنها معول هدم لشريعة الإسلام من الأساس ، ولم يكن الصحابة ليغاملوا بعضهم على حساب دينهم وإسلامهم ، فهم أشجع الناس في الحق ، ولهم مواقف خالدة في ذلك ، سجلت لهم صفحات من نور :

من ذلك قول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : « كلَّ عبادة لم يتعبدها أصحاب النبي ﷺ فلا تعبدها » .

وكذا قول عبد الله بن مسعود : « أتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم ، عليكم بالأمر العتيق » .

### • قاعدة لمعرفة السنَّة من البدعة :

البدعة : هي كلُّ حدثٍ في الدِّين لم يَقم عليه دليلٌ شرعيٌّ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولم يفعله الصحابة رضي الله عنهم ، أو : هو كلُّ ما أحدث في الدِّين على غير مثال سابق .

و ضدَّ البدعة السنَّة ، وهي قسمان : سنَّة تَرَكِيَّة ، وسنَّة فعلِيَّة .

فالسُّنَّة التَّرَكِيَّة : هي ما تركه النبي ﷺ مع قيام المقتضى لفعله ، فالسُّنَّة

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (٥٨٦٧) ، و « الصغير » (٢٩٠) ، والقضاعي (١٠٥٥) بسندٍ فيه ضعف . ولكن له شواهد تُقوِّيه .

تركه تأسياً بالنبي ﷺ ، إذ لو كان خيراً لشرعه لأُمَّته ، مثال ذلك : الأذان للعديد ، وركعتا السَّعي ، قياساً على ركعتي الطَّواف ، وأمثلة ذلك كثيرة .  
أما السُّنة الفعلية : فهي السنة التي فعلها النبي ﷺ ، وأمر بفعلها من الشرع ، يثاب المسلم عليها ، كـ « سُنَّة » الضحى ، والسُّنن الرأتية ، والتَّساييح المسنونة بعد الصَّلوات المكتوبة .

ومن أسباب الابتداع ما يلي :

١- أحاديث ضعيفة لا يُحتجُّ بها : فترى كثيراً من العامَّة والعلماء ، يحتجُّون بأحاديث ضعيفة لا يجوز العمل بها ، فتراهم يبنون عليها أحكاماً شرعية ، ومعروفٌ عند العلماء أنَّ الحديث الضَّعيف لا يعمل به في الأحكام أبداً ، واختلفوا في العمل به في الفضائل ، والصَّواب عدم جواز العمل بالحديث الضعيف في الفضائل ولا في الأحكام ، إذ الكل شرع ، فبناء حكم شرعي على حديث ضعيف ، واستمرار النَّاس عليه ، يقرُّ عبادةً لم تثبت شرعاً ، فديننا ثابتٌ بالأدلة الشرعية الصحيحة ، لا بالأخبار الواهية الضَّعيفة .

٢- اجتهادات واستحسانات لم يَقم عليها دليلٌ شرعيٌّ : إنَّ كتب الفقه مليئةٌ باجتهادات أهل العلم ، خصوصاً المتأخِّرين منهم ، ومثل هذه الاستحسانات ، لا تجوز ؛ لأنَّ من استحسن فقد شرَّع ، والقاعدة الأصولية تقول : « لا اجتهاد في موضع نص » ، والاجتهاد إذا لم يصدر عن دليل شرعيٍّ فهو رأي ، والرأي ليلٌ والحديث نهار ، ومن أمثلة ذلك : بدعة المولد النَّبوي .

٣- عاداتٌ وخرافاتٌ أدخلت في الشرع ليس لها أصل شرعيٌّ ولم يفعلها سلف هذه الأمة من الصَّحابة والتَّابعين ، كطعام الأربعين ، الذي

يصنع للأموات ، وكبدع الأفراح والأعياد .

٤- كل عبادة أطلقها الشارع وقيدتها الناس ببعض القيود ، مثل المكان والزمان ، نحو الجهر بالذكر بعد الفريضة، والصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان ، ونحو ذلك ..

ولخطورة البدع ، وجب على العلماء إنكارها والتحذير منها .  
والبدعة أقسام ، منها : ما هو شرك أكبر ، كبدع الجهمية ، المعطلين لصفات الله سبحانه وتعالى ، وكبدعة القول بوحدة الوجود ، وغير ذلك .  
ومنها : المحرم ، كبدع الأذكار ، والصلوات ، وسائر العبادات .  
وعلى كل حال فالبدعة أمرها خطير ، وأقل أحوالها التحريم ، وحسبك شاهداً على خطورة البدع وقبحها قول الرسول ﷺ : « إن الله احتجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » (١) .

من أجل ذلك كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون ، أشد الناس إنكاراً على المبتدعين ، كالخوارج وغيرهم .

وكذلك الأئمة الأربعة حذروا من البدع ، فهذا الإمام مالك ، يتحدث من البدع، قائلاً: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة ، فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة، اقرءوا إن شئتم قوله تعالى : ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، فما لم يكن يومئذ ديناً ، لا يكون اليوم ديناً ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (٤٣٦٠) ، وحسنه المنذري في « الترغيب » (٤٥/١) ، وفصل في تحريجه شيخنا الألباني في « الصحيح » (١٦٢٠) . وانظر « مجمع الزوائد » (١٨٩/١٠) .

به أولها » .

فالحمد لله الذي أكمل لنا ديننا ، وأتم علينا نعمة الإسلام ، فلم يبق مجالاً لمبتدع أو مُستحسن ، قال ﷺ : « ما تركتُ شيئاً يقربُكم إلى الله ، إلاّ وقد أمرتكم به ، وما تركتُ شيئاً يبعدُكم عن الله ، ويقربُكم من النار ، إلاّ وقد نهيتكم عنه » (١) .

فعلى دعاة الإسلام ، أن يركّزوا جهودهم ، ويجمعوا طاقاتهم ، لقمع البدعة وأهلها ، فيسلم لهم دينهم وعقيدتهم التي فيها سرُّ بقائهم ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

### • عاقبة أهل البدع:

دخل أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - مسجد الكوفة ؛ فوجد فيه رجالاً متحلّقين حلّقاً حلّقاً ، وفي كلّ حلقة شيخ وأمامهم كوم من الحصى ، ويقول لهم الشيخ: سبّحوا مائة ؛ فيعدّون مائة من الحصى ، ثمّ يقول : احمداوا مائة ، وهكذا ... إلخ ، فأنكر ذلك بقلبه ولم ينكره بلسانه ، غير أنّه أسرع مهرولاً إلى بيت عبد الله بن مسعود ، فسلمّ عليه فردّ السّلام ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن لقد دخلت المسجد آنفاً فرأيت شيئاً أنكرته ، والله ما رأيت إلا خيراً ، - وقصّ عليه أمر هؤلاء الحلق - ؛ فقال له ابن مسعود : فهل أمرتهم أن يعدّوا سيئاتهم وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم شيء؟! قال : لم أمرهم بشيء ، انتظر أمرك ، قال ابن مسعود : هلم بنا فذهبا إليهم ،

(١) أخرجه البغوي في « شرح السنّة » (رقم: ٤١١١) ، ومن حديث ابن مسعود لكن فيه انقطاع . وله شاهدٌ عن الحاكم في « المستدرک » (٤/٢) من حديث جابر . وثان عند أبي نُعيم في « الحلية » (٢٦/١٠ و ٢٧) من حديث أبي أمامة ، وصحّ الحديث ابن حبان في « الصحيح » .

فسلّم عليهم ابن مسعود ؛ فرثوا عليه السلام ، فقال لهم ابن مسعود : ما الذي أراكم تصنعون يا أمة محمد ؟ قالوا : يا أبا عبد الرحمن حصى نعدّ به التّسبيح والتّحميد والتّهلّيل والتّكبير ، فقال لهم : ما أسرع هلكتكم يا أمة محمد ، هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ متوافرون ، وهذه ثيابه لم تبل بعد ، وهذه آنيته لم تكسر ، إمّا أن تكونوا على ملّة هي أهدى من ملّة محمد ، أو تكونوا قد افتتحتم باب ضلالة ، قالوا : يا أبا عبد الرحمن ، والله ما أردنا إلا الخير ، قال : « وكم من مريدٍ للخير لم يصبه » .

إن نبينا ﷺ أخبرنا : « أن أناساً من أمته يحقر أحدنا صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية ، وايم الله لأظن عامتكم منهم » <sup>(١)</sup> .

قال عمرو بن سلمة : رأيت عامّة أولئك - أي : أصحاب الحلق - يطاعنوننا يوم التّهرّوان مع الخوارج !  
قلت : أصابت فراسة ابن مسعود هؤلاء المبتدعة إذ لحقوا بالخوارج بسبب إصرارهم على بدعتهم ، وهذه عاقبة من أصرّ على الابتداع وخالف الرّعيل الأوّل .

ولكن قد يقول قائل من أهل زماننا : ما الذي أنكره ابن مسعود ؟ وهل ذكر الله بدعة ؟!

نقول : حاش لله أن يكون ذكره تعالى بدعة خصوصاً إذا كان ذكراً مشروعاً ، وإنّما البدعة في الكيفيّة التي اجتمع عليها هؤلاء والطريقة التي

(١) رواه الدارمي (٦٦/١) بسند صحيح .

سلكوها في ذكرهم لله التي لم تكن من عمل النبي ﷺ ولا من عمل أصحابه ،  
والخوارج الذين ذمهم الرسول ﷺ وقال فيهم : « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل  
عادٍ » (١) إنما توعدهم ﷺ لما أحدثوا من البدع والمنكرات التي منها :

\* أنهم أخذوا يكفرون المسلمين بالمعصية ، ويخلدونهم في نار جهنم مع  
أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار .

\* كما أنهم أوجبوا على المرأة الحائض أن تقضي الصلوات الفائتة كما  
تقضي الصيام .

\* وفعلوا في دينهم وتنطعوا أشد التنطع بل خرجوا على ابن عم  
رسول الله ﷺ وصهره علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بل قتلوه ظلماً  
وزوراً .

ونبينا ﷺ يقول : « إن الله احتجز التوبة عن كل صاحب بدعة حتى  
يتوب من بدعته » (٢) ، ولسان حال كل مبتدع يقول : هذا هو دين محمد بن  
عبد الله .

وما أروع ما قاله الإمام مالك حيث قال : « من ابتدع في الإسلام بدعة  
يرأها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : ﴿ أَلْيَوْمَ  
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ  
دِينًا ﴾ [ المائدة : ٣ ] ، فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً ، ولن يصلح

(١) أخرجه البخاري في « الصحيح » (رقم: ٣٣٤٢ و ٣٦١٠) ، ومسلم في « الصحيح » (رقم:  
١٠٦٦) .

(٢) سبق تخريجه .

آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» (١) .

والمبتدع محروم من شربة هنيئة من يده ﷺ ومن حوضه الذي هو أبيض من الثلج وأحلى من العسل .

فقد ثبت من حديث أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :  
« ليزادن أقوام من أمتي عن حوضي كما تزداد الإبل الغريبة فأقول : يا رب أممي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » (٢) .

فهذه هي عاقبة أهل البدع قديماً وحديثاً أعاذنا الله من سوء خاتمهم ، فهل يعي أولئك المبتدعة في كل زمان ومكان سوء منقلبهم ، فيتوبوا إلى الله توبة نصوحاً ، نرجو لهم ذلك ، والله تعالى وحده الهادي إلى سبيل الاتباع .

---

(١) « الاعتصام » للشاطبي (٤٩/١) .

(٢) أخرجه البخاري في « الصحيح » (رقم: ٦٥٢٦) ، ومسلم في « الصحيح » (١٥/٥٣-٦٦ / النووي) . نحوه عن جماعة من الصحابة .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

# الباب الخامس آفات الطريق

رَفَعُ

عبد الرحمن البجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## طغيان القلم

كرم الله القلم ؛ بأن جعله أول مخلوق ؛ كما صح بذلك الخبر عن سيد البشر .

وأقسم به لشرفه وشرف ما يتوصل به إليه ، فقال : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ؛ فأقسم بهذا على أن دعوة نبينا محمد ﷺ مسندة إلى رجل معصوم يتمتع بكامل العقل والقوى ، لذلك أعقب ذلك بقوله : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ ؛ لأن الجنون آفة مانعة من التكليف والتبليغ والدعوة ، وهو من أسباب الطغيان .

لذلك فمن كان به جنون لا يصلح لحمل القلم ، ولا الخط به ، فكيف إذا أسند هذا القلم إلى مجنون من مجانين الأرض<sup>(١)</sup> ، فإنه لن يكون إلا فتكاً بالأمة إذ هو كمجنون أعطي قبلة أو غيرها من أسلحة الدمار الشامل<sup>(٢)</sup> .

وذكره في مواطن أخرى من الكتاب العزيز ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا

فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ولقد بين الرسول ﷺ أهمية العلم وعلو شأنه في الإسلام ؛ - فإنه

(١) أحد ساسة الغرب المجانين الذي اجتاحت دولتين مسلمتين في نحو سنة بجرة قلم وأهلك الحرث والنسل ، والعجيب أنه يدعي الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان .

(٢) أسلحة الدمار الشامل حرام على المسلمين ولو للدفاع عن النفس ، حلال لليهود والنصارى فأين

العدل !؟

بالإضافة إلى أن الله تعالى أقسم به في سورة القلم - التي سميت باسمه - فإن أول ما قرع سمع النبي ﷺ من آيات الذكر الحكيم تعظيم شأن القلم في أول سورة أنزلها الله على نبيه ، قال تعالى : ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾ .

فالأهمية العلم ووسائل تحصيله؛ بين الله لنا ذلك من خلال سورة العلق ؛ لأن المجتمع الجاهلي كان أمياً لا يقرأ ، ولا يكتب إلا ما ندر ، وهي آفة الآفات على مر العصور ؛ وكرّ الدهور .

ولما كان المقروء عرضة للنسيان والضياع ؛ أوجب الإسلام تدوينه عن طريق الكتابة ، فالقلم هو القلم مهما تغيرت أشكاله ووسائله .

وهو أمانة في عنق حامله لا ينبغي أن يستعمله إلا في الرسالة التي أرسل بها النبيون وورثتهم من العلماء ، فإساءة استغلال القلم كإساءة استغلال السلاح ؛ كلاهما يفضي إلى الدمار في العقول والنفوس ، ولذا قال فيه الشاعر :

**إذا اهتز في طرسه مُعْجَباً      أذل شعوباً وأعلى شعوباً**

فعلى أرباب الأقلام أن يتقوا الله في أقلامهم ، لأن القول أمانة منوطة في أقلامهم، ولأن القول أمانة منوطة في أعناقهم ، والله سائلهم عن هذه الأمانة ، التي عرضها على السموات والأرض والجبال فأبت أن تحملها ، وارتجفت من أهوالها أياماً كما جاء في بعض التفاسير .

فلا يحل لصاحب قلم آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً : أن يطغى قلمه ، فيجمع عن الحق ، ويجنح إلى الباطل والطغيان

من خلال قذف الآخرين ، والاستهزاء بهم ، والسخرية ، والتجهيل ،  
والتسبيح بحمد نفسه ، أو حمد غيره دون حمد ربه .

فالأقلام خلقت لتقدس الله وتعظيمه ، والدعوة إليه ، وتعريف الخلق  
بربهم ، ومعبودهم الحق ، لا التزلف إلى أهل الدنيا ، ولا ترويج البدع ، ولا  
المدح الكاذب الذي أمرنا أن نحثو في وجوه أصحابه التراب ولا الدعوة إلى  
المناهج الفاسدة وغيرها .

فما أحوج كثيراً من الأقلام إلى الكسر ، وأصحابه إلى الحجر ؛ لأنهم  
أساءوا استخدامها ، وامتطوا بها متن الباطل ، ليصلوا بها إلى حظوظ  
أنفسهم... فالله المستعان.

## لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ؟!

أمر الله عباده المؤمنين أن يقرنوا بين القول والفعل وبين العلم والعمل ،  
فما من آية نادى الله فيها المؤمنين إلا ودعاهم إلى العلم المقتضي للعمل بذلك .  
كان العلم المجرد من العمل من سَنَنَ وأخلاق المغضوب عليهم ؛ من  
أجل ذلك قال بعضُ علماء السلف : من فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود ،  
ومن فسد من عبَّادنا ففيه شبه بالنصارى .

فعلم بلا عمل كعمل بلا علم ، وهما أمران متلازمان ، وهما جزء لا  
يتجزأ من عقيدة المسلم .

ومن أبرز سمات العلماء الربانيين أنهم يخشون الله رب العالمين ، كما  
قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ، وقال : ﴿ وَلَكِنْ  
كُونُوا رَبَّنِيَّعِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ .

وقد مقت الله الذين يقولون ما لا يفعلون عربهم وعجمهم ؛ فقال :  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٠٦﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ  
اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

وهذا الوعيد في شأن آحاد المؤمنين ، أما خاصتهم من علماء وغيرهم ،  
فالوعيد أشد ؛ لأن الناس يقتدون بهم في الخير ويقلدونهم فيما أخطأوا فيه ،  
لذلك أوَّل مَنْ تُسَعَّرُ بِهِم النار ثلاثة : أوَّلهم عالمٌ لم يعمل بعلمه ولم يتق الله  
فيما أنعم الله به عليه ، فلم يُخلص فيه العمل لله .

وعالم بعلمه لم يعملن      معذبٌ قبل عبَّاد الوثن

وقد ثبت في « الصحيحين » عن رسول الله ﷺ أنه قال في شأن هؤلاء :  
« يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور بها  
كما يدور الحمار في الرَّحَى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان ما لك؟  
ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول : بلى ، كنتُ أمرُ بالمعروف ولا  
آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه » .

فانظر - رحمك الله - إلى سوء عاقبة أولئك الذين لا يلتزمون  
بالشعارات التي يرفعونها ، ولا يطبقون المثل العليا التي يدعون لها بل يكونون  
أمثال سوء والعياذ بالله .

وما أسوأ الشيخ المفتون الذي يسوِّغ لنفسه الرُّخص ، ويتأوّل لنفسه  
الفواحش ، بينما نراه يحرمها على غيره أشد تحريم !!

أليس الجدير بهؤلاء المشايخ أن يكونوا هداةً مهديين ، وأن يكونوا  
أسوة حسنة لغيرهم ، فيكونوا أئمة هدى ومنازل دجى وقد بوأهم الله مركز  
الصدارة والريادة ، يوم كانوا ورثة الأنبياء - حقاً - بعلمهم الشرعي؟! لكن  
ما قيمة العلم الشرعي الذي لا يحمل صاحبه على الخشية والعمل والتقوى  
والورع والإخلاص لله على كل حال؟!!

لذلك بيّن الرسول ﷺ حال الأمة حينما تفتقد العلماء العاملين المقتدى  
بهم ، الذين بالحق قاموا ، وبه يعدلون ، الذين ورثوا علم النبوة حقاً ،  
وكانوا مدرسة قرآنية تمشي بين الناس إمامهم في ذلك الأسوة الحسنة صاحب  
المقام المحمود الذي كان خلقه القرآن كما وصفته عائشة رضي الله عنها.

قال ﷺ : « إن الله لا ينتزع العلم انتزاعاً من صدور العلماء ولكن  
يقبض العلم بموت العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رءوساً جهالاً

فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» متفق عليه .

فما أحوج الأمة اليوم إلى القدوة الحسنة التي تربي الأمة على أخلاقهم  
وَسَمَتِهِمْ وَسُنَنِهِمْ ، وحينما فقدت الأمة القدوة الحسنة بين الأحياء ، قلَّ فيها  
الخير ، وكَثُرَ فيها الشر ، وعصفت بها الفتن ، ولا مخرج لها منها إلى أن تتبع  
سبيل المؤمنين وإمامهم مُحَمَّدًا ﷺ ، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله . والله  
من وراء القصد .

## آفات في طريق طلب العلم

( ١ )

طريق العلم والدعوة إلى الله من أجل العبادات وأعظم القربات ، وهما سبيل الأنبياء والمرسلين وسائر عباد الله المؤمنين ، فزكاة العلم الذي هو ميراث النبوة الدعوة إلى الله وإخلاص الدين لله قولاً وعملاً واعتقاداً ، لكن طريق طلب العلم وسبيل الدعوة لا تخلو من آفات تعيق المسيرة وتقطع الطريق فإن الشيطان قد قعد لابن آدم بأطرقه حتى لا يكون موصولاً بالله وحتى يكون ﴿ كَأَلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا ﴾ فيهدم ما بناه بنفسه ويخرّب بيته بيده علم أم لم يعلم وله - أي الشيطان - في ذلك خطوات ، والله يحدّثنا من خطواته ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ .

وفي هذه السطور وما يليها نتعرض لتلك الآفات التي تعترض سبيل طالب العلم والداعي إلى الله ، حتى يكون المسلم على بصيرة من أمره ، يعلم ويجذر ما يقطع عليه سيره إلى الله ، فمن هذه الآفات :

١ - طلب العلم والدعوة لغير الله ، إما لدنيا يصيبها أو سمعة يكسبها أو منصبٍ يحوزه أو جاهٍ يحظى به عند أهل الدنيا الدنية ، وهذا من أخطر الآفات والعياذ بالله بل هو محبط للعمل مذهب للأجر ذلك أن الإخلاص روح العمل الصالح ؛ فعمل لا إخلاص فيه ، كجسد لا روح فيه ، والله سبحانه وتعالى يبين أهمية الإخلاص في حياة الناس فيقول : ﴿ وَمَا أُمُورٌ إِلَّا

لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ  
وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٤٠﴾ .

وفي الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً  
أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » .

ولو لم يكن من ثمار الإخلاص إلا النجاة في الدنيا والآخرة والعصمة  
من كيد الشيطان لكفى ، قال تعالى حكاية عن الشيطان : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ  
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤١﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٢﴾ .

فعلى طالب العلم والداعي إلى الله أن يحتسب علمه ودعوته لله ، فلا  
يتعلم أو يدعو ليصرف وجوه الناس إليه ، أو يماري السفهاء أو يجادل  
العلماء ، بل كي يعبد الله كما أمر ، ويدفع عن نفسه الجهل بالعلم ، ويؤدي  
حق الله فيما علمه ، فإن زكاة المال إنفاقه وزكاة العلم في الدعوة إلى الله  
وتعليم الناس الخير ، وعلامة الإخلاص عند العبد استواء المحمدا والمذمة  
عنده ؛ لأنه مستغن بالله بما آتاه الله من علم .

٢ - ومن آفات طريق الدعوة والعلم الكبر والعياذ بالله .

فترى طالب العلم أو الداعية لا يحتمل المخالفة ؛ فينظر إلى مخالفه بعين  
الاحتقار والتصغير ، فيشيع بوجهه عمّن دونه ويصعّر خده للناس ولا  
يلتفت إلى كلامه ولو كان حقاً .

والكبر داء عضال أول ما قتل إبليس عليه لعنة الله .

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ ﴿٤٣﴾ فهلك بكبره

ومعصيته لله وتمرده على أمر ربه .

وقارون هلك بغروره وتكبره حينما قال : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ فلم ينسب الخير إلى بارئه ، والنعمة إلى مسديها ، وكم يحرم الإنسان الخير بكفره النعم وبطره وعلوه .

ومن علامات المتكبر ردُّ الحق وغمط الناس كما بيّن النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « الكبر بطر الحق وغمط ، أو غمص الناس » .

وبعض طلبة العلم لا يلتفتون إلى من دونهم في العلم ولا يعيرونهم اهتماماً ولا يأخذون منهم حكمة أو فائدة ، وهذا من الكبر والعياذ بالله ، فإن المؤمن كالنحلة يرم من كل الأزهار ويخرج للناس عسلاً سائغاً للشاربين .

ولذلك نرى كثيراً من طلبة العلم يسفهون أحلام مخالفيهم ويجهلونهم بحق أو بباطل ، وإذا ذكروا عندهم غمزوهم ولمزوهم ، لا لشيء ، إلا لكبرهم وإعجابهم بأنفسهم فلا تراهم يذكرون ما عند الرجل من خير بل أول ما يسألون عنه لا يذكرون إلا مثالبه ومعايبه ، والواجب عليهم أن يبينوا ما في إخوانهم من خير وينصحوا لهم ما يرون فيهم من شر وفساد ، والعالم عند هؤلاء ليس من يخشى الله بل من صنف وألف ، وطار ذكره في الآفاق وعلى ذلك يوالون ويعادون ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

ومن آفاتهم يغفر الله لهم :

التحاسد والعداوة والبغضاء فيعادي أحدهم أخاه لا لأنه يخالفه في عقيدة أو منهج أو رأي ، وإنما لأنه ندُّ له ومعاصر ، والمعاصرة تقود إلى المنافرة إلا من عصم الله .

والنبي ﷺ يُحذر من مساوئ الأخلاق وعلى رأسها الحسد والبغضاء وهو داء الأمم الذي توارثوه على مر عصورهم وكرّ دهورهم ، وقد يحمل الحسد صاحبه على الشروع في إيذاء من يحسده ، وربما وصل ذلك إلى القتل والعياذ بالله ، والقرآن مليء بضرب القصص والأمثلة ؛ فهذا ابن آدم الأول قتل أخاه حسداً وهؤلاء أبناء يعقوب ألقوا أخاهم يوسف في الجب حسداً من عند أنفسهم ، وقلما يسلم من هذه الأدواء إلا من رحم الله ، وقد بسطنا الكلام حول الحسد في غير هذا الموضع<sup>(١)</sup> .

---

(١) انظره فيما سيأتي في مقالة خاصة عن الحسد (ص ٢١١) .

## آفات في طريق طلب العلم

( ٢ )

### الدنيا... وخطأها

ومن الآفات القاتلة التي تصدُّ عن العلم النَّافع ، وتفسد الثَّوایا ما نراه ونشاهده من تكالب كثيرٍ من طلاب العلم - إلا من رحم الله - على حطام الدنيا الفاني وزخرفها ؛ فتراهم يتحاسدون على الدنيا ويتقاتلون ، والأولى بهم أن يتنافسوا على الآخرة ؛ كما أمر الله : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ .

لكن من المؤسف حقاً أن نرى طلبة العلم يتخاصمون على عَرَضٍ من أعراض الدنيا الدنيَّة ، وهذه الظاهرة السيِّئة نراها بوضوح بين النَّاشرين والمؤلِّفين ، فغالباً ما تؤدِّي إلى خصومةٍ واختلافٍ ، وربما أدَّى ذلك إلى الهجر ، والقطيعة ، ونهش الأعراض ، والانتهاج بأكل الحقوق ، وربما وصلت الأمور إلى رفع الشكاوى ، فيصبح هؤلاء وهؤلاء في مواقف لا يغبطون عليها ، وربما اجترأ عليهم السفهاء ، ونالوا منهم الشيء الكثير .

والناشرون - إلا من رحم الله - لهم النَّصيب الأوفر في فساد نِيَّات كثير من طُلَّاب العلم ، بسبب عروضهم المغرية ، وربما صَنَّف بعض طلبة العلم مصنِّفات ، ورسائل ، وكتباً وفق أهواء النَّاشرين من غير قناعةٍ أو حاجةٍ لمثل تلك المصنِّفات - اللهم إلا التجارة الرَّابحة - غير ناظرين إلى حاجة الأمة إلى مثل هذا الكتاب أو ذلك، خصوصاً إذا كانت دور النَّشر هذه

في مرحلة التكوين ؛ فغالباً ما تقوم على أكتاف بعض المشهورين من طلبة العلم ، ثمّ يقلبون لهم ظهر المِجَنِّ بعد أكل كثيرٍ من حقوقهم ، والحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا .

وقد وصل الأمر بهؤلاء الناشرين أن يدفعوا حقوق بعض المؤلفات التي لا رصيد لها من الواقع ؛ فوجدوا بعد حين أن الكتاب الذي دفعوا حقوقه إنّما هو مجرد اسم وعنوان ؛ فأسقط في أيديهم .

كل ذلك سببه الهلع ، والجشع ، والتسابق على الدنيا الفانية ، حتّى أصبحت الأمة كأنّ لا همّ لها إلاّ التآليف والتصنيف ، أمّا تربية الأمة على الإسلام الصحيح ، ودعوة الأجيال إلى الصراط المستقيم - فأصبح أمراً هامشياً أو ثانوياً - .

وإذا دققت النظر في هذا الاندفاع الشديد نحو التآليف ، لا تجد إلاّ الدنيا ، والاتّجار بالعلم ، وقد سبّبت هذه الحالة عند كثير من الشباب الرّاعيين في طلب العلم الإحباط ، والهجرة إلى بلدان مجاورة يطلبون العلم على شيوخها ؛ لأنّهم تفرّغوا لتعليم الشباب الرّاغب في العلم .

لقد أشار النّبي ﷺ إلى هذه الفتنة - أعني (انتشار القلم) - حتّى إنّ المطابع لتُلقَى للعالم كل يوم بمئات الكتب والرّسائل ، مما أصله مخطوط ، أو مطبوع ، أو مقمّش ، أو مسروق ، والأمة في كل يوم تزداد بُعداً عن الله ، وإعراضاً عن دينه .

لقد كان السّلف لا يعرفون إلاّ الكتاب والسنة ؛ فكانوا أهدى سبيلاً ، ونحن اليوم عندنا آلاف الكتب والمجلدات ، وما زال الدين غريباً في ديارنا ، وفي واقعنا ، والسبب أنّهم - أي : أسلافنا - ضمّوا إلى العلم العمل ؛ لأنّ

بركة العلم العمل ، ونحن جمعنا علوماً شتى وحرّمنا بركة العلم .  
فهل يعي طلاب العلم خطورة الوضع ، فيعطوا كلّ ذي حقّ حقّه من  
التأليف ، والتربية ، والتحصيل ، والدّعوة ، والجهد حتّى يعود لهذه الأُمَّة  
مجدها وتاريخها المشرق؟!  
نسأل الله ذلك ، والحمدُ لله رب العالمين .

## آفات في طريق طلب العلم

( ٣ )

### ظاهرة التعالم... إلى أين ؟

يشهد العالم الإسلامي اليوم صحوة علمية ودينية ، ولكنها تحتاج إلى ترشيدٍ وتسديدٍ لئلا تخرجَ عن الجادة فيصبح ضررها أكثر من نفعها ؛ لأنَّ أيَّ عملٍ أو توجهٍ إذا لم يقم على أساسٍ صحيح كان إثمُه أكبرَ من نفعه ، وشره أكثرَ من خيره ، وكان وبالأعلى صاحبه ، فيصبحُ حاله كمن قيل فيه : « وكم من مريد للخير لم يصبه » .

وفي بلاد الإسلام ظهرَ فتيان ينتمون لفئاتٍ شتى ، استعجلوا الثمرة قبل النضج ، وبنوا السقفَ قبل الأساس ، والتمسوا النتيجةَ قبل السبب ، أرادوا أن يقفزوا من القاعدةِ إلى القمةِ دون واسطةٍ ودون مقدمات ، مع أنَّ النبي ﷺ حذر من الاستعجالِ حين قال لبعض أصحابه : « إنكم قومٌ تستعجلون»<sup>(١)</sup> ، وقد قيل : «من استعجلَ الشيءَ قبل أوانه عُوقبَ بحرمانه» .

ومعلوم أنَّ طلبَ العلمِ يحتاجُ إلى صبرٍ وتأنٍ وبعديٍّ عن العجلةِ والتهورِ . ومن كانَ كذلك فقد تشبَّعَ بما لم يعطَ ، ولبسَ ثوبي زور ، وأجلسَ نفسه مجالسَ العلماء ، ليشارَ إليه بالبنان ، ويصرفَ وجوه الناسِ إليه . والأولى به أن يعرفَ قدر نفسه ليقفَ عند حدِّه .

وأمثال هؤلاء ما يلبثون أن يحيط بهم الإِدبار ، فينقلبوا على أعقابهم حين تنكشفُ سواآتُهم على رءوس الأَشهادِ ، وقدماً قيل :

(١) أخرجه البخاري .

## وكل من يدعي ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان

ورحم الله قتادة حيثُ قال : « من حدّث قبلَ حينه افتضحَ في حينه » .  
وقيل لسفيان الثوريُّ فيمن حدّث قبلَ أن يتأهلَ ؟! فقال : « إذا كثُر  
الملاحون غرقت السفينةُ » .

وقال الحسنُ البصريُّ رحمه الله : « اللهمَّ نشكو إليك هذا العُناء » .  
وقال ابن حزم رحمه الله : « لا آفةَ على العلومِ وأهلِها أضرُّ من  
الدخلاءِ فيها ، وهم من غير أهلِها ، فإنَّهم يجهلونَ ويظنونَ أنهم يعلمون ،  
ويُفسدونَ ويقدرُونَ أنَّهم يصلحون » <sup>(١)</sup> .

قال الشيخُ الفاضلُ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه الفريد « التعامل » :  
« فهؤلاء - النازلونَ في ساحةِ العلمِ وليسَ لهم من عدّةِ سوى القلمِ والدواةِ  
والصحيفةِ ؛ المتعاملون من كلِّ من يدعي العلمَ وليس بعالم - شخصيّةٌ مؤذيةٌ  
تتعاقبُ الشكوى منهم على مدى العصور ، وتوالي النذر سلفاً وخلفاً ...  
فهذا القطيعُ حقاً هم غولُ العلمِ ، بل دودةٌ لزجةٌ متلبدةٌ أسرابها في  
سماءِ العلمِ ، قاصرةٌ عن سموِّ أهلِهِ ، وامتداد ظلِّه ، معثرةٌ دواليبَ حركتهِ  
حتّى ينطوي الحقُّ ، ويمتدُّ ظلُّ الباطلِ وضلالُهُ فما هو إلّا فجرٌ كاذبٌ وسهمٌ  
كابٍ حسيرٌ » <sup>(٢)</sup> .

قلتُ : وقد حرّمَ الله سبحانه القولَ عليه بغيرِ علمٍ ، وجعل ذلك قرينَ  
الشركِ حيثُ قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

(١) انظر « التعامل » (ص ٢٦) للشيخ بكر أبو زيد لتقفَ على نصوص هؤلاء الأجلة .

(٢) « التعامل » (ص ٢٨) لأخي الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله .

وَمَا بَطْنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِعَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ  
سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ، فبدأ سبحانه في هذه الآية  
بالمحرمات الخمس متدرجاً من الأقل حرمةً إلى الأكثر .

ومن نصب نفسه معلماً ولم يتأهل بعدُ وقع في الشرك وهو لا يدري ،  
وربما دعا الناس إليه ، مما يوقعهم في الضلال ، فخطره مُتَعَدُّ إلى غيره ، ومن  
هنا عطف الله سبحانه القول عليه بغير علم على الإشراك به .

ومن المؤسف حقاً اليوم أنك ترى كلَّ واحدٍ قد نصب نفسه مفتياً دونَ  
أهلية متجاهلين قولَ الله : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ، وقول  
الرَّسُولِ ﷺ : « الْمُتَشَبِعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٌ » .

وإليك أخي القارئ بعضَ أمارات هؤلاء المتعالمين المتطاولين الذين  
تصدّروا قبل أن يتأهلوا ، وتزبوا قبل أن يتحصروا :

- ١- تجهيلهم الآخرين ، ولو كانوا أئمةً في الدين .
- ٢- ولعهم بحمد أنفسهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وربّما وصفوا  
أنفسهم بأوصافٍ وألقابٍ ظاهرها التواضعُ والزهدُ ، والحقيقةُ خلافُ ذلك .
- ٣- فرحهم وغبطتهم بمن يمدحهم ، فتراهم يُقربونه ويُجلّونه ، أمّا من  
ينتقدهم فإنهم يبغضونه ويعادونه ، وربّما يُضللّونه ويُفسدونه .
- ٤- تتبعهم للغرائب والشواذ من المسائل ، وتفيهقهم وتشدّقهم حباً  
للظهور ، وعلوّاً في الأرض .
- ٥- زهدهم في الجلوس إلى مَنْ هو دونهم أو في مرتبتهم في العلم لئلا  
ينسبوا للجهل وقلة العلم .

٦- جرأتهم على الفتيا ، وهجومهم عليها دون ورع أو تقوى ، فقلّما يقول أحدهم : لا أدري ، حينما يُسأل لئلا ينسب للجهل ، فينفض عنه العامة .

٧- ومن علامتهم : تعلقهم بالدنيا وأهلها ، وطلب المنزلة عندهم ، وربما قدّموهم على إخوانهم من المؤمنين لينالوا عندهم عرضاً من أعراض الدنيا الفانية .

إلى هؤلاء المتعالمين أقول :

أعيدوا النظر في أحوالكم ، وراجعوا أموركم ، وأصلحوا من شأنكم ، وابدءوا من جديد ، اطلبوا العلم عن أهله ، وأتوا البيوت من أبوابها ، فمن جاء البيوت من غير أبوابها أخذَ أَخَذَ اللصوص ، ولا تسأل عن فضيحتة وخزيه حينئذ ، ولا تحسبوا - يا هؤلاء - العلم جمعاً للمعلومات فحسب ؛ إذ لو كان كذلك من غير تقوى وعمل وتربية لكان (الكومبيوتر) شيخ مشايخ زمانه ، فارحلوا أيها المتعالمون في طلب العلم ، وخذوه عن العلماء العاملين كما كان سلف هذه الأمة يفعلون ، وكان ذلك شرفهم الذي يتفاخرون به .

ختاماً :

أسأل الله تعالى أن يهدي المتعالمين ، وأن يقيض للأمة علماء عاملين ربانيين ، يقمعون فتنة كل متعلم متشبع بما لم يعط .

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي

الْأَرْضِ ۗ

## آفات في طريق طلب العلم

( ٤ )

### أمجاد الذات

الناسُ في بناء أمجادهم على ضرين :

الأول : أمجاد دنيوية ، كأن يسعى أحدهم ليكون وجيهاً ، أو غنياً ، أو رئيساً ، أو نجماً فنياً .

الثاني : أمجاد دينية ، كأن يصبح أحدهم مديراً لمؤسسة تعليمية ، أو معهد شرعي ، أو قاضياً ، أو مفتياً ، أو ذا لقب ديني مرموق ، صاحب فضيلة ، أو صاحب سماحة ، أو أستاذاً يشار إليه بالبنان ، أو علامة زمانه بلا منازع ! وأكثر هؤلاء وأولئك يركبون الصعب والذلول للوصول إلى قمة مجدهم ، وبعضهم - بل أكثرهم - يستخدمون وسائل غير شرعية للوصول إلى قمة هرم مجدهم .

والذي يعيننا في هذا المقام أصحاب الصنف الثاني ، أي : ذوو الأمجاد الدينية ، فقد قنع أكثر العاملين في حقل الدعوة الإسلامية بما في أيديهم ، بل تفوق كل واحد منهم ضمن دائرة مغلقة لا يخرج منها ، ولا يتجاوزها إلى ما هو أجدى وأنفع منها ، ويحسب أنه - لا أقول - على شيء ، بل على كل شيء ، وقد وسع عمله كل خير ، وأخذ ينظر إلى الآخرين ، نظرة ازدراء واحتقار وتقزيم ، فلا يرى إلا نفسه من منظار نفسه ، فلا يكبر إلا عمله ، ولو سئل عن غيره لاعتبر مدحه لغيره - ولو كانوا معه على الطريق والمنهج

والعقيدة - قدحاً وذمّاً فيه، فيسعى بكل حيلة وواسطة لتوهين غيره ، إما بغمزه أو لمزه أو نخره نخرات سامة خفية ، إن لم تقتله اليوم ، قتلته أو أدمته في الغد أو بعد غد ، فالتناوب الصوتية والدخانية وإن لم تقتل فيه تروع وترعب ، وتعمل في النفوس أشد من عمل الكئوس .

لقد كان أسلافنا لا يرون أنفسهم شيئاً أمام إخوانهم ، ولا يسلبون الآخرين حقوقهم ، ولا ينازعونهم الشهرة والرياسة .

إن كثيراً من المتدينين أشركوا أنفسهم مع الله ، يوم أن والوا في أنفسهم وهجروا لأنفسهم ، وعادوا لأنفسهم ، زاعمين - أكثرهم - أن خلافهم مع زيد أو عمرو خلاف منهجي ! وكأنهم وحدهم أرباب المنهج وأوصياؤه ومنظره ، يحددون معاملة ، ويرسمون حدوده ، يعرفون مداخله ومخارجه .

لقد تشبع كثير من الدعاة وطلاب العلم بما لم يُعطوا ، وألبسوا أنفسهم ثياباً ليست لهم ، وغرهم أن قد قيل فيهم كذا وكذا مع قناعتهم وقناعة القريبين منهم أنهم ليسوا كذلك ، ولا قريباً من ذلك ، ومع ذلك يخادعون أنفسهم ويمنونها الأمانى .

إن البلاء ليسهل ويهون عندما يكون الداء ظاهراً معلوماً ، وحينما يكون العدو مكشوفاً من الخارج ، ولكن يعظم الداء ويشتد البلاء حينما يكون داء الرجل من نفسه .

لقد قنع بعض الدعاة بإصلاح مظهرهم دون مداواة نفوسهم ومعالجة أدوائهم ، وتركية نفوسهم ، ليكتب لهم الفلاح ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿ .

لقد اختلَّت الموازين اليوم عن موازين الأُمس ، فغدا العالم عند الناس هو اللسن عليم اللسان ، أو الخطيب المصقع ، أو المؤلف البارِع ، أو صاحب اللقب والشهادة ، مع أن العالم ، وطالب العلم ، والداعي إلى الله ، هو الذي يخشى الله ويتقيه ، وهو الذي يزهد في دنياه ، ويقبل على آخرته أو هو الذي يقوم ليله ، ويصوم نهاره ، أو هو الذي يتعلم ويُعلِّم لا لدنيا فانية أو لجاه عريض ، أو منصب رفيع ، أو ليصرف وجوه الناس إليه ، أو ليشار إليه بالبنان .

إن العالم حقًا وطالب العلم حقًا هو الذي يؤثر مصلحة الأمة والجماعة على مصلحته الفردية ؛ فيعمل على بناء أُمجاد الأمة قبل أن يفكر أو يخطو خطوة واحدة في بناء أُمجاده الشخصية ، فالدين كلنا له فداء ، ومن أظلم ممن راح يمتطي الدين لخدمة نفسه ، وبناء أُمجاده وأحلامه ، ﴿ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

﴿ وَلَنُصَبِّحَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ

وَعِيدِي ﴾ .

## الحسد

الحسد خلق ذميم مضر بالبدن مفسد للدين أمر الله بالاستعاذة من شره

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [ الفلق: ٥] .

ولو لم يكن من ذم الحسد ، إلا أنه خلق ذني يتوجه نحو الأكفاء والأقارب ويختص بالمخالط والصاحب لكانت النزاهة عنه كرمًا ، والسلامة منه مغنمًا ، فكيف وهو بالنفس مضر ، ويزيد الهم ، حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف من غير نكاية في عدو ولا إضرار بمحسود .

### • تعريف الحسد :

الحسد لغة : مصدر قولهم حسد يحسُدُ ويحسِدُ بكسر السين وضمها ، وأصله القشر ، وهو مأخوذ من الحسدل ، وهو القرد ، فالقرد يقشر القلب كما تقشر القرد الجلد فتمتص دمه ، وحسدتك على الشيء وحسدتك الشيء بمعنى ، يقول الفيومي<sup>(١)</sup> : « حسدته على النعمة وحسدته النعمة حسداً . وهو غير الغبطة ، لأن الأولى صفة المنافقين والثانية صفة المؤمنين » ، قال الراغب الأصفهاني<sup>(٢)</sup> : وروي « المؤمن يغبط والمنافق يحسد » ، ومنه قوله تعالى : ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [ البقرة: ١٠٩] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [ الفلق: ٥] ، وقوله ﷺ :

(١) « المصباح المنير » (١/١٣٥) .

(٢) « المفردات » للراغب الأصفهاني (ص ١١٧) .

« لا حسد إلا في اثنتين »<sup>(١)</sup> ، وهو أن يتمنى الرجل أن يرزقه الله مالاً ينفق منه في سبيل الخير ، أو يتمنى أن يكون حافظاً لكتاب الله فيتلوه آتاء الليل وأطراف النهار ، ولا يتمنى أن يرزأ صاحب المال في ماله أو تالي القرآن في حفظه ، « وهذا هو الحسد المباح وهو ما يسمى بالغبطة » . قال ابن منظور : الحسد أن يتمنى زوال نعمة المحسود ، وحسده يحسده ويحسده حسداً ، وحسده إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو يسلبها ، وتحاسد القوم ورجل حاسد من قوم حسد .

الحسد اصطلاحاً : كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه ، قال الماوردي<sup>(٢)</sup> : حقيقة الحسد : شدة الأسى على الخيرات أن تكون للناس الأفضل .

وقال المناوي : تمنى زوال نعمة عن مستحق لها ، وقيل : هو ظلم ذي النعمة يتمنى زوالها عنه وصيرورتها إلى الحاسد<sup>(٣)</sup> .

وقد غلط أقوام فظنوا أن المنافسة في الخير هي الحسد وليس الأمر على ما ظنوا ، لأن المنافسة ، طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم ، والحسد : مصروف إلى الضرر ، لأن غايته أن يعدم الأفاضل فضلهم من غير أن يصير الفضل له ، فالمنافسة فضيلة ، لأنها داعية إلى اكتساب الفضائل والافتداء بأخبار الأفاضل ، وبجسب فضل الإنسان وظهور النعمة عليه يكون

---

(١) رواه البخاري في العلم - باب الاغتباط في العلم والحكمة ، ومسلم - باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه .

(٢) « أدب الدنيا والدين » (٢٦٠) .

(٣) « نضرة النعيم بمكارم أخلاق الرسول الكريم » (٤٤١٨) .

حسد الناس له ، فإن كثر فضله كثر حساده ، وإن قل قلوا ، لأن ظهور الفضل يثير الحسد ، وحدوث النعمة يثير الكمد .

### • الأدلة على ذم الحسد :

قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٥٤]

وقال تعالى : ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح : ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق : ٥] .

أما الأحاديث في هذا فهي كثيرة ، منها :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا<sup>(١)</sup> ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً<sup>(٢)</sup> .

٢ - وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « دَبُّ

(١) التحسس : الاستماع لحديث القوم ، والتجسس : البحث عن العورات ، وقيل : إن الأول في الخير والثاني في الشر .

(٢) البخاري «الفتح» (١٠/٦٠-٦٦) ، ومسلم (٢٥٦٣) .

إليكم داء الأمم ؛ الحسد والبغضاء» (١) .

٣ - عن ضمرة بن ثعلبة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا » (٢) .

٤ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
« والله لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ،  
وليضعن الجزية ، ولتتركن القلاص (٣) فلا يسعى عليها ، ولتذهبن الشحناء ،  
والتباغض ، والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد » (٤) .

٥ - عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « ما حسدتكم  
اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين (٥) ، أي قولكم : آمين » .

٦ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « العين  
حق ، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا » (٦) .  
والمراد بذلك إذا طلب منكم المعان أن تتوضأوا ، وتغسلوا داخله أزركم لكي  
تصب عليه لشفائه من العين ، فافعلوا .

٧ - وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يتعوذ  
من عين الجان ثم أعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٠) ، وأحمد في « مسنده » (١٦٥، ١٦٧) .

(٢) رواه الطبراني في « معجمه » ورواته ثقات .

(٣) القلاص : هي من الإبل كالفتاة من النساء ، وذكرت هنا لكونها أشرف الإبل التي هي أنفس  
الأموال عند العرب ، والمعنى أن يزهدها لكثرة الأموال « نضرة النعيم » (ص ٤٤٢٤) .

(٤) أورده المنذري في « الترغيب والترهيب » (٥٤٧/٣) ، ورواه الطبراني ورواته ثقات .

(٥) أخرجه ابن ماجه (٨٥٦) وسنده صحيح .

(٦) أخرجه مسلم (٢١٨٨) .

سوى ذلك» (١) .

قلت : والفرق بين العائن والحاسد أن كل عائن حاسد وليس كل حاسد عائناً ، وإنما يصيب الرجل بعينه عندما تتكيف نفسه بكيفية خبيثة ؛ فينظر إلى حاسده نظرة بغض أو إعجاب دون أن يبرك ، أو يذكر اسم الله فيصيب الحاسد المحسود بالأمراض وربما قتله ، فالعين تدخل الرجل القبر، والجمل القدر كما ثبت بذلك الحديث (٢) .

### • ومن الآثار الواردة في ذم الحسد :

قال رجل للحسن : هل يحسد المؤمن ؟ ما أنساك بني يعقوب نعم ولكن غمة في صدره ؛ فإنه لا يضرك ما لم تعد به يد ولا لسان .  
وقال معاوية رضي الله عنه : ليس في خصال الشر أعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود (٣) .

وفي ذلك يقول المثل : « لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله »

قال بكر بن عبد الله : كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول : أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيكه إساءته ، فحَسَدَهُ رجل على ذلك المقام والكلام ، فسعى به إلى الملك فقال : إن هذا الذي يقوم بجذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر ، فقال له الملك : وكيف يصح ذلك عندي ؟ قال : تدعوه إليك فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه

---

(١) الترمذي (٢٠٥٨) ، والنسائي (٥٤٧/٣) ، وابن ماجه (٣٥١١) ، وصححه الألباني في « صحيح النسائي » (٥٠٦٩) .

(٢) « إحياء علوم الدين » للغزالي (٢٠١/٣) .

(٣) « أدب الدنيا والدين » للماوردي (ص١٧٦) .

لئلا يشم رائحة البحر ، فقال له : انصرف حتى أنظر ، فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم ، فخرج الرجل من عنده ، وقام بحذاء الملك على عادته فقال : أحسن إلى المحسن بإحسانه ، فإن المسيء سيكفيكه إساءته ، فقال له الملك : ادن مني ، فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم ، فقال الملك في نفسه : ما أرى فلاناً إلا قد صدق ، قال : وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة ، فكتب له كتاب بخطه إلى عامل من عماله ، إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه ، واحش جلده تبناً ، وابعث به إليّ . فأخذ الكتاب وخرج ، فلقية الرجل الذي سعى به ، فقال : ما هذا الكتاب؟ قال : خط الملك لي بصلّة . فقال : هبه لي ، فقال : هو لك . فأخذه ومضى به إلى العامل ، فقال العامل : في كتابك أن أذبحك وأسلخك ، قال : إن الكتاب ليس لي ، فالله الله في أمري حتى تراجع الملك ، فقال : ليس لكتاب الملك مراجعة ، فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به ، ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته ، فقال مثل قوله . فعجب الملك وقال : ما فعل الكتاب؟ فقال : لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له . قال له الملك : إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبحر . قال : ما قلت ذلك . قال : فلم وضعت يدك على فيك؟ قال : لأنه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمه . قال : صدقت ، ارجع إلى مكانك فقد كفى المسيء إساءته<sup>(١)</sup> .

### • دواعي الحسد :

قال الماوردي - رحمه الله - اعلم أن دواعي الحسد ثلاثة :

(١) الغزالي « الإحياء » (٣/ ٢٠٠-٢٠١) - ط . الريان .

١ - بغض المحسود فيأسى عليه بفضيلة تظهر أو منقبة تشكر ، فيثير حسداً قد خامر بغضاً وهذا النوع لا يكون عاماً ، وإن كان أضرها ، لأنه ليس يبغض كل الناس .

٢ - أن يظهر من المحسود فضل يعجزه عنه ، فيكره تقدمه فيه ، واختصاصه به ، فيثير ذلك حسداً لولاه لكف عنه ، وهذا أوسطها ، لأنه لا يحسد من الأكفاء من دنا ، وإنما يختص بحسده من علا ، وقد يمتزج بهذا النوع ضرب من المنافسة ، ولكنها مع عجز ، فلذلك صارت حسداً .

٣ - أن يكون في الحاسد شح بالفضائل وبخل بالنعم وليست إليه فيمنع منها ولا بيده ، فيدفع عنها ؛ لأنها مواهب قد منحها الله من شاء فيسخط على الله عز وجل في قضائه ويحسد على ما منح من عطائه ، وإن كانت نعم الله عز وجل عنده أكثر ومنحه عليه أظهر ، وهذا النوع من الحسد أعمها وأخبثها ، إذ ليس لصاحبه راحة ، ولا لرضاه غاية ، فإن اقترن بشر وقدرة كان جوداً وانتقاماً ، وإن صادف عجزاً كان جهداً وسقاماً<sup>(١)</sup> .

### • علاج الحسد ودفعه :

قال الإمام ابن قيم الجوزية : ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب :

السبب الأول : التعوذ بالله من شره والتحصن به واللجوء إليه .

السبب الثاني : تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه ، فمن اتقى الله تولى

الله حفظه ولم يكله إلى غيره .

السبب الثالث : الصبر على عدوه ، وألاً يقاتله ولا يشكوه ولا

(١) « أدب الدنيا والدين » للماوردي (ص ١٧٦) .

يحدث نفسه بأذاه أصلاً فما نصر على حاسد وعدوه بمثل الصبر عليه .

السبب الرابع : التوكل على الله ، فمن توكل على الله فهو حسبه والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق ، وظلمهم وعداوتهم ، وهو من أقوى الأسباب في ذلك فإن الله حسبه أي : كافيه ومن كان الله كافيه وواقيه ، فلا مطمع فيه لعدوه .

السبب الخامس : فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه ، وأن يقصد أن يحوه من باله كلما خطر له ، فلا يلتفت إليه ولا يخافه ، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه ، وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره .

السبب السادس : الإقبال على الله والإخلاص له وجعل محبته ورضاه والإنابة إليه في محل خواطر نفسه وأمانيتها تدب فيها ديب تلك الخواطر شيئاً حتى يقهرها ويغمرها ويذبيها بالكلية فتبقى خواطره وهواجسه وأمانيه كلها محاب الرب والتقرب إليه .

السبب السابع : تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [ الشورى : ٣٠ ] .

السبب الثامن : الصدقة والإحسان ما أمكنه فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء ، ودفع العين ، وشر الحاسد ولو لم يكن في هذا إلا تجارب الأمم قديماً ، وحديثاً ، لكفى به فما حرس العبد نعمة من الله عليه بمثل شكرها ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله ، وهو كفران النعمة وهو باب إلى كفران المنعم .

السبب التاسع : وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها ، ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله ، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي ، بالإحسان إليه ، فكلما زاد أذى وشرّاً وبعياً وحسداً ، ازدادت إليه إحساناً ، وله نصيحة وعليه شفقة ، وما أظنك تصدق بأن هذا يكون فضلاً عن أن تتعاطاه فاستمع الآن إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤-٣٥] .

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿ [فصلت : ٣٥-٣٤] .

السبب العاشر : وهو الجامع لذلك كله وعليه تدار هذه الأسباب ، وهو تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة الرياح ، وهي بيد محركها وفاطرها وبارئها لا تضر ولا تنفع إلا بإذنه ، فهو القوي يحس عبده بها وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه<sup>(١)</sup> ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

وهكذا فإننا بعد عرضنا للحسد وأسبابه ووسائل الخلاص منه لندعو الله تعالى ألا يجعلنا حاسدين ولا محسودين ، وأن يطهر قلوبنا من هذه الآفة التي أسوأ ما فيها أنها من علامات الخسة والندالة وضآلة النفس النابعة كلها من ضعف الإيمان ، وانعدام التوكل وعدم اللجوء إلى الله تعالى في الشدات ، والاعتماد عليه في الملمات .

(١) « التفسير القيم » (٥٨٥-٥٩٣) لابن قيم الجوزية .



# الباب السادس الخطب النبوي



## قواعد نبوية في الرقية الشرعية

طلب العافية مطلب شرعي وديني ، روى الترمذي بسند صحيح عن عمرو بن مالك ، قال رسول الله ﷺ : « من أصبح معافى في بدنه ، آمناً في سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

وذلك أن عافية الأديان في عافية الأبدان ، فمن صح بدنه صحت عبادته ، وأدى طاعة ربه على الوجه الكامل الذي أمر الله به في كتابه وعلى لسان رسول ﷺ ، وفي الحديث الصحيح : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير »<sup>(١)</sup> .

فما فائدة كثرة المال مع ملازمة الأسقام والعلل الظاهرة والباطنة لهذا الجسد ، وهل يتمتع المريض بطعم النوم أو يتلذذ بصنوف الأطعمة والأشربة وقد فسد مزاجه ومذاقه ، ولذلك قال داود - عليه السلام - : « العافية مُلك خفي ، وغم ساعة هرم سنة » .

وقد قيل : العافية نعمة مغفول عنها ، قال بعض السلف : كم لله من نعمة تحت كل عرق ساكن ، وقديماً قالوا : العافية تاج على رءوس الأصحاء ، لا يعرفه إلا المرضى ؛ وهي من أول النعم التي يسأل عنها العبد يوم القيامة ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « أول ما يُسأل عنه العبد من النعم يوم القيامة أن يقال له : ألم أصح جسمك وأروك من الماء البارد »<sup>(٢)</sup> .

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٥٢ - رقم ٢٦٦٤) .

(٢) « صحيح الترمذي » (٢٦٧٤) ، و« الصحيحة » (٥٣٩) لشيخنا الإمام الألباني - رحمه الله - .

فعلى العبد - الذي متعه الله بالعافية - أن يصرفها في طاعة الله تعالى ويتقوى بها على طاعة الله وعدم صرفها واستهلاكها في المعاصي والذنوب ؛ فمن حفظ الله عليه جوارحه ومتعته بسمعه وبصره وقوته فقد أنعم عليه بنعمة عظيمة ، يدل على ذلك قوله ﷺ : « احفظ الله يحفظك »<sup>(١)</sup> ، فالمعاصي تسبب العطب ، وتسرع إلى أعضائه بالتلف لأنها - أي : الجوارح - استخدمت في غير ما خلقت له من العمل بالشكر ولزوم الشرع الذي فيه بقاؤها وحياتها ، بل إن الطاعات تدفع البلاء والأسقام وميته السوء ، قال ﷺ : « داووا مرضاكم بالصدقة »<sup>(٢)</sup> ، وفي الحديث : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء »<sup>(٣)</sup> .

طلب العافية من الله من جوامع الدعاء الذي ينبغي أن يحرص عليه المؤمن ، عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله ، قال : « سل الله العافية » ، فمكثت أياماً ، ثم جئت فقلت : يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله ؟ فقال لي : « يا عباس يا عم رسول الله ، سل الله العافية في الدنيا والآخرة »<sup>(٤)</sup> .

قلت : فعافية الدنيا تعين على عافية الدين ، وعافية الدين هي سلامة البدن وسلامة الدين ، وبهما ينجو العبد وتسلم له آخرته .  
ولا ينبغي للعبد أن يدعو على نفسه بالمرض والعذاب :

(١) « صحيح الجامع » (٧٩٥٧) ، « المشكاة » (٥٣٠٢) .

(٢) رواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٣/٣٨٢ - رقم ٦٣٨٥) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢/٥٧٤ - رقم ١١٨٤) ، وفي « المعجم الكبير » (١٠/١٢٨ - رقم ١٠١٩٦) .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨/٢٦١ - رقم ٨٠١٤) ، وفي « المعجم الأوسط » (١/٥١٣ - رقم ٩٤٧) ، والشهاب في « مسنده » (١/٩٤ - رقم ١٠٢) .

(٤) انظر « صحيح الترمذي » (٢٧٩٠) ، و« الصحيحة » (١٥٢٣) لشيخنا الألباني - رحمه الله - .

فعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ عاد رجلاً قد جهد حتى صار مثل الفرخ ، فقال له : « أما كنت تدعو ؟ أما كنت تسأل ربك العافية » ؟ قال : كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا ، فقال النبي ﷺ : « سبحان الله إنك لا تطيقه - أو لا تستطيعه - أفلا كنت تقول : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » (١) .

وعن معاذ بن رفاعه ، قال : قام أبو بكر الصديق على المنبر ثم بكى ، فقال : قام رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر ثم بكى ، فقال : « سلوا الله العفو والعافية ، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية » (٢) .

فإذا أدركنا قيمة العافية فعلينا أن نحافظ عليها تديناً لله وتقرباً إليه سبحانه لأن حاجتنا إليها أشد من حاجتنا إلى طعامنا وشرابنا ، ومن هنا جاءت شريعة ربنا تأمرنا بالاقتصاد في المطعم والمشرب والجماع ، والحماية عن المؤذي ، وحفظ الصحة واتخاذ الأسباب التي جعلها الله وسيلة للشفاء ، وطلب الدواء والعلاج مع التوكل على الله ، واعتقاد أنه هو الشافي وحده .

فإن إخلاص الدين لله والتوكل على الله من أعظم ما يندفع به تسلط الأرواح السفلية الخبيثة ، والأمراض الفتاكة ، ونستطيع أن نلخص منهج الرسول ﷺ في حفظ العافية ، ودوام الصحة المادية والمعنوية العضوية والنفسية في الآتي :

١ - إخلاص الدين لله سبب لحماية العبد من كيد الشيطان وفتن الحياة

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٦٧/٨) .

(٢) صححه شيخنا - رحمه الله - في « صحيح الترمذي » (٢٨٢٢) ، و« صحيح ابن ماجه » (٢٨٤٩) .

الدنيا ، ووقاية للعبد من سلطان شياطين الإنس والجان .

٢ - لا بد من الصبر على البلاء ، فالفرج يأتي بعد الكرب واليسر

يأتي بعد العسر : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥١﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ .

فأني لعسر أن يغلب يسرين !

٣ - احتساب ثواب البلاء مما يعين على الصبر عليه .

٤ - ما عند الله لا ينال إلا بطاعته ؛ فمن حفظ أوامر الله حفظ عليه

بدنه وعافيته في الدين والدنيا .

٥ - ينبغي للعبد أن يتعرف إلى الله في الرخاء قبل الشدة ؛ فمن تعرف

إلى الله في الرخاء تعرف الله إليه في الشدة ، قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ

الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٢٢﴾ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصفات : ١٤٣-١٤٤] .

٦ - الإحسان إلى الخلق والصدقة على الفقراء والمساكين من أسباب

دفع البلاء .

٧ - ينبغي للمريض أن يلجأ إلى الله ويأخذ بأسباب العلاج في شفاء

مرضه قبل أن يلجأ إلى أي مخلوق من البشر .

٨ - الرقية تطلب للمريض ولا يطلبها هو لنفسه ؛ توكلأ على الله

واعتماداً عليه لحديث ابن عباس في وصف السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة

بلا حساب ولا عذاب : « لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، ولا يكتون ، وعلى

ربهم يتوكلون » (١) .

(١) رواه البخاري (٥/٢١٧٠ - رقم ٥٤٢٠) ، (٥/٢٣٩٦ - رقم ٦١٧٥) ، وأحمد (١/٤٠١، ٤٥٤) ،

وابن حبان (١٣/٤٤٨ - رقم ٦٠٨٤) ، والحاكم (٤/٤٦٠ - رقم ٨٢٧٨) .

٩ - ينبغي للمريض أن يعلق قلبه بالله ، ويلجأ إليه عند الاضطرار ، لا إلى أحد غيره : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل: ٦٢].

١٠ - درهم وقاية خير من قنطار علاج ؛ فلا بد من الوقاية والحذر من كل مؤذ مادياً ومعنوياً ، جسداً وروحاً .

١١ - السلاح بضاربه ؛ فلا تكفي قوة السلاح إذا كان حامله مشلولاً ، أو هزليلاً ، وهكذا الرقى الشرعية تكون قوية مؤثرة إذا خرجت من قلب ولسان صادق مؤمن بها قائم بما أوجب الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

١٢ - القرآن كله شفاء ؛ ولكن ما ثبت دليل بأن في آياته شفاء على وجه الخصوص يقدم على غيره وإن كان القرآن كله شفاء ، ولا بأس بالأدعية والأذكار التي لا تشتمل على مخالفة أو نهى أو شرك ، لحديث : « اعرضوا عليّ رقاكم ؛ لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً »<sup>(١)</sup> .

١٣ - لا يجوز الاستعانة بالجن لإخراج الجن وإبطال السحر - ولو كانوا مسلمين - ؛ لأن ذلك لم يفعله الرسول ﷺ ، وليس من عمل السلف ، وهو فتح لباب من الشر عظيم ، والشياطين يُلبسون على كثير من المعالجين ويستدرجونهم .

وإغلاق هذا الباب هو الأولى ، والاكتفاء بالرقى الشرعية فيه السلامة والنجاة .

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦] أي : طغياناً وتكبراً وتسلطاً على الإنس ؛ فالموحد

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » (رقم ٢٢٠١) .

لا يستعين إلا بالله وحده كما لا يعبد إلا الله ، وهو يتعبد ربه سبع عشرة مرة  
في الفريضة بقراءة قوله تعالى : ﴿ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

قال ابن القيم : « فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة ربّها ، وأفعاله ،  
وأحكامه ، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ، ومحابه ، متجنبه لمناهيه ومساخطه ،  
ولا صحة لها ولا حياة - ألبتة - إلا بذلك ، ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة  
الرسول ، وما يظن من حصول صحة القلوب بدون اتباعهم ، فغلط ممن يظن  
ذلك »<sup>(١)</sup> .

وقانا الله وسائر المسلمين سائر الأسقام والأدواء ، وأسبغ علينا عافية  
الدنيا والآخرة .

---

(١) « زاد المعاد » (٧/٤) .

## أهمية علم الطب

### في الكتاب والسنة وآثار السلف

( ١ )

لقد جاء الوحي سواء كان وحي القرآن أم وحي السنة ، بطب القلوب والأبدان ، وبيان أمراضهما وشفائهما مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [ الأنعام : ٣٨ ] ، وقوله : ﴿ وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ الإسراء : ٨٢ ] ، بل جعل الله تعالى كلامه ووحيه شفاءً ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ [ فصلت : ٤٤ ] .

وقد أشار القرآن إلى أن أصول قواعد الطب الثلاثة - حفظ الصحة ، والحماية عن المؤذي ، واستفراغ المادة الفاسدة - في أكثر من آية . ولقد تجاوزت آيات الطب في القرآن الأربعين آية ، ذكرها العلماء والأطباء الذين اعتنوا بالطب النبوي والإسلامي .

وطب الأبدان يشترك فيه الناس جميعاً - أنبياء وغير أنبياء - ، أما طب القلوب والأرواح فلا يتوصل إليه بوحي الكتاب والسنة ، ويشمل هذا النوع من الطب : « تهذيب النفوس ، ورياضتها ، ودفع هواها ، وإصلاح العقل والفكر ، والحث على الفضيلة ، ومجانبة الرذيلة ، والخلق الدنيء ، والكذب ، والحقد ، وسلامة الصدر من الحسد والغش ، والنفاق ، وعشق الهوى ، والمجون ، وشره النفوس وطب القلوب يسكن الغضب ، ويصفي الذهن من

الغم والهم ، وهو رياضة روحية ، وفيه الاعتماد والتوكل على الله ،  
والالتجاء إليه ، والدعاء والاستغفار ، والصدقة والإحسان ؛ فإن في هذه  
الأمر من التأثير في شفاء ما لا يصل إليه علم الأطباء والأدوية ، سواء في  
القديم أو الحديث ، وقد جرب هذا على مر العصور ، وحصل لكثير من  
الناس في مختلف المجتمعات فيه الشفاء « (١) .

قال الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : « وطب القرآن وشفاءه لا  
ينتفع به إلا من تلقاه بالقبول والرضا والاعتقاد ، ولا يُنكر عدم انتفاع  
كثيرين من المرضى بالقرآن ، وبالطب النبوي ، وذلك لعدم كمال التلقي  
والاعتقاد ، وليس هذا راجعاً لقصور في العلاج ، وإنما لفساد ؛ وشفاء القرآن  
لا يناسب إلا الأبدان الطيبة ، والأرواح الطيبة ، والقلوب الحية » (٢) .

### • أهمية الطب في السنة :

اعتنت السنة النبوية بصحة الأجساد ووقايتها من الأمراض ، ودفع  
المؤذي عنها ؛ فأمرت بالحفاظ على البيئة ليسلم ساكنوها من الإنسان  
والحيوان ؛ لأن سلامة التربة والماء والهواء من عوامل بقاء الإنسان واستمرار  
بقائه ، ولذلك أمرت الشريعة بالطهارة والنظافة ؛ بل جعلت السنة الطهارة  
شطر الإيمان بنص حديث رسول الله ﷺ : « الطهور شطر الإيمان » (٣) .

ومعلوم أن الجراثيم والميكروبات تتكاثر حيث تغيب النظافة ؛ فلا بد

(١) « الطب النبوي » لابن القيم (ص ٦٨-٧٤) .

(٢) المصدر السابق ( ص ١٠٤ ) .

(٣) أخرجه مسلم في « صحيحه » (١/٢٠٣- برقم ٢٢٣) ، وأبو داود في « سننه » - كتاب الطهارة  
(٣٩/١) ، من حديث أبي مالك الأشعري .

من نظافة المطعم ، والمشرب ، والملبس ، والبدن ، والمأوى ، وموارد المياه ، وطرق الناس ، وأماكن استظلهم ، بل قد لعن رسول الله ﷺ من أفسد على الناس أماكن تجمعهم وحضورهم بتلويثها ، حيث قال : « اتقوا الملاعن الثلاثة ... »<sup>(١)</sup> ، وقوله ﷺ : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ، ثم يغتسل فيه »<sup>(٢)</sup> .

وجعل الإسلام إمطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان<sup>(٣)</sup> .  
كل هذا يعني أن الإسلام دين النظافة والصحة ، فغسل الإناء مما قد يعلق به من ولوغ الكلب من الديدان التي تسبب أمراض الرئتين ، والكبد ، والكليتين ، والمخ ، والأعصاب التناسلية ، وغيرها مما أثبت بالعلم .  
وحدوث الوباء وانتشاره من الأقدار والمستنقعات في الطرقات والأماكن العامة ، كل هذه مصادر رئيسة لانتشار الميكروبات والأوبئة ، وحدوث الأمراض الخطيرة في المجتمع ، وكثيراً ما تحدث الأمراض الجلدية وغيرها بسبب تلوث الماء ، واستعماله في الغسل والشراب<sup>(٤)</sup> .

فالله تعالى : ﴿ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .  
وقال تعالى : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨] ؛ فالطهارة في الباطن والظاهر ، والنفس ،

(١) أخرجه أبو داود (٧/١ - رقم ٢٦) ، وابن ماجه (رقم ٣٢٨) .  
(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه » - كتاب الطهارة (١/٢٥٣ - برقم ٩٥) ، وغيره .  
(٣) أخرجه مسلم (١/٦٣ - رقم ٣٥) ، وأبو داود في « سننه » (٥/٥٥ - رقم ٤٦٧٦) ، والترمذي (١/٣٥٩ ، ٣٦٠) ، وابن ماجه (١/٢٢ - رقم ٥٧) من حديث أبي هريرة .  
(٤) « فضل علماء الإسلام على الحضارة الأوروبية » (ص ٢٠٤) .

والبدن ، من أسباب نيل محبة الله ، ومحبة رسوله ؛ لأن الشياطين تميل إلى الأنجاس والأرجاس باطناً وظاهراً ، وتقرن بأصحابها ، وترافقهم حيث حلوا ، وحيث ارتحلوا ، وقد نزلت الآية السابقة في أهل قباء ؛ كانوا يستنجون بالماء ، فنزلت فيهم هذه الآية . صححه ابن خزيمة .

وفي استعمال الغسل والوضوء عند كل صلاة وتكريره مبالغة في النظافة ، ووقاية للجسم ، وعناية بالمسلم في كل حالة من حالاته حتى يظهر بصورة الجمال في جسمه ، ومنظره ، وملبسه ، ومسكنه ، ومجتمعه ، وفي المواطن الاجتماعية مع الناس ، ومع أسرته ، وزوجته كل ذلك فيه مراعاة وعناية بصحة الإنسان بجميع جوانب حياته ، وهذا دليل واضح على اهتمام الإسلام بالصحة العامة ، والرعاية ، فالإنسان مطالب في اليوم والليلة بخمس صلوات تدعوه إلى أن ينظف نفسه بالماء خمس مرات في أوقات مختلفة ... ، وفي أعمال الوضوء من غسل اليدين قبل إدخالهما في الإناء ؛ محافظة على الطهارة والصحة ، ثم المضمضة التي تزيل ما تراكم في الفم من بقايا الأطعمة بين الأسنان ، فتسبب تسوساً يبخر منه الفم ، ويفسد ، وتحصل الأكلة في الأسنان ، وفي مشروعية السواك والتأكيد على استعماله والحث عليه ، كل هذا فيه أكثر دلالة على بقاء صحة الأسنان واللثة على أحسن وأكمل منظر وقوة<sup>(١)</sup> .

وهذا قليل من كثير ، ولعلنا نبحت هذا الموضوع بأوسع من ذلك في غير هذا الموضوع إن شاء الله .

(١) « المنهج السوي والمنهل الروي » (ص ٢٨ ، ٢٩) .

## • أمر السنة بالتداوي :

في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أنزل من داء ؛ إلا أنزل له شفاء » ، وفي لفظ : « إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله » ، ولهذا أمر الرسول ﷺ بالتداوي فقال : « عباد الله تداووا ؛ فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء ، غير داء واحد . قالوا : وما هو ؟ قال : الهرم » <sup>(١)</sup> .

وقال ابن القيم - رحمه الله - في قوله ﷺ : « لكل داء دواء » : « تقوية لنفس المريض والطبيب ، وحث على طلب ذلك الدواء ، والتفتيش عليه ، فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله تعلق قلبه برفع الرجاء ، وبردت عنده حرارة اليأس ، وانفتح له باب الرجاء ، ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية ، وكان ذلك سبباً لقوة الأرواح الحيوانية والنباتية والطبيعية ، ومتى قويت هذه الأرواح ، قويت القوى التي هي حامل لها ، فقهرت المرض ودفعته ، وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء ، أمكنه طلبه والتفتيش عليه ، وأمراض الأبدان على وزن أمراض القلوب ، وما جعل الله للقلب مرضاً إلا جعل له شفاء بضده ، فإن علمه صاحب الدواء واستعمله ، وصادف داء قلبه أبرأه بإذن الله » <sup>(٢)</sup> .

## • الإرشاد والوصية بالطبيب الأحقق :

أمر النبي ﷺ ابن خالته سعد بن أبي وقاص - عندما مرض - أن

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » ، والبخاري في « الأدب المفرد » ، والترمذي في « سننه » ، وابن ماجه في « سننه » ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) « زاد المعاد » (١٧/٤) .

يطلب الحارث بن كلدة الثقفي - الذي اشتهر بالطب في زمنه - وأخبروه أنه مفؤود ، وأن عليه أن يستعمل الدواء الذي وصفه له .

وأمر ﷺ بتضمين الطبيب إذا لم يكن طبيباً حاذقاً ، بل ادعى الطب ادعاء وتشبع بما لم يعط كأكثر عطاري وعشابى زماننا - عياداً بالله - ، قال ﷺ : « من تطب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن » (١) .

ولذلك كان ﷺ يوصي بالأحذق من الأطباء ، وبالأحذق من الحجامين ، وقد احتجم وأمر أمته بالحجامة (٢) .

### • عناية العلماء بالطب النبوي :

جمع العلماء ما ورد عن الرسول ﷺ من أحاديث متعلقة بالطب ، وأفردوا لها أبواباً في كتبهم ، وقد أفردوا في الطب كتباً مستقلة ، سميت بـ (الطب النبوي) ؛ جمعوا فيها الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في أبواب الطب المختلفة .

وأول من أفرد رسالة في حفظ الصحة ، هو الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين ، وهي رسالة وضعها بناء على طلب من المأمون العباسي .

ثم تبعه الفقيه الحجة الأديب اللغوي عبد الملك بن حبيب الأندلسي السلمي ، المتوفى سنة (٢٣٨ هـ) ، وكتابه مطبوع بتحقيق وشرح الدكتور

(١) أخرجه أبو داود (٤/١٩٥ - رقم ٤٥٨٦) ، وابن ماجه (٢/١١٤٨ - رقم ٣٤٦٦) ، والنسائي في « الكبرى » (٤/٢٤١ - رقم ٧٠٣٤) .

(٢) يُنظر كتابي « منهج السلامة فيما ورد في الحجامة » وهو يعد لطبعة ثانية مزيدة ومحقة ولعله يقع في ضعف حجمه الأول بعون الله وتوفيقه .

البار ، طبع دار القلم - دمشق ، والدار الشامية - بيروت .  
كما ألف في الطب ابن أبي عاصم ، المتوفى (٢٨٧هـ) ، وكتابه « الطب  
والأمراض » .

وألف أبو نعيم الأصبهاني ، المتوفى (٤٣٠ هـ) كتاباً في الطب النبوي ،  
احتوى كتاب ابن السني ، وأضاف إليه أشياء أخرى كثيرة ، ولا زال الكتاب  
مخطوطاً .

ثم ألف الموفق عبد اللطيف البغدادي « شرح أربعين حديثاً من سنن  
ابن ماجه » سماها « الأربعين الطيبة » حققه د. عبد المعطي قلعجي ، وفيها  
تصحيفات قبيحة أساءت للكتاب ، وخصوصاً لناشره ومحققه .

كما ألف ابن طرخان الحموي كتاب « الأحكام النبوية في الصناعة  
الطبية » شرح فيه أربعين حديثاً مما اتفق عليه الشيخان من الأحاديث الواردة  
في الطب ، وهو مطبوع بمصر .

وألف الإمام ابن قيم الجوزية كتاب « الطب النبوي » ضمن كتابه  
الكبير « زاد المعاد في هدى خير العباد » ، طبع مؤسسة الرسالة ، ثم طبع  
المجلد المستقل بالطب النبوي - وحده - مرات .

وللإمام الذهبي كتاب في الطب النبوي ، طبع على هامش « تسهيل  
المنافع » ، ثم طبع مفرداً في القاهرة - مطبعة الحلبي - ، ثم طبع محققاً .  
ثم ألف الإمام السيوطي كتاباً في الطب سماه « المنهج السوي ، والمنهل  
الروي في الطب النبوي » ، بتحقيق الأهدل - طبع دار أسامة .

ولا زال التأليف في الطب النبوي وربطه بالطب الحديث قائماً ، فهو  
علم تتوجه أنظار الباحثين والمهتمين إليه ، ونسأل الله تعالى أن نرى اليوم

الذي يُدرّس فيه هذا العلم في الجامعات والمعاهد ، ويتخصص فيه أفراد  
يداوون عباد الله في عياداتهم ، العامة والخاصة ، وما ذلك على الله بعزيز .

## أهمية علم الطب في الكتاب والسنة وآثار السلف

( ٢ )

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « ما أنزل الله من داء إلا وأنزل معه شفاء ؛ علمه من علمه ، وجهله من جهله » .  
[ أخرجه ابن ماجه ، والحاكم ، وابن السني ، وأبو نعيم ] .

قال الحافظ الذهبي : قلنا : إن ذلك يقتضي تحريك الهمم ، وحث العزائم على تعلم الطب ، وهو لغة : الحذق .  
« علمه من علمه » : إشارة إلى الأطباء ، « وجهله من جهله » أي : من باقي الناس .

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - : « لا أعلم علماً - بعد الحلال والحرام - أنبل من الطب » .

وقال الحافظ أبو طاهر السلفي : « أخبرني الثقفني : سمعت أبا عمر بن بلوييه : سمعت الربيع : سمعت الشافعي يقول : العلم علمان : علم الأديان ؛ الفقه ، وعلم الأبدان ، الطب » .

وقال الحسن بن سفيان ، حدثنا حرملة ، قال : كان الشافعي يتلهف على ما ضيَّعه المسلمون من الطب ، ويقول : ضيعوا ثلث العلم ، ووكلوه إلى اليهود والنصارى .

وقال ابن أبي حاتم في « مناقب الشافعي » : « حدثنا أبي : ثنا يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعي يقول : « إن أهل الكتاب قد غلبونا في الطب » .

وأخرج أبو نعيم في « مناقبه » من طريق أبي حسين البصري قال :

سمعت طبيباً بمصر يقول : ورد الشافعي مصر ، فذاكرني بالطب حتى ظننت أنه لا يحسن غيره ، فقلت له : أقرأ عليك شيئاً من كتاب أبقراط ؟ فأشار إلى الجامع ، وقال : إن هؤلاء لا يتركوني .

• عناية أم المؤمنين عائشة بالطب مع ما تميزت به من فقه :

عن هشام بن عروة قال : ما رأيت أحداً أعلم بالطب من عائشة ، فقلت : يا خالة ! ممن تعلمت الطب ؟ قالت : أسمع الناس تنعت بعضهم ، فأحفظ . وفي لفظ عنه ، قال : قلت لعائشة : يا أم المؤمنين ! أعجب من بصرك بالطب !! قالت : يا ابن أخي ! إن رسول الله ﷺ لما طعن في السن سقم ، فوفدت الوفود فنعتت ، فمن ثم .

وفي آخر عنها - رضي الله عنها - قالت : يا ابن أخي ! كان يمرض الإنسان من أهلي ، فينتع له رسول الله ﷺ فأعيه ، فأنتعته للناس . رواه أبو نعيم . قلت : واختلف العلماء ؛ هل الطب إلهام من الله تعالى ، أو هو تجارب وتعليم ؟!

فقال الذهبي : قال أبقراط وغيره : الطب إلهام من الله تعالى ، وأبقراط رئيس هذه الصناعة ومذهبه فيها هو المذهب الصحيح ، وتبعه عليه جالينوس إمام هذه الصناعة ، وهما معظمان عند الأطباء تعظيماً كثيراً ...

وقيل : إنه حصل بالتجارب ، وقيل : بالقياس ، والأغلب أنه من تعليم الله عز وجل وإلهامه وهو الحق ، ثم أضيف إليه التجارب والقياس ، وقد رأينا الناس وبعض الحيوان يستعملون الطب طبعاً وإلهاماً ؛ فإن كل من أحس بالجوع طلب الغذاء ، وكذا إذا عطش طلب الماء ، وإذا كرب تبرد ؛ والضد ، وإذا أتخم أعرض عن الأكل ، وهذا من الطب ، فالحية إذا خرجت

بعد الشتاء [ من جحرها ] وقد كلَّ بصرها ، تأتي إلى الرازيانج - وهو الشومر - فتأكل منه ، وتقلب عينيها عليه فتبصر ، وقد نبه الأطباء على استعماله عند ظلمة البصر ، وكذا الطائر الغواص على السمك ؛ إذا حبس طبعه حقن نفسه بماء البحر ، وفرخ الخطاف إذا عمي حملت إليه أمه الماميران من الصين فيبصر ... ، والثعلب إذا مرض في الربيع ، يأكل حشيشاً يسهله فيصح ، وكذلك الهر تأكله فيعينها على القيء ، ومعلوم أن الحشيش ليس من أغذيتها ، فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى <sup>(١)</sup> .

قلت : فالطيور والحيوانات تدفع أمراضها بإلهام من الله تعالى لها ، وبوحي خاص من الله لها ؛ ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ .

أما الطب الذي وصلنا عن أنبياء الله - وخصوصاً عن نبينا محمد ﷺ - ؛ فهو وحي من الله تعالى ، فالطب النبوي وعلاجات الرسول ﷺ الثابتة بالأحاديث ؛ كلها وحي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . لذلك فهي علاجات ناجعة ، لا يتطرق إليها الشك ألبتة ، من ذلك مداواة الرسول ﷺ مرض العيون بالكمأة والإثمد ، ومداواته للحمى بالماء البارد يسن على المحموم سحراً على ثلاثة أيام ، وكذا مداواته ﷺ للمحزون بالتليينة ، ولن اشتكى ألماً في رجله بالخناء ، وأمثال ذلك كثير في السنة المطهرة .

وكثير من العلاجات الشعبية القديمة - يونانية كانت أم عربية - تقوم على التجربة أو الصدفة ، أو الإلهام ، ولربما قام بعضها على الاستعانة

(١) « المنهل الروي في الطب النبوي » لمحمد بن طولون الدمشقي (١٣-١٤) بشيء من التصرف .

بالشياطين والكهنة ، وهذا ما يجرمه الإسلام تحريماً أكيداً شديداً ، ويعدّه باباً من الشرك والكفر عياداً بالله .

أما الطب الحديث ؛ فأكثره يقوم على التجربة العلمية والمختبرات العملية ، وما يناسب بعض الناس قد لا يناسب آخرين ، والعود إلى الطبيعة أسلم من المضاعفات التي تنتج عن المستحضرات الكيماوية التي تعمل عملها في بدن الإنسان ، ولو بعد حين ؛ فإن الدواء إذا لم يجد ما يحلله من الداء ؛ عبث بالصحة ، كما قرر ذلك الأطباء القدماء ، ولذلك كانوا يعالجون بالغذاء قبل الدواء ، وبالمفرد قبل المركب ، وبالبسيط قبل المعقد ، وبمحافظة الصحة بالحمية ؛ فإن المريض إذا تُرك للطبيعة فإنه يقوى على المرض ؛ لأن الله تعالى خلق في جسم الإنسان مقاومة ذاتية للمرض ، وهو ما يسمى في الطب الحديث بجهاز المناعة ، فسبحان من خلق كل شيء فقدره تقديراً !

قال الإمام الذهبي : تشريع النبي ﷺ لأصحابه يدخل فيه كل الأمة ؛ إلا أن يخصه دليل ، وتطيبه لأصحابه وأهل أرضه خاص بطباعهم ؛ إلا أن يدل دليل على التعميم .

قلت : ومن رحمة الله بالخلق أن جعل شفاءهم وعلاجهم في أعشاب أرضهم ، قال ابن القيم - رحمه الله - في « الطب النبوي » : « كان علاجه ﷺ للمريض ثلاثة أنواع :

أحدهما : بالأدوية الطبيعية . والثاني : بالأدوية الإلهية . والثالث : بالمركب من الأمرين » .

وكل ذلك وردت أدلته في السنة النبوية الصحيحة ، والحمد لله ، وبالله التوفيق .

## قواعد في الطب النبوي

خلق الله الخلق لعبادته وطاعته ، وخلقهم من أرواح وأجساد ، وأنزل لهم من الأحكام الشرعية والتكاليف التعبدية ما يقيم أبدانهم ويهذب أرواحهم ، وأخرج لهم من طيبات الأرض ما يحفظ أبدانهم وأرواحهم ؛ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .

فالطيب غذاء نافع ، والخبيث والنجس سم قاتل ؛ لذلك أحل الله لهذه الأمة الطيبات ، وحرم عليها الخبائث ، قال تعالى : ﴿ وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثِ ﴾ .

وهذا من أعظم مقاصد بعثة الرسول ﷺ ، فقد كان نبينا محمد ﷺ أحرص وأرحم رسل الله على خلقه ، خصوصاً على أمته - كما وصفه ربه بقوله - : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، وما ترك ﷺ خيراً إلا دل أمته عليه ، ولا ترك شراً إلا حذر أمته منه ، ومن جملة ذلك : حثه على ما يحفظ لهذه الأمة صحتها وعافيتها ودفع ما يؤذيها في أجسادها وأرواحها ، وتحذيرها من كل مؤذ وضار بها قبل وقوعه - وهو ما يسمى بالطب النبوي الوقائي - ؛ الذي استفاضت به السنة ، بل وحث عليه القرآن قبل ذلك .

وتستطيع أن تقول : إن قواعد حفظ الصحة التي بينها القرآن والسنة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : حفظ الصحة ، وقد أشار ربنا إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ

كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « فأباح الفطر للمريض لعذر

المرض ، وللمسافر لاجتماع شدة الحركة مع ما يوجبه من التحليل ، فأباح للمسافر الفطر لصحته وقوته عما يضعفها » .

ثانياً : الحمية عن المؤذي ، وهذه القاعدة أشار إليها ربنا تبارك وتعالى

بقول : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ

لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ .

فأباح للمريض العدول عن الماء إلى التراب ؛ حمية له أن يصيب جسده

ما يؤذيه ، وهذا تنبيه على الحمية عن كل مؤذله من داخل أو خارج .

ثالثاً : استفراغ المادة الفاسدة ، وهذه القاعدة أشار إليها ربنا بقوله :

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِمْ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ

صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ .

فأباح للمريض ومن به أذى من رأسه من قمل أو حكة أو غيرها أن

يخلق رأسه في الإحرام ؛ استفراغاً لمادة الأبخرة الرديئة التي أوجبت له الأذى

في رأسه باحتقانها .

ومن هنا جاءت الأحاديث الصحيحة المستفيضة بالوصية بالحجامة ؛

حتى إن النبي ﷺ أمر بها في الملاء الأعلى ليلة المعراج : « ما مرتت بملاً من

الملائكة ليلة المعراج إلا قالوا : يا محمد مر أمتك بالحجامة » .

وقال : « إذا كان الشفاء في شيء ؛ ففي ثلاث : شرطة محجم ، أو لعقة  
عسل ، أو كية نار ، وأنهى عن الكي » .

فاحتباس المادة الفاسدة في جسم الإنسان سبب رئيس لكثير من العلل  
القاتلة ، وقد ذكر الأطباء والعلماء - كابن القيم وغيره - عشرة أشياء يؤدي  
احتباسها إلى أمراض قاتلة :

- ١- الدم إذا هاج
- ٢- والمني إذا تبيغ
- ٣- والبول
- ٤- والغائط
- ٥- والريح
- ٦- والقيء
- ٧- والعطاس
- ٨- والنوم
- ٩- والجوع
- ١٠- والعطش .

كل واحد من هذه العشرة يوجب احتباسه داء من الأدواء بحسبه .  
والمرض الذي بينه القرآن مرضان :

أولاً : مرض قلوب .

ثانياً : مرض أبدان .

أما مرض القلوب ؛ فهو على قسمين : مرض شبهة وشك ؛ ومرض

شهوة وغي .

أما مرض الشبهة والشك : فقد أشار المولى تبارك وتعالى بقوله : ﴿ فِي

قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ ، وقوله : ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ

أَمْ آرْتَابُوا ﴾ ، وهذا المرض أشد فتكاً وخطراً من الثاني، وهو الشهوة والغي .

وقد أشار ربنا إلى الثاني بقوله : ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ  
النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ أي  
مرض شهوة الزنا .

أما مرض الأبدان : فقد ذكره ربنا في كتابه بقوله : ﴿ لَيْسَ عَلَى  
الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ ﴾ ، وهذا  
الأخير قسمان :

١ - ما هو فطري كالجوع والعطش والتعب .

٢ - وما يحتاج إلى فكر وتأمل وخبرة ومراس .

وهو طب الأمم والشعوب ، وقد جاء الرسول ﷺ بطب الأرواح  
والأبدان ، وأمر أمته بما يحفظ أبدانها وقوتها وصحتها ؛ لأن سلامة دينها في  
سلامة بدنها ، وهذا معنى قول الرسول ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى  
الله - تعالى - من المؤمن الضعيف وفي كل خير » .

وقوله : « تداووا عباد الله ؛ فإن الله لم يجعل داء إلا جعل له دواء ، إلا  
الهرم » .

فالصحة نعمة عظيمة من نعم الله ينبغي المحافظة عليها ؛ لأنها تعين على  
طاعة الله، وفي الحديث الصحيح : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس :  
الصحة والفراغ » .

وهي أول ما يسأل عنه العبد من النعم يوم القيامة ؛ أن يقال له : « ألم  
أصح جسمك وأروك من الماء البارد » !!

ومن حاز العافية حاز خيراً عظيماً ، وملكاً كثيراً ، قال ﷺ : « من

أصبح آمنًا في سربه ، معافى في جسده ، عنده قوت يومه ؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها .

لذلك فالعافية مُلك خفي وهي تاج على رءوس الأصحاء ، لا يبصره إلا المرضى - وقانا الله وسائر إخواننا المسلمين سائر الأدواء والأوباء بمنه وكرمه ، والحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة - .

## وصايا طبية نبوية نافعة

( ١ )

١ - السلامة في التقليل من الطعام والشراب :

قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

[ الأعراف : ٣١ ] .

قال بعض الأطباء : إن هذه الآية اشتملت على نصف الطب .  
فإن أكثر الأمراض من التخم ، وإدخال الطعام على الطعام قبل هضم  
الأول .

قلت : واحذر طعاماً قبل هضم طعام

### فمنه دوماً سائر الأقسام

وقد أوصى الرحمة المهداة - الرحيم بهم - أمته الاعتدال والاقتصاد في  
سائر شئونهم ؛ حتى في عبادتهم ولم يفته أن يوصيهم بالاقتصاد في طعامهم  
- الذي فيه سلامة أبدانهم - ، وإبعاد عطبهم وتلفهم وهلاكهم ؛ ذلك أن  
الإكثار من الطعام وما ينتج عنه من التخم والسمنة سبب رئيس لكثير من  
العلل القاتلة ؛ كالضغط والسكر ، وتصلب الشرايين ، والنقرس ، والأمراض  
السوداوية ، وكثرة السدد الكبدية والطحالية ، والعلل الرئوية والصدرية ،  
وغير ذلك مما هو معروف عند الأطباء مدون في كتبهم ونشراتهم الصحية .  
ففي « المسند » وغيره قال ﷺ : « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ،  
بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا بد فاعلاً ، فثلث لطعامه ،  
وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

قلت : فلم يجز الرسول ﷺ لأمته أن يتجاوزوا قدر الثلث - والثلث كثير - ، والأفضل أن يقتصروا على لقيمات ؛ تكون دون الثلث بكثير لتقوى معدتهم على هضم الطعام ، والاستفادة منه ، ولكي تتمكن الأجهزة الأخرى من العمل ؛ كجهاز التنفس - الرئتين - ؛ لأن الإنسان إذا شبع ضغطت معدته على الحجاب الحاجز وهو بدوره يضغط على الرئتين ؛ فيمتنع النفس ويصبح صعباً ؛ مما يسبب له الكرب ، حيث يضعف القلب ويجهد ، وبالتالي لا يصل الأكسجين إلى الدم وإلى عروق الدماغ ، فلربما أدى إلى السكتات القلبية والدماغية ، وما يعقب ذلك من موت أو شلل .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في « زاد المعاد » ( ١٨ / ٤ ) :

« الأمراض نوعان : أمراض مادية تكون عن زيادة مادة أفرطت في البدن حتى أضرت بأفعاله الطبيعية ، وهي الأمراض الأكثرية ، وسببها إدخال الطعام على البدن ، قبل هضم الأول ، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن وتناول الأغذية القليلة النفع ، البطيئة الهضم ، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة ، فإذا ملأ آدمي بطنه من هذه الأغذية واعتاد ذلك أورثته أمراضاً متنوعة منها : بطيء الزوال وسريعه . فإذا توسط في الغذاء وتناول منه قدر الحاجة ، وكان معتدلاً في كميته وكيفيته، كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير » .

ومراتب الغذاء ثلاثة :

أحدهما : مرتبة الحاجة .

والثانية : مرتبة الكفاية .

والثالثة : مرتبة الفضلة .

فأخبر النبي ﷺ : أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه ، فلا تسقط قوته ، ولا تضعف معها ، فإن تجاوزها ، فليأكل في ثلث بطنه ، ويدع الثلث الآخر للماء ، والثالث لنفسه ، وهذا من أنفع ما للبدن والقلب ؛ فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب ، فإذا ورد عليه الشراب ضاق النفس ، وعرض له الكرب والتعب بحمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل ، هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب ، وكسل الجوارح عن الطاعات ، وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع فامتلاء البطن من الطعام مضر للقلب والبدن .

هذا إذا كان دائماً أو أكثرياً ، وأما إذا كان في بعض الأحيان فلا بأس به ، فقد شرب أبو هريرة بحضرة النبي ﷺ من اللبن حتى قال : والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلماً ، وأكل الصحابة بحضرة مراراً حتى شبعوا ، والشبع المفرط يُضعف القوى والبدن ، وإن أخصبه ، وإنما يقوى البدن بحسب ما يقبل من الغذاء لا بحسب كثرته .

## ٢ - الرسول ﷺ هو أول من دعا إلى الحجر الصحي وطبقه .

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد : ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون فقال أسامة : قال رسول الله ﷺ : « الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل ، وعلى من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض ، فلا تدخلوا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه » <sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه البخاري (٣٧٧/٦) في الأنبياء : باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ومسلم (٢٢١٨) في السلام : باب الطاعون والطيرة .

قلت : فأين الغرب من هذا الحديث النبوي الصحيح؟! الذي وضع فيه النبي ﷺ أصول وقواعد (الحجر الصحي) قبل خمسة عشر قرناً من الزمان، يوم أن كان الغرب في جهل دامس وتخلف طامس ، ولو أنصفوا لشهدوا لرسول الله ﷺ شهادة حق ؛ وأنه طبيب الدنيا بأسرها ، كما كان نبي العالمين بأسرهم .

قال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » : الطاعون هو عند أهل الطب : ورم رديء يخرج معه تلهب شديد مؤلم جداً يتجاوز المقدار في ذلك ، ويصير ما حوله في الأكثر أسود ، أو أخضر ، أو أكمد ، ويئول أمره إلى التقرح سريعاً ، وفي الأكثر يحدث في ثلاثة مواضع : في الإبط ، وخلف الأذن ، والأرنبة ، وفي اللحوم الرخوة .

وفي أثر عن عائشة أنها قالت للنبي ﷺ : الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال : « غدة كغدة البعير يخرج في المراق والإبط » (١) .

قال الأطباء : إذا وقع الخراج في اللحوم الرخوة والمغابن ، وخلف الأذن والأرنبة ، وكان من جنس فاسد سمي طاعوناً ، وسببه : دم رديء مائل إلى العفونة والفساد ، مستحيل إلى جوهر سمّي ، يفسد العضو ويغير ما يلين ، وربما رشح دمأ أو صديداً ، ويؤدي إلى القلب كيفية رديئة فيحدث القيء والخفقات والغشي .

وهذا الاسم وإن كان يعم كل ورم يؤدي إلى القلب كيفية رديئة ، حتى يصير لذلك قتالاً ، فإنه يختص به الحادث في اللحم الغددي ؛ لأنه لرداءته لا

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٤٥ و ٢٥٥) ، وحسنه محققا الزاد .

يقبله من الأعضاء إلا ما كان أضعف بالطبع ، وأردؤه ما حدث في الإبط وخلف الأذن ؛ لقربهما من الأعضاء ؛ التي هي رأس ، وأسلمه الأحمر ، ثم الأصفر ؛ والذي إلى السواد ، فلا يفلت منه أحد .

... وهذه القروح والأورام والجراحات ، هي آثار الطاعون وليست نفسه ، ولكن الأطباء لما لم تدرك منه إلا الأثر الظاهر جعلوه نفس الطاعون . والطاعون يعبر به عن ثلاثة أمور :

أحدهما : هذا الأثر الظاهر ، وهو الذي ذكره الأطباء .

والثاني : الموت الحادث عنه ، وهو المراد في الحديث الصحيح : « أنه بقية رجز أرسل على بني إسرائيل »<sup>(١)</sup> ، وورد فيه أنه « وخز الجن »<sup>(٢)</sup> .

إن تأثير الأرواح في الطبيعة وأمراضها وهلاكها أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وتأثيراتها ، وانفعال الأجسام وطبائعها عنها ، والله سبحانه قد يجعل لهذه الأرواح تصرفاً في أجسام بني آدم عند حدوث الوباء وفساد الهواء ؛ كما يجعل لها تصرفاً عند بعض المواد الرديئة التي تحدث للنفوس هيئة رديئة ، ولا سيما عند هيجان الدم ، والمرة السوداء ، وعند هيجان المني فإن الأرواح الشيطانية تتمكن ما لا تتمكن من غيره ، ما لم يدفعها دافع أقوى من هذه الأسباب من الذكر ، والدعاء ، والابتهاال ، والتضرع ، والصدقة ، وقراءة القرآن ، فإنه يستنزل بذلك من الأرواح الملكية ما يقهر هذه الأرواح الخبيثة ، ويبطل شرها ، ويدفع تأثيرها ، وقد جربنا نحن

(١) أخرجه البخاري (٣٧٧/٦) ، ومسلم (٢٢١٨) من حديث أسامة بن زيد .

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٥/٤ و٤١٣ و٤١٧) ، والطبراني في « المعجم الصغير » (ص ١٧) ، وصححه الحاكم (٥٠/١) ووافقه الذهبي ، وهو كذلك .

وغيرنا هذا مراراً لا يحصيها إلا الله ، ورأينا لاستئصال هذه الأرواح الطيبة واستجلاب قربها تأثيراً عظيماً في تقوية الطبيعة ودفع المواد الرديئة ، وهذا يكون قبل استحكامها وتمكنها ، ولا يكاد ينخرم ، فمن وفقه الله بادر عند إحساسه بأسباب الشر إلى هذه الأسباب التي تدفعها عنه ، وهي له من أنفع الدواء ، وإذا أراد الله عز وجل إنفاذ قضائه وقدره ، أغفل قلب العبد عن معرفتها وتصورها وإرادتها ، فلا يشعر بها ، ولا يريد لها ، ليقضي الله فيه أمراً كان مفعولاً .

قلت : لقد أدرك العالم كله أهمية (الحجر الصحي) خصوصاً بعد اكتشاف المجهر ؛ الذي يكبر الجراثيم والفيروسات مئات ؛ بل آلاف المرات وهذه الميكروبات تحدث أمراضاً فتاكة صعبة ، كميكروبات الكوليرا والطاعون ، والجذري والبلهارسيا ، ومرض أبولا والملاريا ، وغيرها من أمراض فتاكة .

ولقد رأينا قبل سنين كيف قاطعت كل دول العالم الهند عندما أشيع أن الطاعون قد انتشر فيها ، وكيف حجرت على المسافرين القادمين من الهند الدخول إلى أراضيها ، وقادت حملات ضخمة للتطعيم من هذا المرض ، وكذا تفعل الدول مع كل وباء مُعدٍ ؛ منعاً لانتقال هذا الوباء إلى بلدانها السليمة ، مع حملة واسعة إعلامية من التوعية الصحية لمواطنيها ، فصلى الله على الرحمة المهداة الذي قال الله فيه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [ التوبة : ١٢٨ ] .

قال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » (٤/٤٢-٤٥) :

« وقد جمع النبي ﷺ للأمة في نهيه عن الدخول إلى الأرض التي هو بها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه لكامل التحرز منه ؛ فإن في الدخول في الأرض التي هو بها تعرضاً للبلاء ، وموافاة له في محل سلطانه ، وإعانة للإنسان على نفسه ، وهذا مخالف للشرع والعقل ؛ بل تجنب الدخول إلى أرضه من باب الحماية التي أرشد الله سبحانه إليها ، وهي حمية من الأمكنة والأهوية المؤذية .

وأما نهيه عن الخروج من بلده ففيه قولان :

أحدهما : حمل النفوس على الثقة بالله ، والتوكل عليه ، والصبر على أقضيته والرضا بها .

والثاني : ما قاله أئمة الطب : « أنه يجب على كل محترز من الوباء أن يخرج عن بدنه الرطوبات الفضيلة ، ويقلل الغذاء ، ويميل إلى التدبير المخفف من كل وجه إلا الرياضة والحمام ؛ فإنهما مما يجب أن يحذرا ؛ لأن البدن لا يخلو غالباً من فضل رديء كامن فيه ؛ فتثيره الرياضة والحمام ، ويخالطانه بالكيروس<sup>(١)</sup> الجيد ، وذلك يجلب علة عظيمة ، بل يجب عند وقوع الطاعون السكون والدعة<sup>(٢)</sup> ، وتسكين هيجان الأخلاط ، ولا يمكن الخروج من أرض الوباء والسفر منها إلا بجرعة شديدة ، وهي مضرة جداً ، هذا كلام أفضل الأطباء المتأخرين ، فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي وما فيه من علاج

---

(١) الحالة التي يكون عليها الطعام بعد هضمه في المعدة قبل أن يجري في العروق . والكلمة يونانية قديمة تستعمل كثيراً في كتب الطب القديم .

(٢) وهذا نراه عند الحيوان كثيراً حينما يُصاب بالمرض ، يعتزل الطعام ويخلد للراحة والدعة تاركاً للطبيعة مقاومة المرض فقد خلق الله سبحانه وتعالى في الطبيعة مقاومة ذاتية للمرض ، بخلاف الإنسان الذي لا يعرف ما يصلح له عند مرضه .

القلب والبدن وصلاهما . .

قلت : مع ما فيه من منع نشر العدوى إلى شعوب وبلدان أخرى  
والمطلوب شرعاً وعقلاً منع الشر ومحاصرته وتقليله ما استطاع العبد إلى ذلك  
سبيلاً .

وقد ذكر العلماء بعض الحكم في المنع من الدخول إلى الأرض التي وقع  
بها الطاعون ، منها :

١ - تجنب الأسباب المؤذية ، والبعد عنها .

٢ - ومنها : الأخذ بالعافية التي هي مادة المعاش والمعاد .

٣ - ومنها : ألا يستنشقوا الهواء الذي عفن وفسد فيمرضون .

٤ - ومنها : ألا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك ، فيحصل

لهم بمجاورتهم من جنس أمراضهم .

٥ - ومنها : حمية النفوس عن الطيرة والعدوى ، فإنها تتأثر بهما ، فإن

الطيرة على من تطير بها .

وبالجملة ففي النهي عن الدخول في أرضه الأمر بالحذر والحمية ،

والنهي عن التعرض لأسباب التلف ، وفي النهي عن الفرار منه الأمر بالتوكل

والتسليم ، والتفويض ، فالأول : تأديب وتعليم ، والثاني : تفويض وتسليم .

وهذا الحديث من عشرات الأحاديث التي أوصى النبي ﷺ أمته حفظاً

لصحتهم ، وسلامة دينهم ، وهي من الطب النبوي الوقائي ، ولي مصنف

مفرد في ذلك . نسأل الله التمام والقبول .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد طيب القلوب والأرواح ، وعلى آله

وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

## وصايا طبية نبوية نافعة

( ٢ )

• حفظ الصحة بالعسل :

قال تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، وفي « الصحيحين » من حديث أبي المتوكل ، عن أبي سعيد الخدري ، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : إن أخي يشتكي بطنه [ وفي رواية : استطلق بطنه ] ، فقال : « اسقه عسلاً » ، فذهب ثم رجع ، فقال : قد سقيته فلم يغن عنه شيئاً ، [ وفي لفظ : فلم يزدّه إلا استطلاقاً - مرتين أو أكثر - ] كل ذلك يقول له : « اسقه عسلاً » ، فقال له في الثالثة أو الرابعة : « صدق الله ، وكذب بطن أخيك » <sup>(١)</sup> .

ففي الحديث علاج نبوي ناجع لمن أصابه استطلاق في بطنه ، عن تحمة أصابته عن امتلاء ؛ « فأمره بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء ، فإن العسل فيه جلاء ، ودفع للفضول ، وكان قد أصاب المعدة اختلاط لزوجة ، تمنع استقرار الغذاء فيها للزوجتها ، فإن المعدة لها خمل كخمل القطيفة ، فإذا علق بها الأخلاط اللزجة ، أفسدتها ، وأفسدت الغذاء ، فدواؤها بما يجلوها من تلك الأخلاط ، والعسل جلاءً ، والعسل من أحسن ما عولج به هذا الداء لا سيما إن مزج بالماء الحار » <sup>(٢)</sup> .

وقال ابن القيم - يرحمه الله - : « وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي

(١) أخرجه البخاري (١٠/١١٩) في الطب : باب الدواء والعسل ، ومسلم (٢٢١٧) .

(٢) « زاد المعاد » (٤/٣٥) .

بديع ، وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار ، وكمية بحسب حال الداء ، إن قصر عنه ، لم يُزله بالكلية ، وإن جاوزه ، أوهى القوى ، فأحدث ضرراً آخر ، فلما أمره أن يسقيه العسل ، سقاه مقداراً لا يفي بمقاومة الداء ، ولا يبلغ الغرض ، فلما أخبره ، علم أن الذي سقاه لا يبلغ مقدار الحاجة ، فلما تكرر ترداده إلى النبي ﷺ أكد عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للداء ، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء ، برأ - بإذن الله - واعتبار مقادير الأدوية ، وكيفياتها ، ومقدار قوة المرض والمريض من أكبر قواعد الطب .

وفي قوله ﷺ : « صدق الله وكذب بطن أخيك » ، إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء ، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه ؛ ولكن لكذب البطن ، وكثرة المادة الفاسدة فيه ، فأمره بتكرار الدواء لكثرة المادة» (١) .

#### • منافع العسل في الطب القديم :

قال ابن سينا : العسل طل خفي يقع على الزهور وعلى غيره ، فيلقطه النحل وهو بخار يصعد ، فينضج في الجو ، فيستحيل ويغلظ في الليل ، فيقع عسلاً ، وقد يقع العسل كما هو بجبال قصران ، ويختلف بحسب ما يقع عليه الشجر والحجر ، وأكثر الظاهر من يلقطه الناس ، والخفي يلقطه النحل ، وأظن أن لتصرف النحل فيه تأثيراً (٢) ، وإنما يلقطه النحل ليغتذي وليدخره .

#### • ومن العسل جنس حريّف سُمّي ...

وأجود العسل : الصادق الحلاوة ، الطيب الرائحة ، المائل إلى الحرافة ،

(١) « زاد المعاد » (٤ / ٣٥) .

(٢) يلتقط النحل رحيق الأزهار ، وطلع الزهور ، ويجولها في بطنه - بإذن الله تعالى - إلى عسل مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، كما قال ربنا - جل جلاله - .

وإلى الحمرة ، المتين الذي ليس برقيق ، اللزج الذي لا ينقطع ، وأجوده الربيعي ، ثم الصيفي ، والشتائي رديء - فيما يقال - .

وعسل النحل حار يابس في الثانية ، وعسل الطبرزد [ السكر نبات ] والقصب الحار في الأولى ليس يابس ، ويجوز أن يكون رطباً في الأولى .

الأفعال والخواص : قوته جالية مفتحة لأفواه العروق ، محللة للرطوبات ، تجذب الرطوبات من قعر البدن ، وتمنع العفن به والفساد من اللحوم .

والتلخخ به يمنع القمل والصبيان ويقتلها ، ومع القسط لطوخ للكلف خاصة المزمّن ، وبالملاح لآثار الضربة الباذنجانية <sup>(١)</sup> .

والعسل : ينقي القروح الوسخة الغائرة ، والمطبوخ منه حتى يغلظ يلزق الجراحات الطرية ويخفيها ، ويقوي السمع ، وشم الحريف السمي منه يذهب العقل ، فكيف أكله !؟

والعسل : يجلو ظلمة البصر ، والتحكك به ، والتغرغر يبرئ الخوانيق وينفع اللوزتين ، وإن شرب العسل سخناً بدهن ورد نفع من نهش الهوام ، ومن شرب الأفيون ، ولعقه علاج عضه الكلب الكلب ، والفطر القتال والمطبوخ منه نافع للسموم <sup>(٢)</sup> .

وقال الإمام ابن قيم الجوزية :

« والعسل فيه منافع عظيمة ، فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها ، محلل للرطوبات أكلاً وطلاءً ، نافع للمشايع وأصحاب البلغم ومن كان مزاجه بارداً رطباً ، وهو مغذ ملين للطبيعة ، حافظ لقوى

(١) التي لونها يشبه لون الباذنجان .

(٢) « القانون » (١/٧٧٤-٧٧٦) .

المعاجين ولما استودع فيه ، مذهب لكيفيات الأدوية الكريهة ، منق للكبد والصدر ، مدر للبول ، موافق للسعال الكائن عن البلغم ، وإذا شرب حاراً بدهن الورد نفع من نهش الهوام وشرب الأفيون ، وإن شرب وحده ممزوجاً بماء نفع من عضمة الكلب وأكل الفطر القتال ، وإذا جعل فيه اللحم الطري حفظ طراوته ثلاثة أشهر ، وكذلك إن جعل فيه القثاء والخيار والقرع والبادنجان ، ويحفظ كثيراً من الفاكهة ستة أشهر ، ويحفظ جثث الموتى ، ويُسمى الحافظ الأمين ، وإذا لطخ به البدن المقمل والشعر قتل قمله وصئبانه وطول الشعر وحسنه ونعمه ، وإن اكتحل به جلا ظلمة البصر وإن استن به بيض الأسنان وصلقلها وحفظ صحتها وصحة اللثة ، ويفتح أفواه العروق ، ويدر الطمث ، ولعقه على الريق يذهب البلغم ويغسل خمل المعدة ويدفع في الفضلات عنها ، ويسخنها تسخيناً معتدلاً ، ويفتح سددها ، ويفعل ذلك في الكبد والكلية والمثانة ، وهو أقل ضرراً لسدد الكبد والطحال من كل حلو ، وهو مع هذا كله مأمون الغائلة قليل المضار ، مضر بالعرض للصفراويين ودفعها بالخل ونحوه ، فيعود حينئذ نافعاً له جداً ، وهو غذاء مع الأغذية ودواء مع الأدوية ، وشراب مع الأشربة ، وحلو مع الحلوى ، وطلاء مع الأطلية ، ومفرح مع المفرحات ، فما خلق لنا شيء في معناه أفضل منه ، ولا مثله ولا قريباً منه ، ولم يكن معول القدماء إلا عليه لا ذكر فيها للسكر ألبتة ولا يعرفونه فإنه حديث العهد حدث قريباً ، وكان النبي ﷺ يشربه بالماء على الريق وفي ذلك سر بديع في حفظ الصحة لا يدركه إلا الفطن الفاضل»<sup>(١)</sup>.

(١) « زاد المعاد » (٤/٣٣-٣٤) .

## • العسل في الطب الحديث :

لقد حظي العسل في الطب الحديث كما حظي من قبل في الطب القديم ، واستفاد الإنسان من التقدم العلمي والتكنولوجي في تحليل العسل ، ومعرفة مزاياه العلاجية ، وقيمه الغذائية والعلاجية ، وإليك أخي القارئ ما قيل فيه :

قال أحمد قدامة : « وفي الطب الحديث تبين من تحليل العسل أنه يحوي عناصر ثمينة كثيرة ، أهمها : السكاكر التي اكتشف منها حتى الآن نحو ١٥ نوعاً - فقط - ، والبروتين والمعادن (الحديد ، النحاس ، الكبريت ، البوتاسيوم ، والمنغنيز ، الفوسفور ، الكلور ، الصوديوم ، الكالسيوم ، السيلكا ، السيليكون ، المغنيسيوم) ، وفيتامينات (ب١ ، ب٢ ، ب٦ ، ج) ، والخمائر والنيروجين ، والحوامض ، والزيوت الأثرية ، والمواد القطرانية .

وفيما يلي نزر قليل من أقوال كبار الأطباء في العالم - اليوم - عن فوائد العسل : قال الطبيب الشهير الدكتور جارفيس في كتابه : « طب الشعوب » : « إن التجربة المحققة قد أثبتت أن البكتيريا لا تعيش في العسل ؛ لاحتوائه على مادة البوتاس ، وهي تحرم البكتيريا الرطوبة التي هي مادة حياتها . ويقول : لقد وضع الدكتور (ساكيت) أستاذ البكتيريا في كلية الزراعة في (فورت كولتز) أنواعاً من جراثيم الأمراض في قوارير مملوءة بالعسل الصرف ، فماتت جراثيم التفوئيد بعد ثمان وأربعين ساعة ، وماتت جراثيم النزلات الصدرية في اليوم الرابع ، وجراثيم الزنتارية بعد عشر ساعات ، وجراثيم أخرى بعد خمس ساعات » .

وأثبتت تجارب أجريت في (معهد باستور) بفرنسا : أن العسل معقم ومضاد للفساد ، وأن أي جرثوم لا يستطيع أن يعيش فيه طويلاً ؛ لأن درجة

تركيزه تجذب الماء من أجسام الجراثيم فتبددها .

وتبين من أبحاث جرثومية أجراها أطباء وعلماء كبار في روسيا أنه لا يفسد ولا يتعفن إذا كان في وعاء مفتوح ؛ لأن فيه مادة لا تمكن الجراثيم ، أو الفطور التي يأتي بها الهواء أن تنمو في العسل ، وأن العصيات التيفية لا تعيش فيه أكثر من ٤٨ ساعة ، والزحارية تموت خلال ١٠ ساعات ، وعصيات السل يوقف تكاثرها (١) .

وذكروا من فوائده الشيء الكثير فمما قالوا :

وصف العسل - نتيجة أبحاث طويلة ودقيقة - بأنه ذو تأثير مدهش في بناء جسم الطفل إذا خلط بلبن المرضعة أو غيره ، فهو يقوي الرضيع ، ويساعده على النمو ، ويظهر جسمه ، ويسهل وظائف أعضائه ، وثبتت فائدة العسل في معالجة الجروح المتقيحة ، والتقرحات الجلدية ، والتهاب الغدد العرقية ، والعظم ، والنقي والحروق ، وعروق الإبط ، وذلك بدهنها بالعسل ، وعولجت الدمامل ، والحميرة الخبيثة بدهنها بالعسل عدة مرات في اليوم بعد تشطيب المكان المصاب ليدخل العسل إلى مكان الداء .

ويوصف العسل اليوم كأحسن علاج لحفظ حيوية الجلد ، ونضارة الوجه ، وقوة الشعر وجماله ولمعانه .

ويفيد العسل - خاصة - المفكرين ، والشيوخ الضعفاء ، والأطفال الرضع ، وفي مرض البلاغرا المتصف بخشونة الجلد ، أو الاضطرابات الهضمية والعصبية ، وهو يثبت الكلس في العظام ، ويحمي من الكساح ،

(١) « قاموس الغذاء » (ص ٤٠٧-٤٠٨) .

ونخر الأسنان ، وتقوس الساقين ، وينظم حركة التنفس ، ويفيد المصابين بأمراض الصدر ، ويلين ويلطف صعوبة البلع والسعال وجفاف الفم ، ويقي من فقر الدم ، وهو ينفع الكبد ، والكليتين ، والالتهابات في المعدة ، والسل الرئوي ، وضيق النفس ، والنزلات الصدرية ، ويفيد في الأمراض التي تصيب الكليتين مصحوبة بالصدید ؛ كما يفيد في حالات سوء الهضم والقرحة في المعدة .

والعسل منوم ، وقد تحدث الطبيب (جارس) عن مزايا المادة السكرية في العسل فقال : « إنها لا تهيج قناة الهضم ، وهي سريعة التمثيل ، وتتحول سريعاً إلى طاقة بدنية ، وهي مناسبة للمشتغلين بالألعاب الرياضية ، وهي من بين أنواع السكريات أوفقها للكليتين ، وهي مهدئة ملطفة ، ومساعدة على الهضم ، وتكلم الأطباء عن (الشهد الملوكي) غذاء الملكات ، وعزوا إليه السر العجيب الذي يجعل الملكة تعيش ستة أعوام بينما النحل العادي لا يعيش أكثر من بضعة شهور » .

... وقد أعلن الأطباء عام ١٩٥٩م أن الشهد الملوكي يجب أن يعتبر غذاءً ممتازاً مجدداً للحوية ، ولا شيء غير ذلك .

وهكذا يعالج اليوم الغذاء « العجيب » الضعف ، والشيخوخة ، وتصلب الشرايين ، والشعور بالتعب ، والضعف ، وفقر الدم<sup>(١)</sup> ، وأمراض أخرى كثيرة مذكورة في كتب الطب القديم والحديث .

قلت : فالنحلة هذه المخلوقة العجيبة التي سُمِّيَ باسمها سورة من

(١) « قاموس الغذاء » (ص ٤٠٨-٤١١) .

القرآن ، وأخبرنا عن عالمها ، ومنهجها في الحياة ، ونهى النبي ﷺ عن قتلها ،  
وشبهها بالمؤمن ، فهي تأخذ خيراً وتضع خيراً ، وجعل الله في كل ما يخرج  
من بطنها شفاء : عسلها ، شمعها ، غذاؤها الملكي ، عكبرها ، خبزها وهو  
« حبوب اللقاح » ، وحتى إبرها فيها شفاء من الروماتزم ، وغيره من  
الأمراض ، فاستعمال العسل مفيد للوقاية من الأمراض قبل حصولها ، بحفظ  
الصحة الموجودة ، ودفع العلة المفقودة قبل هجومها ، ونعم الله علينا لا تعد  
ولا تحصى . فهل نحن من الشاكرين !؟

## وصايا طبية نبوية نافعة

( ٣ )

### دفع مضار السموم بأضدادها

وكان من هديه ﷺ إصلاح الطعام الذي يقع فيه الذباب إصلاحاً له ودفعاً للمضرة عنه للاستفادة منه ما أمكن ما لم تَعَفُّهُ نفسُ الأكل ، ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فامقلوه ؛ فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء » .

وفي « سنن ابن ماجه » بسند صحيح من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « أحد جناحي الذباب سم والآخر شفاء ، فإذا وقع في الطعام فامقلوه ، فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء » .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « هذا الحديث فيه أمران : أمر فقهي ، وأمر طبي ، فأما الفقهي : فهو دليل ظاهر الدلالة جداً على أن الذباب إذا مات في ماء أو مائع فإنه لا ينجسه ، وهذا قول جمهور العلماء ، ولا يُعرف في السلف مخالف في ذلك .

ووجه الاستدلال به أن النبي ﷺ أمر بمقله ، وهو غمسُه في الطعام ، ومعلوم أنه يموت من ذلك ، ولا سيما إذا كان الطعام حاراً ، فلو كان يُنجسه لكان أمراً بإفساد الطعام ، وهو ﷺ إنما أمر بإصلاحه ، ثم عُدِّيَ هذا الحكم<sup>(١)</sup> إلى كل ما لا نفس له سائلة ؛ كالنحلة والزُّنبور والعنكبوت ، وأشباه

(١) أي : تنجس الطعام بالغمس لا الغمس ذاته ، فهو خاص بالذباب المعروف .

ذلك ، إذ الحكم يُعمُّ بعموم علته ، ويتنفي لانتفاء سببه ، فلما كان سبب التنجيس هو الدم المحتقن في الحيوان بموته ، وكان ذلك مفقوداً فيما لا دم له سائل انتفى الحكم بالتنجيس لانتفاء علته .

ثم قال : من لم يحكم بنجاسة عظم الميتة : إذا كان هذا ثابتاً في الحيوان الكامل مع ما فيه من الرطوبات ، والفضلات ، وعدم الصلابة ، فثبوتها في العظم الذي هو أبعدُ عن الرطوبات ، والفضلات ، واحتقان الدم أولى ، وهذا في غاية القوة فالمصير إليه أولى .

وأول من حُفظ عنه في الإسلام أنه تكلم بهذه اللفظة ، فقال : ما لا نفس له سائلة ؛ إبراهيم النخعي وعنه تلقاها الفقهاء .

والنفس في اللغة : يُعَبَّرُ بها عن الدَّم، ومنه نُفِست المرأة - بفتح النون - إذا حاضت ، ونُفِست - بضمها - إذا ولدت <sup>(١)</sup> .

ثم قال - يرحمه الله - :

« وأما المعنى الطبي ، فقال أبو عبيد : معنى امقلوه : اغمسوه ليخرج الشفاء منه ، كما خرج الداء ، يقال للرجلين : هما يتماقلان ، إذا تغطا في الماء .

واعلم أن في الذباب قوة سُمِّية يدل عليها الورم ، والحِكَّة العارضة عن لسعة، وهي بمنزلة السِّلَاح ، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه، فأمر النبي ﷺ أن يُقابل تلك السُمِّية بما أودعه الله - سبحانه - في جناحه الآخر من الشفاء، فيُغمس كُله في الماء والطعام ، فيقابل المادة السُمِّية المادة النافعة ، فيزول

(١) « زاد المعاد » (٤/١١١-١١٢) .

ضررها ، وهذا طب لا يهتدي إليه كبار الأطباء وأئمتهم ، بل هو خارج من مشكاة النبوة ، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ويُقرُّ لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق، وأنه مؤيد بوحى إلهي خارج عن القوى البشرية» (١) .

قلت : ومع ذلك نرى أمثال الغزالي المعاصر ينكر هذا الحديث ويطعن فيه ويرده بعقله وحدسه وأوهامه تبعاً لسلفه أبي رية الضال المضل ، وأمثالهما ، ولولا الإطالة لأثبتُ كلامه المتهافت - هنا - .

« وقد ذكر غير واحد من الأطباء أن لسع الزنبور (٢) والعقرب إذا دُلكَ موضعه بالذباب نفع منه نفعاً بيناً ، وسكنه ، وما ذاك إلا للمادة التي فيه من الشفاء ، وإذا دُلكَ به الورم الذي يخرج في شعر العين المسمى (شعرة) بعد قطع رءوس الذباب أبرأه» (٣) .

قلت : فسبحان من أوحى إلى نبيه هذا العلم وهذا الطب الذي عجز عنه أطباء العالم وحقاقهم ؛ بل لا زالوا ينكرون ويسخرون من أحاديثه ؛ ولكن مهما طال الزمان أو قصر فسيذكرون هذه الحقائق الطبية النبوية ؛ لتقوم عليهم حجة الله ، ويُعلم صدق رسول الله ﷺ ، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

ومنه نعلم - أيضاً - أن الله لم يخلق الذباب عبثاً في كتابه ، وإنما ليقيم الحجة بهذه المخلوقات الضعيفة على خلقه أجمعين ، فهو مع ضعفه وصغره

(١) المصدر السابق (٤/١١٢) .

(٢) دبور أصفر لسعته أشد من لسعة النحلة ، مؤذية جداً .

(٣) « زاد المعاد » (٤/١١٢-١١٣) .

جمع الله فيه الداء والدواء ، والسم الزعاف القتال ، والترياق الشافي - بإذن الله - .

قال الله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [ الحج : ٧٣ ] .

وقد حقق الطيبان المصريان محمود كمال ومحمد عبد المنعم حسين في هذا الحديث ، فقالا : « في سنة ١٨٧١م وجد الأستاذ الألماني (بريفلد) من جامعة هال بألمانيا أن الذبابة المنزلية مصابة بطفيلي من جنس الفطريات التي تسمى (امبوزاموسك) ، وهو طفيلي يعيش الذبابة على الدوام ، وبالتدقيق فيه وجده نوعاً من الفطريات التي تُسمى (انتوموقترالي) تنتمي إلى الفطريات الأشنية المتحدة ، وهذا الطفيلي يقضي حياته في الطبقة الدهنية الموجودة داخل بطن الذبابة ، يشكل خلايا مستديرة فيها خميرة خاصة ، لا تلبث هذه الخلايا بعد نضجها أن تخرج من بين حلقات بطن الذبابة ، وتتكاثر البذور داخل الخلية ، ويزداد ضغطها فتنفجر وتخرج البذور باندفاع شديد يصل إلى بعد (٢سم) عن الخلية مصحوبة بالسائل الخلوي ؛ لذلك إذا فحصنا ذبابة حية بالمكبرة نشاهد بذور الفطر حول الذبابة ، والخلايا المنفجرة التي خرجت منها البذور على الثلث الأخير من بطن الذبابة وظهرها ، وقد أيد العلماء المُحدِّثون ما اكتشفه (بريفلد) ، وبينوا خصائص هذا الفطر الذي يعيش على بطن الذبابة ، ففي سنة (١٩٤٥م) أعلن أستاذ الفطريات (لانجرون) أن الخلايا التي يعيش فيها هذا الفطر فيها خميرة (إنزيم) قوية تذيب أجزاء

الحشرة الحاملة للمرض ، وفي سنة (١٩٤٧) عزل (موفيتش) صادات (مضادات حيوية) من مزرعة الفطريات التي تعيش على جسم الذبابة ، ووجدتها ذات مفعول قوي على جراثيم غرام سليبي كجراثيم الزحار والتيفويد وغيرها ، ووجد أن (اغم) منها يحفظ أكثر من ألف (لتر) من اللبن من التلوث بالجراثيم المذكورة ، وفي نفس السنة تمكن العالمان الإنجليزيان (ارنشتين وكوك) والعالم السويسري (رولبوس) من عزل مادة (جافاسين) من الفطور التي تعيش على الذباب ، وتبين لهم أن هذه المادة مضادة حيوية تقتل جراثيم مختلفة من غرام سليبي وغرام إيجابي .

وفي سنة (١٩٤٨م) تمكن (بريان وكورتيس) و (همينغ وحيقيرس) من بريطانيا من عزل مادة مضادة حيوية أخرى سموها : (كلوتيزين) من الفطريات نفسها التي تعيش في الذباب ، وهي تؤثر في جراثيم غرام سليبي كالتيفويد والزحار ، وفي سنة (١٩٤٩م) تمكن العالمان الإنجليزيان (كومس وفارمر) والسويسريون (جرمان وروت ، وإثلنجر ، وبلانتر) من عزل مادة (مضادة حيوية) أخرى من فطر ينتمي إلى فصيلة الفطريات التي تعيش في الذباب سموها (أنياتين) ، ولها أثر شديد في جراثيم غرام سليبي ، وغرام إيجابي ؛ كالتيفويد والكوليرا والزحار وغيرها .

فهذه الأبحاث كلها أجراها علماء كفار ، وأخذناها نحن عنهم ، ورددناها كالببغاوات ، أين أبحاثنا نحن ؟ أين الجامعات الإسلامية ؟! أين مراكز بحوثها ؟! أين علماء المسلمين ؟!

إن علماء الكفار لم يجروا أبحاثهم تلك على ضوء الحديث النبوي الشريف ، وربما لم يطلعوا عليه ولم يعرفوه ، وإنما أجروا أبحاثهم لمجرد البحث

العلمي ، وكشف المجهول؛ كما يجرون على كل شيء تقريباً ؛ على الحيوانات ،  
والفراشات ، والأزهار ، وعلى التراب ، والأحجار ، والصخور ، لذلك  
أغفلوا نقطة هامة في البحث هي المقل : أي : الغمس ، فلم يحللوا الذبابة  
وما حولها قبل المقل وبعده ؛ ليعرفوا هل يخرج شيء جديد منها بعد المقل ؟  
فالحديث الشريف يقول : إن الذبابة تكون قبل المقل داء وتصبح بعده شفاء ؛  
إذن : فثمة شيء يخرج منها بمقلها ، فما هذا الشيء !؟

هل ما اكتشفوه في الذبابة من الفطريات التي تنتج الصادات (المضادات  
الحيوية) ؟ أم هناك شيئاً آخر - أيضاً - تفرزه الذبابة عند مقلها ؟! ففي  
بعض روايات الحديث أن في أحد جناحيها سمّاً ، وفي الآخر شفاء ، والسم  
يحتاج إلى ترياق ليعدله ويمنع أذاه ، لذلك لا بد من إعادة البحث والتحليل  
على ضوء الحديث الشريف ، كأن نلقي الذبابة في الماء المقطر المعقم ثم يحلل  
ليعرف ما يحل فيه من الجراثيم ، أو السموم ثم تمقل الذبابة فيه ، ويحلل مرة  
أخرى ؛ ليعرف ما حدث فيه بعد مقلها ، أو تلقى الذبابة في مستنبت  
للجراثيم ، ويحلل بعد مدة كافية ليعرف ما حل فيه من الجراثيم وما نوعها ،  
ثم تمقل الذبابة فيه ويترك مدة كافية ليعرف ما حل فيه من الجراثيم ، وما  
نوعها ، ثم تمقل الذبابة فيه ويترك مدة كافية أخرى ثم يحلل ليعرف : هل  
هلكت الجراثيم التي حلت فيه قبل مقلها ؟ وما نوع الصادة التي قضت  
عليها ؟

إن علماء المسلمين القدماء لم يقصروا ؛ فقد بحثوا وجربوا على قدر  
الإمكانات التي كانت متاحة لهم فوجدوا أن ذلك مكان لسعة العقرب  
والزنبور بالذباب يسكن ألبها ، وأن ذلك مكان التهاب شعرة العين بالذباب

يبرئها ، ولعل ذلك سبب الصادة (المضادة الحيوية) الموجودة في الذبابة ، وعلى مراكز بحثنا الآن أن تكمل المشوار» (١) .

إذن « فالله - سبحانه وتعالى - لم يخلق شيئاً عبثاً<sup>(٢)</sup> في هذه الدنيا ، كل شيء خلقه فيه حكمة عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها ، وما جهل اليوم قد يعرف غداً ، وكل الحيوانات التي خلقها - سبحانه وتعالى - جعل فيها أسلحة تدافع بها عن نفسها لتضمن بقاءها ، منها بأنيابها وقوتها ؛ كالحيوانات المفترسة ، ومنها بمخالبها ؛ كالطيور الجارحة ، ومنها بنحفتها وسرعتها ولون جلدها كالحيوانات النباتية ، ومنها بقرونها ، ومنها بجوافرها ، ومنها : بإطلاق رائحة كريهة كالظربان ، ومنها باللسع ومنها باللدغ... إلخ . والذباب شيء من هذه الأشياء يدافع عن نفسه باللسع والسمة التي في أحد جناحيه ، وبتكاثره الهائل ، حيث تضع الذبابة الواحدة خلال فترة حياتها - وهي ثلاثة أسابيع - (٩٠٠ بيضة) . والله في خلقه شئون» (٣) .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) « الحقائق الطبية في الإسلام» (ص١٢٣-١٢٤) لعبد الرزاق الكيلاني . بشيء من التصرف .

(٢) وقد ذكر الأطباء منافع واستطبابات للذباب ، يُرجع إليها في كتب الطب القديمة خصوصاً .

(٣) المصدر السابق (ص١٢٥) بتصريف .

# الباب السابع

## برٌّ ووفاءٌ



## نكبة العصر .. بموت إمام العصر

نكبت الأمة الإسلامية بعامة ، والمدرسة السلفية بخاصة ؛ بموت إمام العصر ، ومحدث الدهر العلامة محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله تعالى - الذي انتقل إلى جوار ربه عصر يوم السبت ، الثاني والعشرين من جمادى الآخرة لعام ١٤٢٠هـ ، الموافق للثاني من تشرين أول عام تسع وتسعين وتسعمائة وألف ميلادية ؛ بعد أكثر من ستين عاماً في الذب عن السنة وأهلها ، ومحاربة البدعة وأربابها ، وتوضيح المنهج الحق - منهج الكتاب والسنة ، وسبيل سلف الأمة - .

وقد أقعده المرض - رحمه الله - قبل نحو عامين عن كثيرٍ من مشاريعه العلمية النافعة ، وعلى رأسها مشروعة الضخم « تقريب السنة بين يدي الأمة » الذي أخذ فيه على عاتقه تصفية ما علق بالسنة مما هو ليس منها من موضوع وضعيف ومنكر وإسرائيليات ، فكتب - يرحمه الله - وألف وحقق وخرّج ، حتى أحدث في الأمة الإسلامية صحوةً علميةً شاملةً ، فانكب طلاب العلم على كتبه وتحقيقاته ورسائله وفتاويه ينهلون منها علماً ثراً غزيراً صافياً لا كدر فيه ، وقد تتلمذ وتربى على كتبه عشرات الآلاف ، بل مئات الآلاف من طلاب العلم في العالم الإسلامي على اختلاف بلدانهم وأقطارهم ، عرف الشيخ القليل ممن لازموه وصحبوه طيلة عدة عقود من حياته المباركة - رحمه الله - في بلاد الشام والمدينة النبوية وغيرها .

لقد تشرفت بصحبة شيخنا إمام العصر الألباني من أوائل السبعينات وإلى أن لقي ربه ، وكانت علاقتي به - والله الحمد والمنة - علاقة الابن البار

بأبيه ، وعلاقة التلميذ الوفي لشيخه .. وقد كان - يرحمه الله - يعرف بفراسته  
وشدة ملاحظته من يجبه بصدقٍ ممن يدعي ذلك ، وإنما لاذ به لمصلحة عاجلةٍ  
أو آجلةٍ ، حتى تحين الفرصة لغمزه ولمزه والتعالم عليه ، بل وأكل ونهب تراثه  
العلمي من مخطوط ومطبوع ومسموع ، وقد أثبتت الأيام ذلك ، فعرف من  
بكى ممن تباكى .

لقد كان وقع وفاة شيخنا علينا شديداً حتى لا يدري أحدنا ما يفعل ،  
ولقد أنساني هول الصدمة أن أتصل ببعض أحيائي وإخواني في داخل البلاد  
وخارجها ؛ أخبرهم بالفاجعة وأنعى لهم وفاة شيخنا - يرحمه الله - مع أنني  
من أوائل من علم بالفاجعة .

لقد كانت جنازته يرحمه الله مشهودةً ؛ حضرها الغرباء من أنصار  
الكتاب والسنة السائرين على نهج سلف الأمة ، سارت وفق السنة - كما  
أوصى يرحمه الله - ، حضرها الآلاف من طلبة العلم من تلامذة الشيخ  
ومحبيه ، وأنصار منهجه ، ودفن في مقبرة متواضعة على قارعة الطريق كما  
تمنى ؛ فقد مر يوماً - كما أخبرني به الشيخ محمد شقرة - سدده الله - على  
مقبرة هملان مع الأخ محمد الخطيب ؛ فقال له : « أتمنى أن أدفن في هذه  
المقبرة » وهي أقرب مقبرة من بيته ، وقد حقق الله أمنيته ؛ فدفن فيها  
- رحمه الله تعالى - .

لقد أوصى يرحمه الله أن تحمل جنازته على الأعناق - كما هي السنة -  
وقد تسابق شباب هذه الدعوة وشيوخها على حمل جنازته على أكتافهم مشياً  
على أقدامهم مسرعين - مع بعد المقبرة عن بيته مشياً ، ولكنها كرامة الشيخ  
وتنفيذ وصيته - .

لقد ترك شيخنا الألباني - يرحمه الله - ميراثاً عظيماً من الكتب النافعة والتحقيقات المفيدة .. ترك مكتبةً يعز نظيرها ، وترك تلاميذ وأصحاباً يأخذون بالمنهج الحق ، منهج الكتاب والسنة وسبيل سلف الأمة يظنون على العهد لا تأخذهم في الله لومة لائم ، كما رباهم الألباني في مدرسته : مدرسة الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح .

كان أول معرفتي بالشيخ في بداية السبعينات من خلال كتبه « صفة صلاة النبي ﷺ » ، « تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد » ، و« السلسلة الصحيحة » و« الضعيفة » وغيرها ؛ فأعجبني منهج الشيخ وأحبهته في الله قبل أن أراه ، حتى وجدته أسافر إلى دمشق الشام في أواسط السبعينات لألتقي بالشيخ وأراه عن قرب ؛ لأكحل عيني برؤية إمام من أئمة أهل السنة في هذا العصر ، وقبل ذلك زارني أحد أهل البدع من التكفيريين وألقى علي بعض الشبه ، وذلك قبيل التحاقي بالجامعة الإسلامية بنحو عام فقلت : وجبت - أي : زيارة الشيخ ؛ لأسمع منه جواباً شافياً لشبه تلك الطائفة الباغية - ، فسافرت إلى شيخنا الألباني دون تردد أو تأخير ، وكان أن وصلت إلى الشيخ ، ورأيت بين كتبه ومصنفاته في المكتبة الظاهرية ، وقد جعلوا له مكاناً خاصاً فيها ، رأيت فامتلاً قلبي سعادة وبشراً وفرحاً ؛ وكأني وقعت على كنز عظيم ، وكان كذلك - والله الحمد - ، فقد لازمته أياماً - رحمه الله - رأيت رجلاً وجهه كالبدر نوراً وإشراقاً مع هيبة ووقار يصدق عليه قول نبينا ﷺ : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ؛ فبلغها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع » . حديث متواتر .

جلست مع الشيخ في المكتبة الظاهرية نحواً من ساعة ، ثم صحبته إلى بيته

بسيارته، وألقيت عليه أسئلة شتى ؛ فأجابني - يرحمه الله - إجابات شافية  
تروى الغليل وتشفي العليل ، ثم ودعت الشيخ على أن ألتقي به بعد شهر  
من تاريخه في الأردن ، وذلك أنه كان للشيخ جولات دعوية إلى الأردن ،  
وكانت له رَحِمٌ - أيضاً - يصلها ويزورها ، وكان الشيخ يزور عمان بين  
الحين والآخر ، وتارةً يصحبه الشيخ محمد عيد عباسي - حفظه الله - ،  
وذلك قبل سجنه بسبب الأحداث المؤلمة في سوريا .

كان تلاميذ الشيخ في تلك الأيام قلة ، وبفضل الله ثم بفضل زيارات  
الشيخ ورحلاته الدعوية ازدادوا - والله الحمد - كثيراً ؛ فلما هاجر الشيخ  
من دمشق الشام إلى الأردن ظهرت ثمرة دعوته ؛ فأصبح تلاميذ وأصحاب  
الشيخ ومن يجلسون إليه ويستمعون دروسه المسجلة يملئون السهل والوادي ،  
والحمد لله على توفيقه .

وقد وجد شيخنا أثناء إقامته في عمان بيننا راحة وطمأنينة حتى أنه  
تزوج امرأة فاضلة وهي : أم الفضل - حفظها الله - من مواليد مدينة أربنا  
إبراهيم الخليل - عليه السلام - .

ومما يمتاز به الشيخ - رحمه الله - :

**أولاً : شدة تمسكه بالسنة ، وعنايته بها :**

وهذا يعرفه كل من صاحب الشيخ أو زاره أو التقى به ولو لوقت  
يسير ؛ فإنه - رحمه الله - شديد الحرص على السنة وعلى الدعوة إليها ، ولا  
تراه أبداً يتساهل في السنة شأن بعض المتسبين إلى العلم والفقهِ ؛ فإنك إذا  
نظرت إليه رأيت السنة قد ترجمت في حياته تطبيقاً وعملاً والتزاماً ، وكيف لا  
يكون كذلك وهي شغله الشاغل وديدنه في كل وقته وحديثه ، وهو - يرحمه

الله - من أعظم أئمة الحديث الذي عرفهم عصرنا الحديث؟

ولقد سمعت شيخنا العلامة ابن باز - رحمه الله - يثني على الشيخ يقول : « لا أعلم تحت أديم السماء من هو أعلم من هذا الرجل » ، هكذا دون تقييد ، وهذا من إنصافه - رحمه الله - ؛ إذ لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوهه .

ثانياً : شدة حرصه على وقته :

لم أر عالماً يحرص على وقته في العلم والبحث والتأليف والمدارسة والمناقشة مثل الشيخ - يرحمه الله - ، وكان كلما زرناه في بيته ، أو خرجنا معه في رحلة ، أو جاء إلينا ، أو اجتمعنا به عند بعض إخواننا كان يبدأ أولاً بالاطمئنان عنا واحداً واحداً ، ثم يجاملنا وما كانت تخلو جلساته من دعاية تدخل جواً من المرح والسرور على جلسائه ، ثم بعدها يقول : ماذا عندك يا أبا أنس ؟ ماذا عندك يا أبا فلان ؟ فكانت مجالسه - يرحمه الله - كلها جد وعلم ومناقشة ومدارسة ، والمزاح قليل في حياته - ولو كان حقاً - ، والوقت نفيس في حياته ، وربما جلس معنا ساعات طويلة وهو على جلسة واحدة دون كلل أو ملل يعلمنا ويحيب عن أسئلتنا قد نمل نحن وهو لا يمل ، ونتعب وهو لا يتعب ، حتى نشفق عليه ، وربما خرجنا معه في رحلة دعوية ، فكلف بعض طلاب العلم بإلقاء خطبة الجمعة ، وأذكر أنه فاجأني في إحدى هذه الرحلات قبل موعد الصلاة بوقت يسير ؛ قال : يا أبا أنس ! زور في نفسك خطبة الجمعة ؛ فكان لا بد من إطاعته ، وكان يستدرك علينا ما يقع منا من سهو ، أو خطأ ، أو سوء تعبير ، أو استدلال خاطئ ، أو غير ذلك ، وكنا نتلقى ذلك بقبول حسن ، ولقد رأيت أن الشيخ لا يهدر من وقته شيئاً ،

باستثناء أوقات الراحة والحاجات التي لا بد منها ، وربما طالع ، وكتب ،  
وآلف أكثر من خمس عشرة ساعة في اليوم والليلة ، وربما أكثر من ذلك ،  
ولقد بارك الله في وقته وفي عمره ؛ فهذا إنتاجه العلمي أكبر شاهد على ذلك  
والحمد لله .

**ثالثاً : ثباته على الحق الذي آمن به ودعا إليه :**

والشيخ لا يعرف التذبذب والاضطراب إلى حياته سبيلاً فهو ثابت  
كالطود على مواقفه واجتهاداته التي بان له وجه الحق فيها ، وهذا من أسرار  
نجاح دعوته وكثرة أتباعه ، بل إن التاريخ والتجربة أثبتتا أن مواقف الشيخ  
يرحمه الله نابعة من علم وهدى وتجربة ، فما حذر منه قبل وقوعه حدث كما  
كان من فتنة الجزائر ، وموقفه في فتنة الخليج أثبتت الأيام أنه كان على حق ،  
وأن ما حذر منه وقع ، وكأنه - يرحمه الله - ينظر بنور الله - تعالى - ، بل  
أكثر أهل العلم تغيرت فتواهم ومواقفهم أما الشيخ فمواقفه ثابتة لم تتغير من  
قبل ولا من بعد ؛ لأنه لا ينطلق من عاطفة وحماس ، أو مواقف سياسية  
تقتضيها مصلحة الدعوة - زعموا - ؛ بل إنها مواقف نابعة من العقيدة  
والسنة ، ومنهج سلف الأمة .

**رابعاً : إشهار منهج السلف الصالح والتصفية والتربية :**

وإن شيخنا الألباني - يرحمه الله - من أكثر وأشهر علماء هذا العصر  
الذين دعوا إلى منهج السلف الصالح ، وحثوا على وجوب إتباعه ،  
ووجوب الانتساب إليه ؛ لأنه سبيل المؤمنين ؛ ولأنه منهج جيل القدوة ،  
جيل أصحاب رسول الله ﷺ ، جيل خير القرون ، فظل حول ذلك يدندن :  
بياناً ، وإيضاحاً ، وذباً ، ودعوة ، وتعليماً ، ومن شدة حرصه على منهج

السلف الصالح لا نكاد نرى له رأياً اختاره أو انفرد به إلا وله سلف فيه من أئمتنا السابقين ، ولقد قطع - رحمه الله - هو ومدرسته شوطاً كبيراً في تصفية ما علق بالسنة من أحاديث واهية من خلال مشروعه الكبير ( تقريب السنة بين يدي الأمة ) ؛ حتى أحدث صحوة علمية في شباب الأمة ؛ فصار الأمي يسأل العالم عن أحاديثه ؛ أهى صحيحة ؟ أم ضعيفة ؟ أم موضوعة ؟! وهو يدعو إلى تربية شباب الإسلام على العقيدة والمنهج الصحيح ، ولعل الجهود المنصبة في هذا الاتجاه أقل من غيرها ، وكل ميسر لما خلق له ، وهي لا تقل شأناً عن تصفية الإسلام مما علق به ، فإن تربية النفوس وتزكيتها من أعظم مهام الأنبياء وأتباعهم ، قال ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

**خامساً: زهده - رحمه الله - بما في أيدي الناس - خصوصاً الحكام -:**

لا نعلم من حياة شيخنا ، ومن خلال صحبتنا له الطويلة التي زادت على بضع وعشرين سنة : أنه دخل على سلطان ، أو مستول ، أو حاكم ، أو تزلف إليه ، أو تولى منصباً دينياً عنده ، أو أكل على مائدته ؛ الأمر الذي جعله مستقلاً في مواقفه ، وفتاواه لا تصدر عن ضغوط سياسية أو دينية تمارس عليه بحكم الوظيفة ، فلم تكن فتاواه - يوماً - لإرضاء زيد أو عمرو ؛ فهو قد أغناه الله عن الناس ، ورزقه بكديده ؛ حيث عمل في تصليح الساعات سنين طويلة ، و« إن خير ما أكل الرجل من كسب يده » ، ولو أراد أن يتزلف لأهل الدنيا لكان هو المقدم الأول ، ولقد أخذت بيده يوماً ، وقلت له : يا شيخنا ! هل صافحت أحداً من طواغيت الأرض ؟ قال : لا ، قلت له : وهل أكلت على موائدهم أو دخلت عليهم ؟ فقال : لا ؛ فأخذت يده لأقبلها ؛ فمنعني ؛ فغلبته وقبلتها ؛ فلامني لوماً شديداً ، فقلت له : وما لي

لا أقبل يداً لم تصافح طاغوتاً؟! وخدمت سنة النبي ﷺ أكثر من نصف قرن من الزمان؟! وكثيراً ما كان الشيخ ينكر عليّ المبالغة في حبه وتعظيمه ، وفي نظري أن هذا قليل في حق شيخنا .

وهذا لا يمنعنا أن نخالفه - أحياناً - في بعض اجتهاداته - يرحمه الله - ، فكل رجل يؤخذ من قوله ويرد عليه ؛ إلا صاحب هذا القبر ، كما قال الإمام مالك - رحمه الله - .

وشيخنا - رحمه الله - بشرٌ ليس بمعصوم ، يصيب ويخطئ ، وأخطاؤه بالنسبة لغيره من العلماء غيظ من فيض ؛ فحَقُّ لنا أن نفخر بشيخنا الألباني ، صاحب المواقف الشريفة والعظيمة ، ولو أراد شيخنا أن يكون هو الأوجه والأعنى والأقرب إلى أهل الجاه والسلطان لكان ، ولكن زهد في ذلك كله ؛ ليكون لله وحده ، ناصراً لدينه ، ذاباً عن سنة نبيه ؛ لأنه لم يكن يوماً ليشتري بآيات الله ثمناً قليلاً ؛ كما يصنع بعض المفتونين المتاجرين بالدين ، وأخيراً فإن الكلام عن الشيخ - رحمه الله - لا تحتمله هذه العجالة ؛ فهو يحتاج إلى موسوعة من مجلدات كثيرة ، وقد قام بجانب منها الأخ محمد بن إبراهيم الشيباني - رحمه الله - ، ولعل الله ييسر عملاً موسوعياً يفي ببعض حق الشيخ على تلاميذه .

أقول : إنني لم أر مثله في علمه ؛ وفقهه ، وثباته على الحق ، ومثابرتة ، وشدة تمسكه بالكتاب والسنة دون مبالغة أو تعصب .

وقد رُئيت للشيخ رؤى أحسبها من المبشرات له ، وقد قص بعضها عليه ؛ فبكى وقال : « اللهم اجعلني خيراً مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون » ، وقد كنت أزوره أحياناً في بيته على استحياء وتردد ، حفاظاً على

وقته لإتمام مشاريعه العلمية التي تخدم السنة النبوية والمنهج السلفي ، وربما قلت له - وأنا على باب بيته - : أدخل أم أرجع يا شيخنا؟! فكان يقول لي - يرحمه الله - : « مثلك لا يقال له ارجع يا أبا أنس » ، وأحسب أن هذا شرف عظيم لا أراني له أهلاً .

• بعض الرؤى الصالحة التي رئيته في الشيخ :

\* رأيت فيما يرى النائم جمعاً من الناس قد تزاحوا أمام درج يصعد به إلى الشرفة تنتهي الشرفة بباب يدخل منه إلى بيت ، فقلت لهم : من تنتظرون؟ فقالوا: رسول الله ﷺ يخرج من هذا الباب . فاخترقت صفوفهم ، وصعدت الدرج ؛ حتى وصلت إلى المصطبة (الشرفة) قبالة الباب ، حتى أحظى برؤية الرسول ﷺ ، والناس تحت الدرج ينظرون نحو الباب ، وإذا بالباب يفتح ؛ فيظهر منه شيخنا الألباني - رحمه الله - .

فأولته على : أنه أحظى الناس برسول الله ﷺ ، لقيامه على سنته ، واتباعه الشديد لهديه ﷺ ، وقد قصصتها على الشيخ - رحمه الله - ، وكان الرؤيا تقول : من أراد نهج الرسول ﷺ ؛ فعليه بهذا الخارج من باب الشرفة يهديه إلى منهج الرسول ﷺ .

\* رؤيا أخرى رأتها أخت جزائرية ، وهي - أي : هذه الأخت - من قراء الأصالة ، المعظمت جداً للشيخ ولمنهجه - ، قالت لي - في رسالة بعثتها للأصالة - : إنها رأت أبا عبيدة عامر بن الجراح - رضي الله عنه - الصحابي الجليل أمين هذه الأمة في المنام وقت السحر ، وهو يقول لها : أقرئي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني مني السلام ؛ فاستيقظت وهي تبكي فرحاً وتقول : لست أهلاً لذلك ، لست أهلاً لذلك .

فأولتها على : أن الشيخ - رحمه الله - أمين العلم في هذه الأمة ، في هذا الزمان ؛ فالعلماء أمناء الشريعة ، وشيخنا الألباني من هؤلاء القلة الأمناء على دينه ، الناصحين لعباده ، فيما أحسبه والله أعلم .

وبعد هذه السطور القليلة المجحفة في حق شيخنا - الذي ملأ الدنيا علماً وفضلاً ، ونصر الله به سنة نبيه ﷺ وذبح عنها عشرات السنين - أرى من واجب شيخنا علينا أداء لبعض حقه على إخوانه وطلابه وأبنائه ومحبيه أن يدعوا له مخلصين بالرحمة ، وأن يضرعوا إلى الله بالدعاء لخادم السنة النبوية ومنهج السلف الصالح إمام العصر الألباني بالرحمة والمغفرة ورفع الدرجات وجزاء الخيرات .

اللهم ارحم شيخنا الألباني ، وأسكنه فسيح جناتك ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وارض عنه يا رب العالمين ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

## من يخلف الألباني؟

- ❖ إني لعمرك لم تنم أجفاني
- ❖ قلبي تنهد صارخاً يا ربنا
- ❖ قالوا فلان أو فلان خالف
- ❖ كذبوا ورَبُّ النَّاسِ بل وتخبطوا
- ❖ ما كان يخلف شيخنا في علمه
- ❖ يا صاح لا تسمع مقالة سيئ
- ❖ الله يرفع من يشاء إذا قضى
- ❖ وارحم إله الحق شيخاً عالماً
- ❖ صلى الإله على النبي المصطفى
- ❖ من بعد موتك شيخنا الألباني
- ❖ هيهات في الدنيا إمامٌ ثاني
- ❖ في العلم والتحقيق والبرهان
- ❖ شرقاً وغرباً سائر الأزمان
- ❖ إلا جموعٌ ملء ذى البلدان
- ❖ طارت شرارتها لدى الإخوان
- ❖ أمراً قديماً دون إذن فلان
- ❖ ما خر نجمٌ أو ثوى قمران
- ❖ والصحب من سلف أولي

بقلم تلميذه

أبي أنس محمد بن موسى آل نصر

- عفا الله عنه -

## وإنا على فراقك يا ابن باز لمحزونون

في كل يوم تفقد الأمة الإسلامية علماً من أعلامها ، وشيخاً من أسيانها ، وهاهي اليوم تفقد إماماً من أئمتها ؛ هو أمةٌ في هذا الزمان ، وسارت بفضلله وبعلمه الركبان ، وملاً خيره ونبله كل مكان .

أغاث الله به آلاف الملهوفين من اليتامى والأرامل والمساكين ، وكان مثلاً للعالم الرباني ، ووارثاً حقيقياً من ورثة سيد الأنبياء والمرسلين ، أرسى الله به قواعد المنهج السلفي ، بما صنف وأفتى ، ودَرَسَ ورَبَّى ، وألقى من دروس ومحاضرات .

وتلامذته والمنتفعون بعلمه لا يأتي عليهم العد والحصر ، ذب عن عقيدة التوحيد بقلمه ولسانه ، وجاهد أعداء الله من أهل البدع والضلال ، وصدع بالحق ، وكانت له مواقف مشرفة ؛ نصرَةً للحق ، ورداً للباطل .

كان - يرحمه الله - حكيماً في دعوته ، أوتي نصيباً وافراً من الحكمة ، مما جعل قلوب الناس تهوي إليه ، ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ، لا يمله جليسه ، سريع البديهة ، شديد الحفظ ، قوي الذاكرة ، يجب العلماء وطلاب العلم ، يؤثر في أهل الجاه والسلطان ولا يتأثر بدينهم .

أصلح الله على يديه الآلاف المؤلفات من العامة والخاصة ، لا يتسرع في الفتيا ؛ وبخاصة في المسائل الكبار ، معظماً للسنة وأهلها ، ومحارباً للبدعة وأهلها ، جاهد في سبيل الله باللسان والبيان ، لا يخاف في الله لومة لائم ، يعظم منهاج السلف الصالح ، ويعامل مخالفه باللطف واللين والرفق ،

مهذب اللسان ، طاهر الجنان ، دائم الذكر صادقاً ، يسأل ربه المغفرة ،  
ويخشى سوء الخاتمة ، قل وجوده في هذا الزمان ؛ بل منذ أزمان ...  
ولذلك ؛ فإن القلب يحزن ، والعين تدمع ، ولا نقول إلا ما يرضي  
الرب ، وإنا على فراقه لمحزونون .

قلت : ومع كل هذه الفضائل والمحسن والعظمة والشموخ والإمامة في  
الدين في هذا الزمان الذي عزّ فيه العلماء الربانيون ، يخرج أحد كبار الحزبيين  
المبتدعين الحاقدين على هذا العلم ليدعوه قائلاً : (يا ابن كاز !! يا بعير  
العلماء !!) ذلك لأن بعض فتاوى هذا الإمام لم تعجبه ، ولم توافق هواه ،  
فليته قال : أخطأ ابن باز ، خالف ابن باز الراجح ، وهو ماجور على  
اجتهاده ، لكنه سوء الأدب مع الأئمة والتهيج والتثوير والتنقص للعلماء  
الربانيين ! إنها الحزبية المقيتة ، أجارنا الله منها !

رحم الله شيخنا إمام العصر ابن باز ، وأسكنه فسيح جناته ، وإنا لله  
وإنا إليه راجعون .



# الباب الثامن الردود العلمية



## بين تزكية النفس

### والتحدث بنعمة الله

قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم: ٣٢]

يظن بعض الجهلة بتفسير كلام الله أن هذه الآية تنهى المسلم عن ذكر ما من الله به عليه من نعمة ، أو خصَّ به من خير ، معرضين عن أقوال جماهير المفسرين في بيان المعنى المراد منها ضارين عرض الحائط بقول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى : ١١] .

فظن هؤلاء - حسداً من عند أنفسهم - أنه المراد بالآية ومدلولها ، وإليكم ما قاله المفسرون : قال الطبري في « جامع البيان » ( ١٥٣ / ٧ ) : وقوله : ﴿ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ ﴾ ، يقول : - جل ثناؤه - : فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي ، وقوله : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ يقول - جل ثناؤه - : ربك يا محمد أعلم بمن خاف عقوبة الله فاجتنب معاصيه من عباده .

وقال الحافظ ابن كثير في « تفسيره »<sup>(١)</sup> : قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي : تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم ، ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ ؛ كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ

(١) « تفسير القرآن العظيم » ( ٦٦٥ / ٧ ) طبع دار الفتح - الشارقة .

يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿ [ النساء : ٤٩ ] .

وذكر حديثاً صحيحاً تذكيراً للآية ؛ لأن التفسير الصحيح يكون بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة ؛ فقال : « وقال مسلم في « صحيحه » ... عن محمد بن عمر بن عطاء قال : سميت ابنتي برة فقال الرسول ﷺ : « لا تزكوا أنفسكم ؛ إن الله أعلم بأهل البر منكم » فقالوا : بم نسميها قال : « سموها زينب » (١) .

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال : مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ قال : « ويلك قطعت عنق صاحبك مراراً إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل : أحسب فلاناً - والله حسيبه - ولا أزكي على الله أحداً - وإن كان يعلم ذلك - » (٢) .

وجاء رجل إلى عثمان - رضي الله عنه - فأثنى عليه في وجهه قال : فجعل المقداد بن الأسود يحثو في وجهه التراب ويقول : أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المداحين أن نحثو في وجوههم التراب (٣) .

مما تقدم من نصوص قرآنية ونبوية وآثار سلفية يتبين لذي بصر وبصيرة أن أكثر الناس في غفلة وجهالة عن تفسير الآية الحقيقي الذي فهمه السلف الصالح ، وأن تحدث طالب العلم ببعض ما تفضل الله به عليه من فهم واستنباط وتأليف ، ويحث أن ذلك داخل في تزكية النفس والقطع لها

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٢) .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤٥،٤٦/٥) ، والبخاري (٢٦٦٢) ، ومسلم (٣٠٠) ، وأبو داود (٤٨٠٥) ، وابن ماجه (٣٧٤) .

(٣) أخرجه أحمد (٥/٦) ، ومسلم (٣٠٠٢) ، وأبو داود (٤٨٠٤) .

بالصلاح والتقوى والجنة ، وما علم أمثال أولئك أن ذلك من التحدث بنعمة الله الذي أمر به المسلم والذي درج عليه سلفنا - رضي الله عنهم - والتخليط في هذا الأمر حمل هؤلاء على فهم النصوص على غير المراد منها .

وسأنقل للقارئ كلام أهل العلم قديماً وحديثاً وتحديثهم بنعم الله عليهم وهم الأعلام - في زمانهم - بتفسير كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ .

قال أحد الحاقدين الشائنين - وهو بالذم قمين - ردّاً عليّ مدعيّاً مفترياً أنني أزكي نفسي في كتابي « منهج السلامة فيما ورد في الحجامة » : صدر مقدمة الكتاب بالمدح والثناء عليه حيث قال - يعني المؤلف - : « ولست أول من صنف في الحجامة ، فقد سبقني مؤلفون قدماء ومعاصرون ، ولكن بحثي هذا يفوق - بفضل الله تعالى - كل ما سبق في الوصف والكيف » ، ثم قال بعد ذلك : « أقول لأخي أبي أنس - وهو الذي قرأ القرآن وقرأه<sup>(١)</sup> - ألم تقرأ قول الله - عز وجل - : ﴿ فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم : ٣٢] ، فأرجو منك أن تراجع تفسير هذه الآية<sup>(٢)</sup> ومثيلاتها في كتاب الله - عز وجل - وتذكر سيرة السلف الصالح ؛ حيث كانوا يمدحون كتب غيرهم ، ولا يجرون على ألسنتهم سيرة كتبهم ومؤلفاتهم ؛ لأن هذا الأمر متروك للقارئ وليس للمؤلف ... » ، إلى أن قال : « وإنك لتعلم أن هذا الأمر لم يكن من فعل السلف الصالح لا في كتبهم ، ولا في غير كتبهم ، وإن حصل في بعضهم إلا أنه لم يجد القبول له ، ولا لكتبه عند أهل العلم » .

أقول - وبالله التوفيق - إن ما قلته لا يفهم منه التزكية لِنَفْسِي أو

(١) كذا كتبها والصواب يقرؤه ، فانظر إلى جهله بأيسر قواعد الإملاء .

(٢) قد راجعتها في أكثر من تفسير ووجدت خلاف ما فهمت وقلت .

لكتابي - في تقوى أو ورع كما هو مفهوم النهي في الآية - وإنما هو من باب التحدث بنعمة الله - في العلم - وقد أمرنا الله بذلك قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١] .

وقد سلك هذا المسلك جمع من الأئمة الأعلام والمفسرون والمحدثون وسأكتفي بذكر أربعة منهم ، لا تستطيع أن تطعن في سلفيتهم ، ولا دينهم ، ولا أخلاقهم ، وليسوا من المعاصرين لك ليكونوا أنداداً لك ، وهؤلاء هم :  
أولاً : مكّي بن أبي طالب القيسي المقرئ شيخ أبي عمرو الداني .

قال - رحمه الله - في كتابه « الإبانة عن معاني القراءات » - : « هذا كتاب أبين فيه إن شاء الله تعالى - معاني القراءات ، وكيفيتها ، وما يجب أن يعتقد فيها ، مع ما يتصل بذلك من فوائدها ، وغرائب معانيها ، وما علمت أن أحداً تقدمني إلى مثل كتابي هذا ، أي : بما جمعت وبينت فيه - أعظم الله عليه الأجر ، وأكمل به الذكر ، وجعله خالصاً ، ولا جعله رياءً ولا سمعه - » .

قلت : فهل كان الإمام المقرئ مكّي بن أبي طالب القيسي الذي ألف أكثر من مائة كتاب في التفسير والقراءات وغريب اللغة وغير ذلك مزكياً نفسه مخالفاً للسلف ومنهجهم ، وعقيدتهم حين قال ذلك !!؟

ثانياً : شيخ الإسلام ابن تيمية قال - رحمه الله - متحدثاً بنعمة الله عليه : « قد فتح الله عليّ في هذه المرة من معاني القرآن ، ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها ، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن » <sup>(١)</sup> .

فهل زكى شيخ الإسلام نفسه حين قال ذلك ، وسطر ذلك ، وهل

(١) انظر « العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية » لابن عبد الهادي (ص ٢١-٢٢) .

جهل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [ النجم : ٤٣٢ ] ، وهو المفسر الذي قرأ أكثر من مائة تفسير ، ووعى التفسير ، وكان من أكثر أهل العلم اتباعاً للكتاب والسنة .

ثالثاً : ابن قيم الجوزية ، قال - رحمه الله - مادحاً كتابه « زاد المعاد » - خصوصاً كتاب الطب - منه ( ٤ / ٤٣١ ) : « قد أتينا على جملة نافعة من أجزاء الطب العلمي والعملي ؛ لعل الناظر لا يظفر بكتاب منها إلا في هذا الكتاب ، وأريناك قرب ما بينها وبين الشريعة » .

أقول : هل زكى نفسه ، وخالف السلف - هذا الإمام - حين ذكر ذلك؟! هل أصبح خلفياً صوفياً ؛ لأنه ذكر ما خصه الله به من علم وبيان ومعرفة؟! سبحانك هذا بهتان عظيم .

رابعاً : الإمام الشوكاني المفسر ، والفقير علامة اليمن : قال - يرحمه الله - في مقدمة تفسيره ( ١ / ١٣ ) : « فهذا التفسير ، وإن كبر حجمه فقد كثر علمه ، وتوفر من التحقيق قسمه ، وأصاب غرض الحق سهمه ، واشتمل على ما في كتب التفاسير من بدائع الفوائد مع زوائد فوائد وقواعد شوارد ، فإن أحببت أن تعتبر صحة هذا ، فهذه كتب التفسير على ظهر البسيطة ، انظر تفاسير المعتمدين على الرواية ، ثم ارجع إلى تفاسير المعتمدين على الدراية ، ثم انظر في هذا التفسير بعد النظرين ، فعند ذلك يسفر الصبح لذي عينين ، ويتبين ذلك أن هذا الكتاب هو لب اللباب ، وعجب العجاب ، وذخيرة الطلاب ونهاية مأرب الألباب ، وقد سميته (فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير) » .

أقول : فهل زكى الشوكاني نفسه ، وقطع لها بالجنة ، حين سطر هذا الكلام؟!!

وهل جهل تفسير الآية وهو المفسر الذي لا يُشَقُّ له غبار؟!  
إن عبارتي لا تخرج عن معنى كلمات هؤلاء الأئمة ، وأنا طالب علم  
اقتفي أثرهم وأنا لهم تبع ، وهم أهل الأثر شهد لهم علماؤنا بالأمانة والهداية ،  
والاستقامة ، فماذا أنت قائل فيهم وفي أقوالهم؟!!

وهل هم سلفيون أم خلفيون ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾؟!!

## مرة أخرى

### لماذا التشيع على السلفيين؟!؟

يخطئ كثير من الناس عامة وخاصة عندما يظنون أن السلفية تساوي إطالة اللحية وتقصير الثوب فحسب ، وكان الأولى بهؤلاء أن يرجعوا إلى علماء الدعوة السلفية ومشايخها فهم كثر - والله الحمد - في العالم الإسلامي فأهل مكة أدرى بشعابها كما قيل . لكن ما هي السلفية باختصار؟!؟

السلفية : دعوة وعودة ورجوع بالأمة إلى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين في الإيمان والعمل الصالح والسلوك الإسلامي النبيل وهم يجمعون بين العلم والعمل ويفهمون كتاب ربهم وسنة نبيه على منهج السلف الصالح ولا يحجرون واسعاً ولا يمتنعون الاجتهاد ويؤمنون بالحوار الهادئ المدعم بالدليل ويكرهون التعصب لحزب أو لفئة أو شيخ أو قطر أو نحلة ويحذرون من الابتداع في الدين ويحاربون الشرك بألوانه ويدعون لجمع الكلمة وتوحيد الصفوف وغير ذلك من القضايا الإسلامية ، فهم يعيشون واقع أمتهم ، ويجاهدون باللسان والسنان ، وأرض الأفغان وفلسطين تشهد لهم بذلك .

أما اهتمامهم بالمظهر؟!؟ فهو جزء من برنامج دعوتهم الذي يحافظون به على هويتهم الإسلامية، من أجل ذلك يصب الأعداء جام غضبهم ويحرضون عليهم الأبيض والأسود وربما قام البعض ممن أصيب بداء العظمة وحب الظهور للنيل منهم ؛ لأنهم لم يطلبوا العلم على يديه ولم ينصاعوا له قال بعض الحاقدين على هذه الدعوة تحت عنوان : « اتركوا الخلافات جانباً »

وتحامل فيه الكاتب على السلفيين ورماهم بتهم شنيعة منها قوله : إذا كان السلفيون كما نراهم اليوم فليس فيهم شيء من السلف الصالح غير المظاهر ؛ حيث قلوب أغلبهم مليئة بالحقد الدفين على بعضهم البعض ، وعلى غيرهم ممن لم ينهج نهجهم .

أقول : ويحك بل ويلك أشققت عن صدورهم ، وما أدراك بخفايا نفوسهم حتى قطعت بأن قلوبهم ملئت بالحقد الدفين ، إن القلوب سر مكتوم لا يطلع عليه إلا الله ، فلا نعلم نبياً ادعى ما ادعيت يا هذا ، مع أن الأنبياء مؤيدون بالوحي ، أما أنت فلا أحسب إلا شيطاناً تكلم على لسانك ، وعليك أن تتوب إلى ربك ؛ لأنك ادعيت معرفة ما اختص الله بعلمه . ثم إن قولك : « ليس فيهم شيء من السلف الصالح غير المظاهر » من الزور والرجم بالغيب ، ونحن نحمد الله أن في شبابنا من يتأسون بالسلف الصالح ، لا بجورج وبطرس وميشيل ، وهل هذه جريمة بأن يصلح الرجل مظهره فيكون مسلماً قلباً وقالباً ، ويجتهد على إصلاح باطنه ؟ لكنه التعصب والحقد الذي يعمي ويصم ؛ مصداقاً لقوله ﷺ : « دب فيكم داء الأمم الحقد والحسد »<sup>(١)</sup> ، نعوذ بالله من ذلك .

أما قولك : أنهم يقاطعون المساجد دون سبب ، ثم تناقضت فقلت : ويجتمعون في مسجد واحد ، وثم تناقضت مرة أخرى وقلت : وهل كان السلف الصالح لا يصلون خلف بعضهم البعض ، وكل هذا شنشنة نعرفها

---

(١) أخرجه أبو داود في « السنن » (رقم : ٤٨٧٧) ، وأحمد في « المسند » (١٩٠/١) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٥٦١/٦) ، وانظر « الصحيحة » (رقم : ١٨٧١ و ١٤٣٣) ، و« الترغيب والترهيب » (٧/٣) ، و« مجمع الزوائد » (١١٦-١١٧) .

من أخزم ، يثيرها المبتلون بداء العظمة ؛ لدرجة تحملهم على رمي هؤلاء بهجران المساجد والجماعات .

أما المسجد المذكور فأنا سائلك : هل المساجد روادها كلهم من الشباب السلفي حتى كلما عرض لأحد أمر حالَ بينه وبين الصلاة في مسجد ما . تأثر هذا المسجد وأصبح يرثى لحاله إذن فهؤلاء هم الأمة وهم جمهور المصلين؟! إن المسجد المذكور قد بني أخيراً فالسؤال الآخر الذي يطرح نفسه : أين كان يصلي هؤلاء الشباب؟!

الجرىء المبطل ربما قال: لا يصلون ، أما المنصف فيقول : لا يشك أنهم سيصلون في مسجد قريب منهم يأمنون بإمامه من حيث القراءة والسلوك ونشاط هذا الإمام في تعليمهم .

فالحال لم يختلف من قبل ولا من بعد ، والأصل ألا يبني مسجد قريب لا حاجة له بجانب مسجد آخر لم يمتلئ بعد برواده ، وهل يجوز أن نطلب من المصلين هجر مسجد ألفوه وأحبوا إمامه ، يتعلمون فيه الخير ليذهبوا إلى مسجد جديد ليحبوا خاطر الإمام المكسور هذا لم يقله أحد بل كره العلماء بناء مسجدين قرب بعضهم البعض لئلا يضر أحدهما الآخر .

أما قولك فيما نقلته عن إمام المسجد المذكور أنه قال : ( إنهم يزعلون من النقد ولا يعرفون أدب الحوار وليست لديهم القدرة على الاختلاف في الرأي) إلى آخر ما قال ؛ فالأمر ليس كذلك ، بل إن الإمام المذكور اشتاط غضباً عندما علم أن أحد طلبة العلم قد رد عليه مع أنه محق في كل رده ، وأخذ - أي صاحبك - يهدد ويتوعد ، فتوسط بعض الإخوة ناصحاً بعدم نشر الرد لئلا تأخذ صاحبك العزة بالإثم ، ولئلا تعين الشيطان عليه ، وحتى

لا تنقل المعركة إلى مساجد المسلمين ، فأين دعوى الحوار !!؟  
إن الحوار يكون بالجلوس والتفاوض والتناصح لا بالهجوم على  
المسلمين في الصحف ، والبهتان والتنطع والغلو ، والدفاع عن بعض  
المخرفين تارة ، ونقدمهم والرد عليهم تارة أخرى تبعاً للهوى والمصلحة .  
وإني أوصيك وأوصي صاحبك بتقوى الله وأذكركما بقول الرسول  
ﷺ : « أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم » <sup>(١)</sup> ، وقوله : « من قال في  
مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال » <sup>(٢)</sup> ، فاتقوا الله يا هؤلاء والفتنة  
نائمة ومن أيقظها بآء بإثمها فالخلاف أشد وشركه كما جاء في مقالك ؛  
والنجاسة لا تزال بالنجاسة ولا يكن حالنا كحال القائل (أردنا أن نكحلها  
فعميناها) وفقني الله وإياكم والمسلمين لما يجب ويرضى .

---

(١) رواه عن عائشة أبو يعلى في « مسنده » (٤٦٨٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧١١) ،  
وقال الهيثمي في « المجمع » (٩٢/٨) : « ورجاله رجال الصحيح » . قلت : وإسناده صحيح .  
(٢) قطعة من حديث أخرجه أبو داود (٣٥٩٧) ، وأحمد (٧٠/٢) ، والحاكم (٧٢/٢) ، والطبراني في  
« الكبير » كما في « الترغيب » (١٥٢/٣) وجود إسناده ، وهو كما قال .

## الرد على أهل الإفراط والتفريط

### والغلو والتقصير

#### مقدمة لكتاب « تنفيذ المهمة » لفوزي الأثري

إن الله عز وجل يزرع في خلقه زرعاً في كل عصر ومصر يستعملهم في طاعته ويصطفيهم من بين عباده ويصطنعهم على عينه يذبون عن دينه وشرعه وسنة نبيه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين يدعون إلى كل أصيل ويرفضون كل دخيل ويكشفون زيف كل بهرج ، بالحق قاموا وبه يعدلون يقولون الحق ولو كان مرأاً . ولا تأخذهم في الله لومة لائم لا يعرفون المداهنة وليس بينهم وبين أهل الأهواء والبدع مهادنة ؛ وهذا هو سبيل المؤمنين وهو الصراط المستقيم ، فلا بد من الولاء والبراء ولقاء المؤمنين والبراء من المبتدعة المتهوكين ، فالحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان كما جاء في صحيح الأخبار وقد أطلعني الأخ الفاضل طالب العلم الشرعي<sup>(١)</sup> : فوزي بن عبد الله بن محمد على مؤلفه الموسوم بـ « تنفيذ المهمة في الرد على من شغب على السنة » ، فألفيته ردّاً علمياً طرق فيه بعض المسائل التي أثارها نظام يعقوبي وجانب فيها الصواب ، وتنكب فيها السنة والكتاب بياناً للحق الذي عليه السلف وجمهور الخلف ودفاعاً لآراء شاذة

---

(١) كما قد أحسنا به الظن يومها وتعاوننا معه ونصرناه يوم شعرنا أنه بحاجة إلى نصرة ؛ عملاً بقول الرسول ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » ، ولكن كل ذلك تنكر له وأخذ يطعن فينا تصریحاً وتلميحاً متكرراً لكل مواقفنا الأخوية معه متناسياً قول الله ﴿ وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ ، وقول النبي ﷺ : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مردودة ليس لها في العلم النافع رصيد إلا التهويل والتهويش والتلبس على العامة والشغب على السُّنة وهدى الصحابة والتابعين .  
والأخ نظام لا ننكر أن له فضلاً وجهداً يشكر عليه خصوصاً اعتناؤه بالمخطوطات ، وقيامه بالوعظ والتدريس ، وصدعه بالحق أحياناً<sup>(١)</sup> ، ولكن له بعض المواقف كنا ولا زلنا ننكرها عليه ، وقد جرى بيننا وبينه المناصحة والمهاتفة أحياناً محذرين من خطورة هذه المواقف وما يترتب عليها من فتن وصد عن سبيل الله ، ومن هذه المواقف المؤسفة المؤذية : سخريته بالسنة وأهلها فيسخر من الثوب القصير « الموافق للسنة » ، ويتقزز من اللحية الكثة ، وقد حدثني من أثق به وقد أقسم لي أنه صادق فيما يقول : أنه سمع نظاماً يقول : يطيل أحدهم لحيته كأنها مخمة (مكنسة) ، وهذا القول كفر والعياذ بالله ومعلوم أنه من سخر من شعيرة من شعائر الإسلام مع علمه بها فقد كفر وقد حاول نظام أن ينكر ذلك ولكن هذه المقولة الجائرة الآثمة اشتهرت عنه واستفاضت ولصقت .

أما طعنه بالعلماء العاملين الربانيين أمثال شيخنا الألباني رحمه الله فحدث ولا حرج ، وقد قال لي شخصياً : الألباني إما أنه أخذ أجره (رشوة) على موقفه في أزمة الخليج ، أو أنه خرف ورجح عليه التخريف . فقلت له : اتق الله في لحوم العلماء ، وجرى بيني وبينه يومها نقاش حاد ، ولكن هيهات هيهات ، فقد أصر على تطاوله ، فالرجل لا يعرف أدب العلماء ، وعنده - غفر الله له - جرأة على الطعن والخوض في الباطل - نسأل الله العافية -

(١) لكنه شديد على السلفيين ، لطيف مع الرافضة والبتدعة ، فقد استقبل كوثرى العصر أبا غدة ومدحه وقدمه للناس ، وقد رددت عليه يومها بمقال في « جريدة الأيام » البحرينية « حكم إيواء المحدث » .

والهجوم على العلماء وأحياناً الدفاع عن الحدائين .

ومن مواقفه العدائية لمنهج السلف أنه وقف يوماً على المنبر يستعدي الدولة على الشباب السلفي ؛ لأنهم يدعون إلى الاقتصار على إحدى عشرة ركعة في التراويح كما هي السنة ، ولكن الله انتصر لهؤلاء فلم يمس أحدهم بسوء ، وكانت العاقبة إنزاله عن منبره ومنعه من الخطابة ، مع أن هؤلاء الشباب هم الذين رفعوه وشهروه ، فلما اشتهر أمره ولمع نجمه على ظهورهم أخذ يُشهر بهم<sup>(١)</sup> ويطعن فيهم .

والحاصل : أن الحق أحق إلينا من نظام وغيره مهما سما وعلا ، ومن بدأ بالفتنة وأجج نارها أحرقته يوماً من الدهر ، فقد لاقى الشباب السلفي منه الويلات ، فانبرى له أخونا فوزي لقمع فتنته<sup>(٢)</sup> ، وقطع دابرها من الوجود فإنه (أي نظام) لما رأى الساحة قد خلت أخذ يصول ويجول عهداً بالمثل القائل . « خلا لك الجو فيضي وصفري » ، وأحسب أنه سيفكر ألف مرة مستقبلاً قبل أن يغامر مغامرة أخرى ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ بَلْ نَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ ، وإن الدعوة الإسلامية

---

(١) وهذا كثير في زماننا هذا ، ومن ابتلي بهذا المرض فوزي الأثري - هداة الله - فبعد أن تسلق على ظهور أهل الشام كمحمد نصر وعلي الحلبي أخذ يغمزهم ويلمزمهم بقوله : هؤلاء طلاب علم وليسوا بعلماء ، وهذا يشعر بأنه أعلم منهم مع أنه لا يرقى إلى أضعف طلابهم ، لكنه نكران الجميل ، وقد عشنا دهرًا نركيه ونحسبه على خير حتى ظهر لنا منه منهجه الغالي وتنطعه وطعنه في العلماء ، خصوصاً من تسلق على ظهورهم حيناً من الدهر ، حتى إذا وصل إلى غايته طعن فيهم وانتقل إلى غيرهم ، وهذه عادته . وقد حاول جاهداً أن يتسلق على أكتاف أخينا مشهور ؛ ولكنه لم يفلح ؛ لأن أخانا قد تنبه لأغراضه السيئة ، أما الأشياء الأخرى والقضايا المالية فتركها لحينها فلعله يتذكر أو يخشى .

(٢) لقد أصبح فوزي نفسه فتنة لشباب البحرين وغيرهم لعلوه وتنطعه وخوضه في إخوانه ظلماً وزوراً وضعف بصيرته وافتقاره لأبسط قواعد الحكمة والرفق مما نفر الشباب عنه بل وأفسدهم عليه .

في البحرين أحوج ما تكون إلى عالم رباني<sup>(١)</sup> يجمع الشمل ويوحد الصف ويرقع الخرق ويلم الشعث ويرص الصفوف ويجمع أهل السنة على كلمة سواء من غير تنازل عن عقيدة سنية وسبل سوية فيحيا من حي عن بينه ويهلك من هلك عن بينه وإنني يوم أن خرجت من البحرين كارهاً - مع حبي الشديد لشعبها الطيب وأمي على فراقهم - كنت فرقاً فزعاً على حالة الدعوة فيها لكثرة الفتن وسطوة أهل البدع وشر الاختلاف والتفرق بين أهل السنة ، والله أسأل وبأسمائه الحسنى أتوسل أن يقيض للبحرين وأهله أئمة هدى يأخذون بأيدي الخيرين فيها إلى سبل السلام يصبرون على الأذى ويترجمون أخلاق الإسلام في سيرتهم وسلوكهم فيكونوا مصابيح دجى ومنارات هدى إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وأخيراً فإنني مع كل رد علمي رصين قائم مع أدب الحوار وسياسة الإصلاح والإنصاف لا الهدم والاعتساف ، فما من أحد إلا راد ومردود عليه إلا رسول الله ﷺ ، وهذه الردود إنما الغاية منها بيان الحق وقيام الحجة ، لا التشهير وحب الظهور أو العلو في الأرض ، والأعمال بالنيات ، وقد أخذ الله العهد والميثاق على أهل العلم أن يبينوا الحق ولا يكتموه ، وأردت بهذه المقدمة الإصلاح ما استطعت ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) للأسف أنه لا يوجد في البحرين من أهلها حتى هذا اليوم عالم رباني عالم عامل على سمت حسن وحكمة وبصيرة وفقه وتجربة ليكون مرجعية للشباب التائه المتحير وعسى الله أن يمن عليهم بذلك.

## الغزالي... وأهل الحديث

### تعقيب على بعض كتاباته

إنني أتابع ما يكتبه الشيخ محمد الغزالي على وجه الخصوص وأجد له أحياناً كلاماً حسناً ، ولكن يفرغني المنهج القاسي اللفظ الغليظ الذي سار عليه في الرد على مخالفه خصوصاً في كتابه الذي زعم فيه أنه نصر السنة النبوية ، وفي الواقع جاهد نفسه في إخماد أنفاسها ، والقضاء على كثير منها تارة باسم مخالفة القرآن ، وتارة باسم مخالفة العقل ، وأخرى باسم مخالفة الواقع ، وتارة بضرب السند بالمتن والعكس ، وأخيراً قرأت له موضوعاً يطعن فيه شباب الصحوة الإسلامية العائدين إلى الله عقيدة ومنهجاً وسلوكاً وعلماً وعملاً يطعنهم ؛ لأنهم من أشد الناس إنكاراً عليه وعلى أمثاله لا يعرفون المداينة ولا يضعون الدنية في دينهم ، من أجل ذلك صب ويصب كل يوم جام غضبه على هؤلاء الفتية ويصف ما هم عليه من علم وعمل بـ « القشور » ، وتارة بالتفاهات والله إنها لكبيرة أن تخرج من فم مسلم فضلاً عن شيخ يشار إليه بالبنان كالغزالي ولستمع إلى قذائفه المسمومة ضد هؤلاء الفتية - الذين آمنوا بربهم وعملوا بسنة نبيهم واتبعوا منهج سلفهم الصالح - قال : « قص لي أحد طلبتي النابهين حواراً وقع بينه وبين متدين شديد الغلو ينتمي - كما يصف نفسه - إلى الإخوة أهل الحديث » <sup>(١)</sup> فوصف هؤلاء المنتمين لأشرف طائفة عرفتها الدنيا حفظ الله بهم الدين وعقيدة الإسلام

(١) المعروف أن هذه التسمية لا تعرف إلا في شبه القارة الهندية وغمز الغزالي أهل الحديث يراد منه طعن منهج أهل الحديث قديماً من السلف الصالح وكل من سار على سبيلهم .

بالغلو تنفيراً عن منهج أهل الحديث - الذي هو أصح منهج يأخذ بيد الأمة إلى بر السلام - وللغزالي الحق في استهجان أسلوب بعض هؤلاء الإخوة لكن لا يحل له ولا يحق أن يتخذ من شدة بعضهم أو غلوه مطعناً في أهل الحديث الذين هم ورثة خير هذه الأمة ؛ لأن الله بهم حفظ الدين والعلم .

ثم قال : « إذا كان الرجل مجتهداً قد أعماه التعصب... إني أخاف شيئاً واحداً : أن يتحول هذا وزملاؤه إلى جند للباطل من حيث لا يشعرون » .

قلت : وهذا تناقض فإن المتعصب لرأي أو المقلد لمذهب لا يكون مجتهداً مأجوراً فمن شروط المجتهد أن يتبع ولا يتدع ، وأن يؤثر الحق على الحزب والمذهب والجماعة ، وهؤلاء الإخوة من أبعد الناس عن تقديس الرجال والمذاهب والآراء ، وهذا حق يغبطون عليه ولا يغمطون به ، وهذا النبؤ الذي يتشاءم منه الشيخ من الرجم بالغيب الذي عودنا عليه في كتاباته .

ثم قال : « إن أعداء الإسلام في بلادنا رجالاً مكررة مهرة يوقنون بأن الجبهة إذا تمخضت لأهل الوعي والفقه فهم متصرون حتماً ! ولذلك يفتحون ألف طريق لأولئك الغلاة حتى يسود صياحهم الساحة الإسلامية » .

قلت : إن هؤلاء الذين وصفهم الغزالي باستغلال المكره والمهرة لهم من أبعد الناس عن المناصب ، والإعلام العلماني صب سهامه وحرابه إليهم وحدهم يرميهم بـ « التطرف » تارة و« الأصولية » تارة أخرى لتشويه صورتهم بينما نجد دعاة تحرير المرأة من العقلانيين وطعنة أهل الحديث يروج لأفكارهم ويلمعون ويرفعون فوق الغمام وخذ على سبيل المثال كتابك « السنة النبوية » فقد روجت له أكثر من مجلة علمانية لما يحمل من أفكار تلتقي مع منهجهم . فمن هم الذين فتح لهم ألف طريق ليتسلقوا المنابر

ويسحجوا عليها سحج الغربان الناعقة ليسود صاحبهم الساحة الإسلامية ،  
لعل الشيخ أدرك ما أومئ إليه . ثم اتهم الغزالي هؤلاء الدعاة وهؤلاء  
الشباب بالطعن في مذهب الإمام أبي حنيفة والشافعي وتوهين هذين  
الإمامين الكبيرين ... إلى آخر ما قال .

قلت : وهذه فرية بلا مرية وبهتان بلا برهان فليأتنا الغزالي بكتاب  
واحد لهؤلاء أو أمثالهم أو من كتب مشايخهم أو ممن هو دونهم يطعن في  
مذهب من هذه المذاهب أو ينال من إمام من أئمة المسلمين بل هم والحق  
يقال من أكثر الناس تعظيماً للأئمة وعملاً بوصيتهم التي أجمعوا عليها « إذا  
صح الحديث فهو مذهبي » .

وذنوب هؤلاء عند الغزالي أنهم لا يقدسون الرجال ولا يقدمونهم على  
الحق عملاً بقول مالك : « كل رجل يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب  
هذا القبر » .

فأما أن يكون الغزالي يفتري على هؤلاء أو يجهلهم أو يحكي عن  
آخرين في عالم مجهول . والله أسأل أن يهدينا ويهدي الشيخ الغزالي لما  
اختلف فيه من الحق بإذنه وأن يحسن ختامنا<sup>(١)</sup> حتى لا نلقى الله مفلسين من  
الحسنات بكثرة الخوض في أعراض المسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه .

---

(١) مات الغزالي في حفل غنائي في الجنادرية بالسعودية ، نسأل الله العافية ، وحسن الختام .

## فتوى بفرخة

قال أحد كبار الساسة العرب يسخر من مشايخ بلده وهو يعني ما يقول: إذا أردت فتوى من شيخ ... فاذبح له فرخة . ولبئس ما قال ؛ فإن هذه الجامعة التي سخر من علمائها وشيوخها من أعرق جامعات العالم الإسلامي وقد خرجت كثيراً من أفاضل العلماء ، ولكن يبدو أن لكلام هذا الزعيم العربي أصلاً ، والعجيب أن هذه الفرخة تتناسب مع حجم الفتوى ، وقد تصل أحياناً إلى فرخة ذهب ويبدو أن مفتينا الذي حاز فرخة الذهب هو ذلك الذي خرج على الناس منذ أيام بفتوى أجاز فيها شهادات الاستثمار وأرباحها وما يشبهها كصناديق التوفير ، وقد سبق هذه الفتوى معارك وردود ساخنة من مشايخ الأزهر وغيرهم في الداخل والخارج ولكن مفتينا الذي خرق الإجماع بفتواه ، وأتى بما لم يأت به الأئمة ، ولا رصيد له من العلم النافع لا من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس ، ولا قول عالم من قبل ولا من بعد بل قد تضافت فتوى العلماء على تحريم الفوائد البنكية الربوية ، فقد أجمع العلماء والفقهاء على أن « كل قرض جر فائدة فهو ربا » ، ومن أوائلهم الدكتور يوسف القرضاوي ، بل إن فضيلة المفتي رمى بفتوى علماء المسلمين القائلين بأن الفائدة على أنواع القروض ربا محرم عرض الحائط ، ترى هل خرق الإجماع ومخالفة الكتاب والسنة والسلف والخلف دين يدان الله به؟! وهل يجب على الأمة اتباع مفت تائه زل قلمه ، وأفتى وفق أهواء آخرين رغبة أو رهبة؟! لو كان هذا المفتي في جلاله مالك ، وربيعه ، وأبي حنيفة وخالف حكمه شرع الله ما أخذ به ، كيف وهو موظف في بلد مثقل

بالديون فأفتى فتوى اقتصادية سياسية درت على البلاد مليارات الدولارات المحرمة بضغط لا يعلمها إلا الله وإلا ما الحامل على مثل هذه الفتوى ، ورحم الله الإمام مالك حيث قال : « كل رجل يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر » (يعني النبي ﷺ) ، ورحم الله الشافعي حيث قال : « إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله وسنة نبيه فاضربوا بقولي عرض الحائط » .

ما أحوج مفتينا إلى تدبر قوله تعالى : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١] ، لقد أدرك أعداء الإسلام أن طعن الإسلام لا يكون قاتلاً إلا إذا حمل خنجره « شيخ » ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، ولذلك قال أحد المحسوين على الإسلام ظلماً وزوراً : « لا يقضى على الإسلام إلا بالإسلام » ، ونحن لا يهمننا عمامة كالبرج وجبة كالخرج بمقدار ما يهمننا في العالم خشية الله وتقواه ونزاهته وعمله بالشرع ظاهراً وباطناً ، والحمد لله الذي لم يجعل لأحد حجة على دين الله فلا صكوك غفران ولا صكوك كفران ، وإذا كانت القضية قضية زي فحسب ، فهذا نابليون بونابرت دخل بلداً إسلامياً ولبس فيه عمامة وجبة وافتتح دوراً للقرآن مع أنه يديه ملوثة بدماء الأبرياء ، والشيطان قد خرج على المشركين على صورة شيخ ليضلهم ويشاركهم الرأي في اغتيال النبي ﷺ .

وعليه فأى قول لعالم أو شيخ مهما سما وعلا إذا خالف شرع الله نبذناه وطرحناه ولا كرامة ؛ لأن الحق لا يعرف بالرجال ولا بكثرة الأصابع المرفوعة ، وإنما يعرف الحق بالدليل من الكتاب والسنة وعمل سلف هذه

الامة الذين شهد لهم النبي بالخيرية .

ورحم الله من قال: « لو تتبعت زلة كل عالم لاجتمع فيك الشر كله » ،  
وما كان لعالم ولا متعلم أن يشرع في دين الله ما لم يأذن به الله فيدخل في  
وعيد قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ  
اللَّهُ ﴾ [ الشورى : ٢١ ] .

وقوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾  
[ التوبة : ٣١ ] فقال عدي بن حاتم : والله ما اتخذناهم أرباباً قال عليه الصلاة  
والسلام : « ألم يجلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فأطعمتموهم » ؟  
قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « فذلك اتخذكم إياهم أرباباً من دون الله » .  
وعليه فليس فتوى فضيلة مفتي الثقلين هي الأولى في تحليل ما حرم الله  
فقد أفتى شيخ مثله قبل سنين بجواز الصلح مع اليهود فشجعت هذه الفتوى  
السادات على الذهاب إلى قتلة الأنبياء والمرسلين مصافحاً معانقاً ، ولكن  
أسقط في يديه (أي السادات) عندما ذهب لصلاة الجمعة في المسجد الأقصى  
فقال له خطيب المسجد الأقصى يومئذ « لقد ظننتك فاتحاً يا صلاح الدين » !!  
لم يشبه ذلك الشيخ الهالك صلح السادات مع اليهود بصلح النبي ﷺ  
مع المشركين في الحديبية مع الفرق الشاسع بينهما ، والعجب أن الآلاف  
المؤلفة - من الذين في قلوبهم مرض - ينتظرون هذه الزلة ومثل هذه الفتوى  
ليملئوا بطونهم من الربا المحرم فيتهافتوا على البنوك الربوية تهافت الفراش  
على النار ، ولسان حالهم يقول : « وأنا مالي ما دام الشيخ طنطاوي أحلها »  
على رأي المثل : « دبهـا في رأس عالم واطلع سالم » ؛ ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ

مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ [الكهف: ٥] ، أما علم هؤلاء أنهم  
مسئولون عن أنفسهم فيما اجترحوه ، وأن مفتيهم هذا (واسع الذمة) لن  
يغني عنهم من الله شيئاً .

إنني أهيب بعلماء العالم الإسلامي أن يجمعوا هذه الفتنة التي اشأبت  
بعنقها - في أكبر بلد إسلامي - قبل أن يستفحل خطرها ويتشر شررها  
فيأكل الأخضر واليابس . ولات ساعة مندم ، وأخشى ما أخشاه أن يخرج  
علينا شيخ آخر فيقول : لا دين بعد اليوم فالإسلام لا يصلح لهذا الزمان  
زمان الذرة والتكنولوجيا والصواريخ عابرة القارات ، قال النبي ﷺ : « إن  
أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون » [أخرجه أحمد والطبراني] ، وصدق  
النبي ﷺ عندما قال : « ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحِرَّ (الزنا) والحريير  
والمعازف والخمور ، يسمونها بغير اسمها » [أخرجه البخاري] ، وكل ما حذر  
منه وقع بأسماء مزخرفة .

وأختتم حديثي بقوله ﷺ : « الربا بضع وسبعون باباً ؛ أدناها كأن  
ينكح الرجل أمه » . « مشكاة المصابيح » (٢٨٢٦) .  
وقوله : « درهم ربا يأكله المرء أشد من ست وثلاثين زنية » [أخرجه أحمد  
والطبراني] .

وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

نعم عندنا جواب ...

أن يسكت « الرويضة »

في العدد (٥٠٣) من مجلة « المجلة » وقفت عند مقال للكاتب فهمي هويدي عنوانه : « نهي الصحبة عن النزول بالركبة » ، وهذا العنوان ليس من عنده ، وإنما هو عنوان للكاتب لأحد طلبة العلم المشتغلين بالحديث النبوي الشريف « العلم النافع » ، خلافاً للكاتب فهمي هويدي ؛ الذي يعده غير نافع ، وقد حاول الأستاذ فهمي هويدي أن ينال بكل ما أوتي من فصاحة وبيان من أصحاب هذه المدرسة التي ينتمي إليها هذا المؤلف وغيره من الآلاف المؤلفة من جماهير المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

والقضية - كما تبدو للذكي الواعي المتبع لمقالات فهمي هويدي وإخوانه - ليست في تأليف رسالة لا تدخل في سلم الأولويات ، ولكن الأمر أبعد من ذلك ؛ وهو تشويه صورة منهج أصيل سار عليه سلف هذه الأمة من خير القرون ، والقضاء عليه وإظهاره بمظهر الدخيل الضار ، الذي اجتمع فيه الشر كله ، هذا هو الدافع الرئيسي وراء كل هذه الحملات المسعورة التي ينفثها قلم الأستاذ هويدي ومن هم على منهجه .

وحتى ن نصف الرجل لا بد أن نبين طرفاً من مقاله وندرس حالته لنرى ما يحمل من نظرة متشائمة تجاه هذه الفئة المؤمنة العاملة بالإسلام ظاهراً وباطناً .

قال غفر الله لنا وله : « نهي الصحبة عن النزول بالركبة عنوان لكتاب حقاً ، لكنه أيضاً عنوان لمدرسة في الساحة الإسلامية متعددة الشعب وغارقة

حتى الآذان في تحصيل العلم الذي لا ينفع ، وهي تستحق منا وقفة بعدما تمددت في فراغنا الفكري ، وغدت مادة للفظ والثرثرة من جانب البعض ، ومصدراً للشغب على المسيرة الإسلامية من ناحية أخرى .

قلت : أما قوله : « متعددة الشعب وغارقة حتى الآذان في تحصيل العلم لا ينفع » ، فهذا إفك ؛ فهؤلاء - والله الحمد - اجتمعوا على كلمة سواء تربطهم عقيدة السلف والمنهج السوي الذي خطه الأئمة المجتهدون في الفروع ، أما اختلاف المسميات « بالسلفيين » تارة و« بأهل الحديث » تارة أخرى و« بأنصار السنة » وغير ذلك ، فهذا لا يضر ؛ إذ إن الجوهر واحد وهو العودة بالأمة إلى ما كان عليه الناس في الصدر الأول من الإسلام عقيدة وسلوكاً وعلماً وعملاً وهم - لله الحمد - من أكثر العاملين بالإسلام لا كما يقول الأستاذ هويدي وغيره . وأما اشتغالهم بالعلم فهذا من أبرز سمات دعوتهم ، اشتغالهم بالعلم القائم على الأدلة الشرعية ، وهنا سؤال يطرح نفسه يجيب عليه الأستاذ هويدي : هل الذي يشتغل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة - رضي الله عنهم - والعلماء من السلف والخلف يكون مشتغلاً بتحصيل العلم الذي لا ينفع؟! وأي علم بعد كتاب الله وسنة رسوله وآثار السلف الصالح الذين تميز هؤلاء بالاشتغال بعلومهم ! .

ولكن يبدو أن الأستاذ هويدي لا يفرق بين العلم النافع والضار قال تعالى : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٠٢] ، وهذه جاءت في قصة هاروت وماروت وبين الله تعالى أن تعاطي السحر وتعلمه من تعاطي العلم الضار - غير النافع - فهل أصبح المشتغل بالحديث النبوي

والفقه ومسائل الخلاف كالمشتغل والمتعاطي للسحر ، سبحانك هذا بهتان عظيم !

بل أقول لك يا أستاذ هويدي بكل صراحة : إن المتتبع لمقالاتك في مواضع شتى يجدها خاوية على عروشها تفتقر إلى العلم النافع وكيف تنال حظها من العلم النافع وقد خلت من ذكر الله ، والعلم كما عرفه العلماء : قال الله ، قال رسوله ، قال الصحابة ، فأين مقالاتك والعلم النافع ؟ بل صدقني إن الكثير من مقالاتك ينطبق عليها المثل الشامي «علاك مصدي» ، وإني أنصحك أن تشتغل بالعلم النافع الذي يشتغل به هؤلاء الذي من ثماره اليانعة ظهور السنة على وجهك ومظهرك ومخبرك وكفى بها نعمة ، هل العلم النافع هو الذي يدعو إلى حلق اللحية والشارب ولبس البنطال ومصافحة الأجنبية وموالة الرافضة ؟!

ورحم الله الإمام مالك عندما سئل عن حلق شاربه قال : أرى أن يوجع ضرباً فكيف بمن غير خلق الله واتبع الشيطان في دعوته لتغيير خلق الله فذبح سنة رسول الله صباح مساء ، ثم لماذا هذا الغيظ - الذي يكاد يتميز منه الأستاذ هويدي - من أمثال هذه الرسائل النافعة كرسالة الأخ الحويني هذه ، ثم ألم يختلف العلماء في الفروع ؟! ألم ينتصر كل عالم لمذهبه وفق ما يدين الله به وعملاً بالأدلة عنده ؟!

من الذي يحقق القول في مسائل الخلاف العوام وأشبه العوام كأمثالك ، أم العلماء وطلاب العلم ؟ ولماذا إثارة هذه الزوبعة على هؤلاء ولماذا تجاهلت خدمات مدرستهم المباركة في تصحيح عقائد الناس والقضاء على آلاف الخرافات والخزعبلات والبدع ، لماذا تجاهلت أثرهم على أحاديث

الرسول ( ﷺ ) ؟ لقد كان حُطَّاب الليل قبل ظهور هؤلاء يحدثون على منابرهم بكل ما هب ودب فلما ابتعث الله هؤلاء جددوا منهج علماء الحديث في كل ميادين العلم الشرعي ، لماذا يبغض هؤلاء حقهم ودورهم في المجتمع الإسلامي ؟ ويلمع آخرون لا يعرفون إلا بخلق اللحى ، واتباع مناهج الإفرنج ومصافحة النساء . إن هذه المدرسة - التي تغمز أهلها يا أستاذ هويدي - هي مدرسة البخاري ومسلم والأئمة المتبوعين ومدرسة الصحابة من قبل ومدرسة أهل الحديث قاطبة ... إنها مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأفاضل علماء هذا العصر كابن باز والألباني وابن عثيمين وغيرهم ، أفكل هؤلاء ليسوا على شيء عندك ؟ وأي مسيرة هذه التي غدت هذه المدرسة مصدراً للشغب عليها ؟ كأن هذه المدرسة نشاز وما هي إلا مدرسة محمد ( ﷺ ) وأصحابه ، ولكن وراء الأكمة وما وراءها . والمدرسة العقلية الدخيلة على الإسلام ، ولأهداف خبيثة ووجهت سهامها إلى هذه المدرسة ؛ لأنها نموذج حي للإسلام الذي عاشه السلف الصالح رضي الله عنهم . وإن كان في بعضهم دخن فلا ينال بذلك من منهج هذه المدرسة القائم على الكتاب والسنة وعمل خير القرون .

ثم قال الأستاذ هويدي : « إنني لست من الصحبة المعنيين بالخطاب كما أنني لست مشغولاً بقضية الركبة » .

وهنا مغالطات : منها أن مؤلف كتاب « نهي الصحبة » لم يجعلها قضية ذات بال إلا لما كثر حولها اللغظ والغلط واللغو والثرثرة ولذلك قال : « ثم إن المسألة ليست بكل ذلك حتى نقيم الدنيا ونقعد لها ، فإن أمتنا مفككة أوصالها منقصمة عراها ، فالاختلاف في هذه المسائل الفرعية بهذه الحدة لا

يزيد الأمر إلا اشتعلاً ويجعل خاتمة أمرنا وبالأ ، فاللهم وفقنا إلى العلم النافع والعمل الصالح ويسر ما عسر من أمرنا ... إلخ .»

إذن فالمؤلف لم يجعلها قضية بدليل قوله في المقدمة : « أما مسألة النزول باليدين أو الركبتين فلا تبطل الصلاة بالنزول بإحدهما كما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه في « الفتاوى الكبرى » ، إذن ما هي الغاية وراء هذه الزوبعة إلا الإثارة والتحريض ونهش أعراض الأبرياء من غير حق ، ولعل الأستاذ هويدي لم يجد ما يطعن به هؤلاء فافتعل هذه الزوبعة الإعلامية ومما يؤسف له قول الأستاذ هويدي « وأزعجني أنني وجدت بين أيدي أولئك الشباب (أي الذين التقى بهم في البلدان التي ذكرها) كتباً أو رسائل ماضية على الطريق ذاته يبدو أنها من مقررات تلك المدرسة ، وكان لبعضها عناوين مثل : « الواحة في جلسة الاستراحة » و« الرد على من قال بتهديب اللحية ».

قلت : قد يتبادر إلى ذهن القارئ أن مقررات هذه المدرسة من رسائل وكتب هذه عناوينها إنما هي كتب سحر وشعوذة وخرافة ؛ ككتاب « شمس المعارف الكبرى » ، أو كتب إلحاد وزندقة ككتاب « أولاد حارتنا » و« آيات شيطانية » ، أو فجور وخنا ككتب إحسان عبد القدوس ، وأشعار نزار قباني ، فإذا وقعت يده على بعضها صدم من كلام هويدي ، وكيف لا يصدم وهو يرى الأستاذ هويدي ينزعج من كتب حوت بين دفتيها العلم والتحقيق القائم على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال سلف هذه الأمة .

ولماذا لا تكون هذه الرسائل النافعة من مقررات هذه المدرسة المباركة وهي تبين لنا صفة صلاة النبي ( ﷺ ) أعظم ركن عملي في الإسلام وإذا لم تصلح صلاتنا فماذا يصلح من أمرنا ؟ وإذا لم يصلح مظهرنا دب الخراب إلى

باطننا وإن ملأنا الأرض ، والظاهر عنوان الباطن ، وكل إناء بما فيه ينضح ، « ومن تشبه بقوم فهو منهم » ، والمسلم له هويته وشخصيته الإسلامية ، والإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني ، وإنما هو بالإخلاص الصادق والعمل الصالح . ثم قال : وعندئذ عدت إلى كتاب « نهي الصحبة » لبحث حالة المؤلف وليس لتقصي المسألة التي شغل نفسه بها .

إذن فالنية الفاسدة مبيته من قبل والعودة للكتاب لم تكن لله خالصة وإنما لتقصي العيوب وكشف السوءات وليت الأستاذ هويدي عاد بطائل ولكنه عاد بخفي حنين ، ولم ينتفع بما حوت هذه المسألة من علم نافع . ثم قال - أي الأستاذ هويدي - : « ولم يكن اتباعه لمبدأ انشغال الشباب بالموضوع كما قد يتبادر للذهن ؛ بل لأنه وجدهم يحتجون بكلام ابن القيم والألباني معاً » .

قلت : إن الذهن الكليل هو الذي يسوي بين الاشتغال بمسألة من مسائل الدين وبين الخوض في أعراض العلماء الربانيين أمثال الحافظ ابن القيم والألباني ، فغاية ما في الاشتغال بمسألة فرعية الكراهة لترك الأولى ، أما الخوض في أعراض العلماء وشتهم فهذا حرام بإجماع المسلمين ، فكيف يسوي الأستاذ هويدي بينهما والحكم في الأولى الكراهة ، وفي الثانية التحريم . ولا يستطيع الأستاذ هويدي ولا غيره أن يمنع الخوض في ما اختلف فيه لأنه قائم على ما جاء به الرسول ﷺ .

ومن أظلم ممن منع ذلك ولكن الممنوع أن يصبح أعظم الهموم . وقد حاول الأستاذ هويدي أن يجعل القول بالنزول على اليدين مذهب المؤلف والألباني ، وهذا تضليل للقارئ الكريم ؛ وذلك عندما قال : « وذكر

المؤلف أنه ارتاع لما سمعه ولم يكن ارتياعه لمبدأ انشغال الشباب بالموضوع ... بل لأنه وجدهم يحتجون بكلام ابن القيم والألباني « ؛ فالنزول على اليدين قال به الحافظ ابن حجر أيضاً ، بل قال ابن حزم بوجوبه ، ومن ذهب إليه أيضاً ابن سيد الناس ، والمحقق العلامة أحمد شاکر ، فما تجاهل هويدي كل هؤلاء إلا ليرمي هذه المدرسة بالشذوذ ومخالفة الأمة ولذلك قال ساخراً تمهيداً لإصدار كتاب مضاد بعنوان : « حث الصحبة على النزول بالركبة » ، أو بعنوان « سقطت الشيخين الألباني وحجازي في النزول باليدين » .

فالكاتب هويدي أوهم القارئ بأن الخلاف في النزول بالركبة أو اليدين لا يتعدى ابن القيم والألباني من أجل ذلك لم يتعرض بالذكر لمن وافق الألباني والمؤلف فأين الأمانة العلمية يا هويدي؟! وقد حاول الكاتب هويدي أن يثبت أن المشاجرات والملاحم والمذابح بكافة الأسلحة سببها مثل هذه المسائل ولذا يجب اطراحها ، ونسي هويدي أو تناسى أن السبب سوء التربية والتعصب المذهبي المقيت الذي ابتليت به الأمة بعد خير القرون وإلى زماننا هذا .

ثم يشتط الكاتب هويدي شططاً ما بعده شطط عندما يقرر فيقول : « هذه شعبة أخرى في مدرسة العلم الذي لا ينفع ، الأولى روادها من الشيوخ الذين تخصصوا في الأشكال والشعائر ، والثانية رموزها من الشباب الذين آثروا التخصص في أمور العقائد . إلى أن قال : « لا نريد أن نقع في خطأ التعميم فنعطي هذه المدرسة أكثر من حجمها ؛ إذ تظل بكل شعبها شذوذاً واستثناءً على الخطاب الإسلامي العام » .

فالكاتب هويدي يقرر أن الاشتغال بالأشكال اشتغال بالعمل غير

النافع من أجل ذلك تخلص من الشكل الإسلامي اللائق بالمسلم المتبع لا  
المتدع ، ويرى أيضاً : أن الاشتغال بالشعائر من هذا القبيل ، ولازم قوله :  
أن على المرء أن يصلى كيفما يهوى وكيفما يحلو له ولا بأس بأن يرمي  
عرض الحائط بقول النبي ﷺ : « صلوا كما رأيتموني أصلي » [رواه البخاري] ؛  
لأن العبرة بما في القلب والأصل تحصيل روح الصلاة لا شكلها وهيئاتها  
وليس وراء ذلك أفسد من هذا القول ولا أكثر منه زوراً .

بل إنه لتهوكة يرى الاشتغال في مباحث العقيدة من هذا القبيل فهو  
منزعج جداً من تخصص بعض الشباب في أمور العقيدة ، لأن هذا أيضاً عنده  
من العلم الذي لا ينفع ، إذن فالأنبياء كلهم عندما قالوا : ﴿ يَقَوْمِ اعْبُدُوا  
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف في أكثر من موضع] ، اشتغلوا بالعلم الذي  
لا ينفع ، سبحانه هذا بهتان عظيم وتعالى الله عما يقول هويدي وإخوانه  
من العقلانيين الضالين علواً كبيراً ، إن أول غايات الأنبياء والرسل تصحيح  
عقائد الناس وعباداتهم والاشتغال بالعقائد والأحكام اشتغال بالذي من  
أجله قامت السموات والأرض قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا  
لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

فانظر يا رويضة يا هويدي فيما تقول واتق الله في نفسك .

وأما قولك : « ناهيك عن الموقف العقلي الذي لا يتسم بالسعة  
والرحابة ذلك الذي يفترض في المسائل الاجتهادية أن هناك صواباً واحداً  
وليس صوابين ... لاحظ أن مؤلف كتاب « نهي الصحبة » وصف ابن القيم  
بأنه « جمع » عندما قال بالنزول بالركبة بينما هناك قضايا عديدة تحتمل أكثر

من صواب طالما أن كل صاحب اجتهاد له دليله الصحيح » .

قلت : أين وصف مؤلف : « نهي الصحبة » ابن القيم بـ « جمع » ؛  
فالنسخة التي بين يدي من طبع دار الأندلس بجدة ليس فيها هذه العبارة ،  
اللهم إلا إذا كانت النسخة التي بين يدي الكاتب الصحفي هويدي فيها هذه  
الزيادة ، فهل هي زيادة ثقة أم أنها زيادة شاذة ؟!

ثم قال : إن أصحاب هذه المدرسة لا يتسمون بالسعة والرحابة في  
المسائل الاجتهادية ؟! وأنهم يرون ما عندهم هو الصواب فقط ؟ هذا من  
جملة ما يشغب به عليهم الحاقدون أمثال هويدي ومن لف لفه ، وإلا فهم من  
أوسع الناس فقهاً ، ومناظرات مشايخهم معروفة مشهورة ، وهم إذا انتصروا  
لمذهب قامت عليه الأدلة أو ردوا ما لهم وما عليهم ثم ردوا شبه المخالفين ،  
ومن حق كل عالم أو طالب علم أن يتنصر للحق الذي يراه ، وهذا لا  
يستلزم بخس الآخرين رأيهم ومذهبهم .

وأخيراً تمخض الجمل فولد فأراً ، فقرر الكاتب هويدي ما بدأ به ،  
وخرج بالنتيجة نفسها وهي : النيل من أصحاب هذه المدرسة ، وطعن المنهج  
الذي يسرون عليه ، ليطعن بذلك كل ماضي الأمة الإسلامية المشرق ؛ بدءاً  
بالسلف من الصحابة والتابعين ، وختاماً بالأئمة المجتهدين المجددين لهذا الدين  
على مر العصور والدهور ؛ فالقضية التي تشغل بال الصحفي هويدي  
ومدرسته سلخ الأمة من نهج سوي قائم على الكتاب والسنة يجعل العقيدة  
والعبادات همه الأكبر ، يشتغل أهله بالعلم النافع لا بالسفسطة والآراء  
العقيمة ؛ فقال: « ثم ألا تلاحظون أن مناهج تلك المدرسة وشعبها تصب  
كلها خارج الزمن ؟ أليس الجدل حول تلك القضايا الشكلية والعقيدية تعبيراً

عن هجرة الدنيا والهروب من الواقع؟ أليست بمثابة استقالة من « الاستخلاف في الأرض » الذي يجعل المسلم مسئوليته عمارة الأرض وزراعة الخير في الدنيا والآخرة؟

وإذا انسقنا وراء هؤلاء لا قدر الله فكيف يكون حالنا ومآلنا؟ هل هو الإحباط الذي حل بالجميع حتى يسوا من الحاضر والمستقبل، فاتجهوا إلى العدم واللامعقول والجدل لمجرد الجدل؟ هل هو القهر الذي أصاب العقول بالخوف والعجز وصادر حريتها في أن تتوجه إلى ما هو حيوي ومصيري، فلم تجد أمامها فسحة للحركة إلا في كل ما هو هامشي وعقيم؟ فلو قدر للناس أن يشاركوا في صنع مصيرهم ويجهروا بالحق دفاعاً عن العدل والحرية والشورى وكرامة الإنسان لما انصرفوا عن كل ذلك واتجهوا إلى ما قد نسميه: « الانتحار الفكري » .

هل هو الفراغ الفكري الناشئ عن ( تأمين ) العقل الإسلامي ومصادرة أو ملاحقة التجمعات الإسلامية المشروعة في عالمنا العربي الأمر الذي أغلق الأبواب دون نمو الفكر الرشيد والمستنير؟ هل هو الزمن العربي الذي تراجعت فيه الأحلام الكبيرة فانفتح الباب للأحلام الصغيرة والكليلة؟ .

هكذا أنهى هويدي مقاله باليأس وإعلان الإفلاس على رءوس الأشهاد ووصف أناساً بالضلال لأنهم يلهثون خلف كل ما هو هامش؛ بدليل قوله: « وإذا انسقنا وراء هؤلاء وهؤلاء لا قدر الله فكيف يكون حالنا ومآلنا » .

ونحن نقول لهويدي ومدرسته: إذا كان الاشتغال بالعقائد والعبادات هامشي وعقيم، فدع هذا واشتغل أنت ومدرستك وتجمعاتك المشروعة، وأقيموا دولة الإسلام ونحن نبارك خطاكم ونقلدكم اللواء، ولكن دونكم

خرط القتاد ؛ لأنكم لم تنهجوا منهج السلف ولم تختاروا سبيلهم ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا  
السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ .

فلمست يا رويضة وأمثالك أهلاً للاستخلاف ؛ لأن الاستخلاف لأهل  
التوحيد البريئين من الشرك ؛ قال تعالى : ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي  
شَيْئاً ﴾ ، وقال : ﴿ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ  
مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ ، فأين أنت يا هويدي من هؤلاء الموعودين  
بالاستخلاف في الأرض .

ورحم الله مالكا حيث قال : « ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح  
به أولها » فهل أنتم كذلك !؟ لا وألف لا .  
ورحم الله الشاعر حيث قال :

**وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت      أتاح لها لسان حسود**

أراد هؤلاء التشهير بأصحاب هذه المدرسة فشهرتهم أكثر من على  
منابرهم ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .  
فهل أدرك الأستاذ هويدي وأصحابه أن الجهد الذي يبذله في النيل من  
هؤلاء ، الأجدر به أن يدخره للنيل من أعداء الإسلام من العلمانيين ،  
والشيوعيين ، والماسونيين ، والمخرفين الضالين . اللهم قد بلغت .. اللهم  
فاشهد!؟

## مهلاً أيها العلمانيون ...

### من المتطرف؟! السلفيون أم أنتم؟!

في العدد ( ٣٥٢ ) من جريدة « الأيام » البحرينية وفي الصفحة التاسعة كتب سامي الرزاز في زاويته « بلا حدود » كلاماً خطيراً عزاه لرجل من أصحاب المدرسة العقلية ومن أكثر الكُتّاب دعوة للعلمانية هو الكاتب فؤاد زكريا ، ويبدو من خلال تباعي لمقالات الكاتب الرزاز أنه والرجل - أي صاحبه - على ملة واحدة وإن حاول الرزاز إخفاء هذه الحقيقة ، فكما قال تعالى : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْثَبَرٌ ﴾ ، وكثيراً ما يحاول الرزاز في مقالاته أن يمسك العصا من الوسط حتى يظهر للقارئ الكريم بمظهر الحيادي الذي لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وإنما هو ناقل فقط و(ناقل الكفر ليس بكافر) كما قرر ذلك الأصوليون وحتى لا نبخس الرجل حقه أقول : إنه موفق - في الغالب - عند طرحه للقضايا السياسية العربية ، ولكن - وللأسف الشديد - إذا كتب حول الشؤون الإسلامية العربية والدولية كان متعسفاً مشككاً غامزاً لامزاً مائلاً عن الصواب إلى حد بعيد ، والمقام لا يتسع لضرب الأمثلة ، بل من يتأمل كتاباته في الشؤون الإسلامية يرى أن الرجل لا يكتب بروح إسلامية بل ولا عربية - لأنه لا انفصال بين العروبة والإسلام - ولا أذهب بعيداً إذا قلت : إنه أحياناً يكتب بنزعة صليبية حاقدة يدركها البصير المتأمل وتخفى على الدهماء والعامّة؟!!

وبعد هذه المقدمة فلا عجب أن ينشر كلاماً لرجل ضل السبيل كرس جهده وجمع خيله ورجله للدعوة إلى العلمانية ( محاربة الإسلام ) وعلى وجه الخصوص المتمسكين به حقاً ، ولو تأملنا كلام زكريا هذا الذي يقدم له الرزاز - كما لو أن كلامه نزل به الروح الأمين - لوجدنا فيه الكفر الصراح ، وهكذا دعاة العلمانية لا تربطهم بالدين رابطة يتنكرون لماضي أمتهن المشرق - الذي أنار الله به الأرض - ويصفونه بأنه : « أشد أنواع الفكر تخلفاً » ، ويصف ما عليه المسلمون اليوم من إسلام فيقول : « إن النتيجة الطبيعية لذلك هي الحالة الراهنة من التخلف الفكري والعجز عن ملاحقة العصر والتعلق بأوهام الماضي » ، ويثني بالمقابل على التيار العقلاني العلماني (الإلحادي) واصفاً إياه بـ : « المستنير » .

ثم يبالغ في التطرف عندما يقول : « إن أجهزة الإعلام الرسمية تشجع هذا النوع من التفكير (يعني السلفي) وتملأ ساعات الإرسال ببرامج تنتمي إلى أشد أنواع الفكر تخلفاً » . ونحن نقول : هل هذه البرامج التي تبثها أجهزة الإعلام - التي أشار إليها - تبث الإسلام أم شيئاً آخر يخالف الإسلام؟! فإن وصفت القرآن وحديث الرسول ﷺ بالتخلف - حتى وإن زعمت أنه تطرف ديني - فقد حكمت على نفسك بالكفر وانسلخت من دينك وأمتك!! وللعلم أقول : إن الاتجاه السلفي هو من أكثر الاتجاهات الإسلامية ملاحقة ومحاربة في دول العالم العلمانية عربية كانت أم غير عربية ، بل إننا نجد السجناء في بعض الدول العربية قد ملئت بأصحاب هذا الاتجاه ؛ وذلك لأنهم يحملون الإسلام نصّاً وروحاً تشبثوا بهويتهم الإسلامية وتمسكوا بالإسلام الصحيح ولم يوافقوا العلمانيين على إلحادهم وكفرهم وزندقتهم ،

بينما نجد أن دعاة العلمانية يصولون ويجولون تسلقوا عشرات بل مئات المنابر في أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة ، ونعبوها من عليها نقيب الغربان ، فكلام الكاتب فؤاد زكريا بعيد كل البعد عن الصواب جملة وتفصيلاً .

وأما قول الرزاز فيما نقله عن صاحبه : « لأن التيار السلفي هو في نهاية الأمر تيار يميني لا يملك برنامجاً واضحاً في الاقتصاد بمختلف جوانبه ولا في السياسة الخارجية ولا في العلم والتكنولوجيا ... » .

فأقول : إن هذه التسميات هذا يميني وهذا يساري فكلاهما بدعة لا يعرفهما الإسلام وإنما في الإسلام شيء واحد هذا كفر وهذا إسلام وهذا مؤمن وهذا منافق زنديق مرتد أمثال دعاة العلمانية أما كونهم أي السلفيون (وهو يعني المسلمين المتمسكين بإسلامهم) لا يمتلكون برنامجاً اقتصادياً ولا سياسياً ولا علمياً تكنولوجياً ؛ فذلك لأنهم لم يمكنوا من الحكم ولو مكنوا لحكموا الإسلام ولا شيء غير الإسلام - الذي جعل الله فيه سعادة البشرية - إلى قيام الساعة ؛ لأنه من لدن حكيم خبير ، وقد رأينا كيف كان أسلافنا عندما مكنوا من الحكم ؟! قد فتحوا الأمصار وساسوا الرعية بالعدل والإنصاف وشجعوا العلم ، فتقدموا في الصناعات بينما كانت أوروبا في ظلام دامس .

وكثر الخير في زمانهم حتى كان الرجل يطوف بالصدقة فلا يجد من يأخذها ، فالقول بأنهم لا يمتلكون برنامجاً اقتصادياً .. الخ كذب وزور وبهتان ؛ لأنهم يمتلكون الإسلام العظيم بكل ذلك قال تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا

فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴿١﴾ ولكنه الطعن ومحاربة دين الله باسم التطرف والسلفية ، وما السلفية إلا الإسلام ، وما الإسلام إلا السلفية ، ولكن يسمونها بغير اسمها ليجدوا لها آذاناً صاغية وقلوباً واعية مصداقاً لقوله عليه السلام : « ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحر والحرير والمعازف والخمور يسمونها بغير اسمها »<sup>(١)</sup> ، وبهذه المناسبة : أخطر المسلمين من أصحاب الأقلام المسمومة المستوردة المستأجرة التي تسلقت منابرنا ظلماً وزوراً باسم الإسلام والإسلام منهم براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، وأذكرهم بقوله عليه السلام : « أخوف ما أخاف على أمي كل منافق عليم اللسان »<sup>(٢)</sup> .

وقوله : « إنهم دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه في النار قالوا منا يا رسول الله قال : إنهم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا »<sup>(٣)</sup> .

وأخيراً أقول للأستاذ الرزاز : «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»<sup>(٤)</sup> ؛ فإن كان صاحبك لم يجد من ينشر مقاله المسموم المحموم فكيف أبحث لنفسك نشره على الناس مع ما فيه من طعن بالإسلام والمسلمين . والسلام على من اتبع الهدى .

(١) رواه البخاري (٥٥٩٠) عن أبي مالك الأشعري ، وللأخ الشيخ علي بن حسن جزء مفرد في تخريج هذا الحديث .

(٢) أخرجه ابن حبان في « الصحيح » (٢٨١/١ - رقم : ٨٠ - مع الإحسان) ، بإسناد صحيح ، والطبراني والبخاري كما في « المجموع » (١٨٧/١) وقال : رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه الإمام أحمد (٤٤-٢٢/١) عن عمر بن الخطاب .

(٣) متفق عليه عن حذيفة .

(٤) ويروى في هذا المعنى حديث ضعيف عن أنس بسند ضعيف ، كما قال شيخنا في « ضعيف الجامع الصغير » (١٠٤/٤ - رقم : ٤٠٢٨) .

## الرد المبين في صد عدوان

### الحزبيين

نشرت جريدة « الأيام » في عددها رقم (٨١) بتاريخ ٢١/١٠/١٤٠٩هـ في الصفحة الدينية تعقيباً واستدراكاً على مقالي « ظاهرة التعامل إلى أين » لأحد الإخوة كنى نفسه بأبي مجاهد ، وقد حاول الكاتب أن يستغل مقالي للنيل من آخرين دون بصيرة ولا بينة ولا تثبت ، وتقول عليّ ما لم أقل ، وزعم أن في مقالي تناقضاً ، ثم خرج عن موضوع البحث ليرفع أقواماً فوق الغمام ويضع آخرين في واد سحيق . ولهذا أقول :

أولاً : إن مقالي لم يكن موجهاً لفئة معينة لا تصريحاً ولا تلميحاً وإنما يعالج ظاهرة ابتليت بها الأمة الإسلامية في هذا العصر في كثير من بلدان العالم الإسلامي ، فلا داعي لحساسية أفراد أو جماعات ، والدين النصيحة .

ثانياً : أشكر الأخ صاحب التعقيب حرصه على النصيحة ، ولكن لا أحل له أن يفهم مقالي على غير ظاهره ويجيره لحسابه الخاص فينال من بعض الفئات الإسلامية. ويتجلى ذلك في قوله : « فنحن نرى أيامنا هذه شباباً لم يشتد عودهم بعد، يقفون في المساجد ليقولوا للناس: لا تصلوا قيام رمضان بل اكتفوا بإحدى عشرة ركعة ظناً منهم أنهم بذلك يفترون على الله ورسوله من جهة، وأنهم من جهة أخرى يفتحون الباب على مصراعيه - لشباب الإسلام- المتعطش إلى الرجوع إلى الله في شهر رمضان المطهر ليقضوا أوقاتهم على أرصفة الشوارع بدلاً من أن يكونوا متبتلين في محاريب الإيمان بالمساجد » .

أقول لصاحب التعقيب : أين هم هؤلاء الذين يقولون للناس لا تصلوا قيام رمضان؟! ما أجرأهم على الله وعلى دينه وشرعه؟! إن كل الذي قالوه: عدم جواز الزيادة على إحدى عشرة ركعة ، وهذا مذهب أم المؤمنين عائشة كما في « الصحيح »<sup>(١)</sup> ، ومذهب من وافقها من العلماء ، فهل يجوز أن يُرمى قائل هذا القول بفرية النهي عن قيام رمضان ، وأنه افترى على الله وعلى رسوله ، سبحانه هذا بهتان عظيم !! ثم يعقب المعقب قائلاً : « بل يقولون اكنفوا بإحدى عشرة ركعة » وكأن صاحب التعقيب يرى أن الإحدى عشرة ركعة بدعة أو أنه لا أصل لها في الإسلام مع أنها هي السنة التي واطب عليها النبي ﷺ في رمضان وفي غير رمضان ، ولو قال صاحب التعقيب : إنهم أو بعضهم يبدعون من زاد على الإحدى عشرة ركعة وانتقدهم بذلك ، لقلنا له ، أصبت ونحن معك في أنهم مخطئون في تبديع من زاد على إحدى عشرة ركعة ؛ لعموم الأدلة ولعمل كثير من السلف الصالح .

ثم نقول لأبي مجاهد : « هل من تبني والتزم الإحدى عشرة ركعة ودعا لها يكون قد فتح الباب على مصراعيه - لشباب الإسلام - المتعطش إلى الرجوع إلى الله في شهر رمضان ليقضوا أوقاتهم على أرصفة الشوارع بدلاً من أن يكونوا يتبتلون في محاريب الإيمان بالمساجد » .

إذا كان في الدعوة إلى السنة فتح لباب شر كهذا فعلى الدين والدنيا السلام .

وليعلم أبا مجاهد أن شباب الإسلام الذين تعلقت قلوبهم بالمساجد لن

(١) ينظر كتاب « صلاة التراويح » لشيخنا الألباني .

يفتنوا بهجر المساجد لمجرد خلاف مذهبي ولكل من رآه وجهة هو موليتها،  
فليطمئن بالاً أبا مجاهد !!

ثالثاً : قال صاحب التعقيب : ومن تمشيخهم أنهم يمنعون الناس عن  
المصافحة عقب الصلوات ، ادعاءً منهم أن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك .  
أقول : ليس هذا من التعامل في شيء بل قد أفتى ببدعية ذلك أئمة أعلام  
على رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية كما في « مجموع الفتاوى الكبرى » ،  
وكذلك الإمام العلامة أبو الحسنات اللكنوي ، وكذا صاحب « السنن  
والمبتدعات » ، وأخيراً اللجنة الدائمة للإفتاء وعلى رأسها سماحة الشيخ  
العلامة ابن باز ، فهل هؤلاء كلهم متمشيخون ؟!

وانظر غير مأمور رسالتي « تمام الكلام في بدعية المصافحة بعد السلام »  
لتعلم حقيقة الأمر ، ولكن في المسألة تفصيل لا بد من بيانه في هذا الصدد  
لئلا يتقول علينا البعض - وما أكثرهم - فيتهمنا أننا نفتي بتحريم المصافحة  
مطلقاً أقول : إن الممنوع في المصافحة عقب الصلاة ما كان على سبيل  
المداومة والاستمرار واتخاذها عادة ، واستحباب ذلك لأجل الصلاة ، وإنزالها  
منزلة الأذكار المسنونة والسنن الراتبة ، لأن الاستحباب حكم شرعي لا بد له  
من دليل ، فلا مانع من المصافحة لحاجة كغياب مسافر أو حديث أخوي أو  
عند لقاء أو بعد فراق من غير استحباب لأجل الصلاة .

وقال صاحب التعقيب : « وصور التمشيح التي تسير على قدم وساق  
كثيرة جداً لا مجال لحصرها هنا يستغلون فيها الناس والاعتزاز بالسنة  
الشكلية ... إلى أن قال ومن هذه الصور تحريم الدعاء بعد الصلوات وتحريم  
رفع اليدين عند الدعاء » .

قلت : هذه فرية بلا مرية ، وبهتان بلا برهان ، فمن ذا الذي تجرأ على تحريم مطلق الدعاء ، إنما الممنوع التزام الدعاء الجماعي عقب الصلوات على صفة دائمة ، وهذا ما لم يفعله النبي ﷺ ولا أصحابه الكرام ، بل نص كثير من الأئمة على بدعيته ، أما رفع الأيدي مع الدعاء ؛ فإن كان لخطيب الجمعة وللناس فهذا صحيح ، وأما وإن كان حالة الانفراد فلا يمنعه إلا جاهل غارق في مستنقع جهله ، وأنا مع صاحب التعقيب في ذلك ، وهل هناك سنن شكلية وسنن غير شكلية ؟ وإيم الله إن تقسيم الدين والسنة إلى قشر ولباب وشكلي وغير شكلي هو من أعظم بدع هذا العصر<sup>(١)</sup> .

ثم قال : « بالله عليكم رأي من نأخذ في مسائل الاقتصاد الإسلامي مثلاً ؟ رأي عالم كيوسف القرضاوي<sup>(٢)</sup> الذي كتب رسالة الدكتوراه في الاقتصاد الإسلامي وسخر حياته كلها في خدمة هذا المضمار؟ أم رأي شاب لم يقو على الوقوف بعد ولم يسمع إلا رأي عالم أو اثنين ثم يجرم ويحلل ويفتي على هواه ومزاجه » .

قلت : الدكتور القرضاوي على كثرة ما لنا عليه من مؤاخذات ، لكنه لا يخلو من إصابة بعض الحق - أحياناً - خصوصاً في تخصصه ، ولا يمنعنا توقيره من انتقاده فيما أخطأ فيه ، فكل رجل يؤخذ من قوله ويرد عليه كما

---

(١) لينظر كتاب صاحبنا وأحياناً الأستاذ سليم الهلالي «دلائل الصواب في بدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب» .

(٢) يشتم من كلام الكاتب النزعة الحزبية المقيتة التي تقدس رجالها وترفعهم فوق مراتب مجتهدى الأمة وكأنهم لا يخطئون ولا يأتيهم الباطل من بين أيديهم ولا من خلفهم ، مع أن العالم يؤخذ منه ويرد عليه ، ولكنها الحزبية التي أفسدت المناهج وزخرفت الباطل تغييراً لشباب الإسلام باسم الإسلام والعباد بالله .

قال الإمام مالك ، وقد كان رحمه الله إذا سئل عن علم لم يتخصص فيه كالقراءات قال : « كل علم يسئل عنه أهله ، دونكم نافع المدني فاسألوه » ، وقد أخذ عن نافع القراءات وأخذ عنه نافع الفقه والحديث . ولكن المذموم التعصب لشيخ بعينه وتجهيل سائر علماء الأمة .

وقال أيضاً : « نحترم علماءنا على الإطلاق ولا نخط من قدرهم على رؤوس الخلائق فلا ينبغي - كما أخطأ صاحب المقال - لشاب يافع أن يقاطع شيخنا أثناء الدرس أو الوعظ أو الخطبة مطالباً بالدليل أو راداً على ضعف الاستدلال ، فلقد علمنا الإسلام أن نكون متأدبين مع الناس جميعاً لا نقاطعهم ولا نخرجهم . ثم ذكر قصة أبا الوليد مع النبي ﷺ ، وقول النبي ﷺ له : « أفرغت يا أبا الوليد » . ثم عقب على كلامه وأوضح فكان نعم القدوة ومثال الأدب والاحترام » .

قلت : وهنا حمل صاحب التعقيب كلامي ما لم يحتمل وكلامي واضح في ذلك فإنني قلت : « فلم نكن نرى شاباً يستوقف شيخاً يعظ ويدرس منبهاً له على ضعف ما استدل به أو مطالباً بدليل شرعي على ما أفتى به ، وكل ذلك موجود الآن والله الحمد » .

هذا كل ما قلته ، وأين ذكر الخطبة في كلامي ؟ ومعلوم أن « مقاطعة الخطيب من غير حاجة وضرورة لا يجوز لأهل الجمعة لقوله عليه السلام : « إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب أنصت فقد لغوت » <sup>(١)</sup> ، فإذا كان إنكار المنكر ممنوع فمن باب أولى مقاطعة الخطيب ، أما مقاطعة الأعرابي وطلبه

(١) أخرجه ابن حبان وأبو داود ، وصححه شيخنا في « صحيح أبي داود » (١٠١٨) .

الاستسقاء من النبي ﷺ فكان لحاجة ماسة ، والأعرابي لم يكن من أهل الجمعة لإقامتها في البادية ، أما كلام الناس بعضهم مع بعض أثناء الخطبة فهذا حرام وهو من اللغو الذي نهى عنه النبي ﷺ ، ولماذا فهم صاحب التعقيب أنني أريد مقاطعته أثناء الدرس ، مع أن كلامي يمكن حمله على ما بعد الفراغ من الدرس ؟

أقول : حتى أثناء الدرس فمن الذي منع المناقشة العلمية مع المدرس أو الواعظ ، خصوصاً إذا أخذ يهرف بما لا يعرف ، أو يستدل بأحاديث موضوعة ، أو يطعن في عقيدة المسلمين جهلاً منه أو قصداً وعمداً ، ألم يقل النبي ﷺ للخطيب الذي جمع بين الله ورسوله في ضمير واحد : « بئس خطيب القوم أنت »<sup>(١)</sup> ، وأين قول النبي ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ... » إلخ ، ولازم قول المعقب : أن من فتح على الإمام أو المدرس يكون قد أخل بالأدب .

أقول : يجوز مقاطعة المتكلم بعد استئذانه أدباً معه وبياناً للحق ، ولا حرج في ذلك مع مراعاة الأدب الإسلامي في المناقشة ، والأفضل الانتظار بعد فراغه ، وإنما أردت جواز ذلك وأنه لا ينافي التوقير إذا كان ضمن إطار الأدب الشرعي ، وبياناً للحق الذي لا يعرف المداهنة .

وقال غفر الله لنا وله : « أين المتعاملون المتمشيخون من هذا الأدب النبوي الرفيع ، أخذوا يسبون علماءنا وأئمتنا في الدين ويتهجمون عليهم بشتى الطرق والوسائل ، وذلك بلبصق المنشورات في المساجد وبتضليلهم

(١) أخرجه مسلم في « الصحيح » (رقم : ٨٧٠) .

والوقوف بعد الصلوات لسبهم والتحذير منهم ، وتوزيع مئات الآلاف من الكتيبات المجانية « مع التحية » ، لا يجذرون فيها من التبشير والتنصير .. وإنما تحذر من الاستماع إلى العلماء وحضور محاضراتهم ، وقراءة كتبهم على طريقة ما كانت تفعله قريش من تحذير وفود الحجاج والمعتمرين من الذين أسلموا وآمنوا بمحمد ﷺ ، وأمرهم إياهم في متدياتهم بعدم الذهاب إلى الرسول ﷺ وأصحابه ، ووضع القطن في آذانهم ؛ حتى لا يسمعوا إلا رأياً واحداً ، ومن استمع إلى غيره فهو ضال مبتدع مغير للدين ، ولو كان المتهم صادقاً أميناً تقياً نقياً ، وإن من الحق أن نقول : بأن هؤلاء العلماء العاملين هم الذين خرجوا علماء الدول المجاورة ، وهم الذين أثروا الجامعات ، وكثير منهم طريد ملاحق - فكان الأولى أن يقابلوا بالعرفان والإكرام - ، لأنهم امتحنوا فصبروا واختبروا فنجحوا ، وأما غيرهم فلم نشاهدتهم إلا على الموائد<sup>(١)</sup> وبئس الموائد هي ، وبئس النجاح نجاحهم .

أقول : أنا مع الأخ صاحب التعقيب في تحريم سب العلماء وشتمهم خصوصاً من شهدت لهم الأمة بالخير وصحة المعتقد وحسن الاتباع واحترام سلف هذه الأمة ، أمّا من روجوا عقائد أهل البدع قديماً وحديثاً فهؤلاء يجب التحذير منهم والتنفير عنهم - بأي وسيلة متاحة دفاعاً عن دين الله - لآية جهة انتموا ولأي شعار رفعوا ، فالدين ليس حكراً على جماعة دون الأخرى . ومن شبه من حذر منهم بما كانت تفعله قريش فقد جهل المشبه والمشبه به وشتان بينهما ، ولا زال أهل العلم - في كتبهم وعقائدهم - يجذرون من

(١) في كلام صاحب التعقيب تعريض بعلماء الكتاب والسنة فهل الجهاد والنضال حكر على مشايخ الأحزاب؟! وأما مشايخ الدعوة السلفية فلا شأن لهم بالجهاد إلا جهادهم على الموائد !!

أهل الأهواء والبدع ، وانظر ما كتبه الطحاوي في عقيدته ، والعجب أن أبا مجاهد يأمر بالأدب مع العلماء ونراه في المقال نفسه يطعن في العلماء الآخرين الذين ليسوا من مشايخه وأنهم أهل موائد واصفاً إياهم بقوله : « وأما غيرهم فلم نشاهدهم إلا على موائد وبئست الموائد هي وبئس النجاح نجاحهم » .

ألا فلتتق الله أبا مجاهد ولا تقابل الإساءة بمثلها ، فليس هذا من أدب العلم وأهله . ويكفينا تعريضاً بأهل العلم فإن لحومهم مسمومة ، وأخيراً أقول : أين التناقض في مقالي؟! إنني عندما قلت : « ومن علاماتهم أي (المتعلمون) حرصهم الشديد على الشهادات والإجازات من غير كد ولا تعب ولا رحلة في الطلب ، وهم مولعون بجمع الإجازات من الشيوخ ، مع أنهم لم يأخذوا العلم عن الشيوخ سراً لسواتهم ، وليباهوا بها الأقران ، وما كان السلف والعلماء يجيزون أمثال هؤلاء الذين أخذوا العلم من غير واسطة » ؛ فشتان بين طالب علم يشد الرحال إلى عالم فاضل متبحر بالعلم يلازمه زمناً سواء كان في الجامعة أو في حلقات العلم ، وبين من لا يعرف له شيخ إلا بالمراسلة<sup>(١)</sup> ، ولست ممن ينكر الإجازة بأنواعها كما قرره علماء الحديث ، ولكن الذي أنكره تكديس الإجازات من غير أهلية وارتقاء المنابر من غير دراسة شرعية وإذن من الشيوخ الأعلام وقد أثر عن بعض السلف أنه قال : ما حدثت ولا أفيتت حتى أذن لي سبعون عالماً من علماء التابعين ، وإذا كنت أدعو للتفرغ للعلم والأخذ عن الشيوخ فليس معنى ذلك أنني أمنع الإجازة لمن تأهل لها وأخذ العلم عن أهله في المساجد أو الجامعات أو غيرها

(١) بلغني عن من أثق به أن بعضهم اشترى الإجازات بمبلغ من المال والمراسلة ، فأي علم هذا القائم على التجارة والرشاوى؟!

من دور العلم .

هذا ما أردت بيانه دفعاً للبس ، وكي لا يفهم مقالتي على غير نحو ما أردت ، وقد أقحم صاحب التعقيب أشياء لا علاقة لها بالمقال كم وددت لو أنه لم يتعرض لها حفاظاً على الأخوة الإسلامية . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

## في كل واد تلقى سعداً

لا زالت ردود الفعل الغاضبة تتوالى على ما كتبه المجرم سلمان رشدي المختبئ في ظلمات لا يعلمها إلا الله وخاصة الخاصة ، ولا زالت لعائن الله تحيط به من كل جانب إذ ضاقت عليه الأرض بما رحبت .

فالله قد حكم عليه وعلى أمثاله من أصحاب دعاة جهنم حيث قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [ المائدة : ٣٣ ] .

فالله قد توعد كل من حارب دينه بالخزي في الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة ، وأصحاب الأقلام المستوردة المأجورة المتاجرون بدين الله المتكرون لدينهم ، وأمتهم توعدهم الله بما جاء في الآية الكريمة - وإن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته - ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [ هود : ١٠٢ ] .

فما كتبه سلمان رشدي من سخرية بالإسلام واستهزاء بالدين وطعن في الشريعة وتحليل ما حرم الله ليس الأول والأخير ، ففي كل يوم يخرج علينا أمثال سلمان رشدي من رجال ونساء وهبوا أنفسهم لخدمة الشيطان وحزبه ، فأعملوا معاول الهدم في دين الله ﴿ أَلْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ

مِنْ بَعْضِ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴿ [ التوبة : ٦٧ ] .

وحالة الصرع هذه التي أصابتهم وشدة الغيظ تزداد يوماً مع يوم كلما خسروا موقعاً لهم ؛ خصوصاً مع اشتداد الصحوة الإسلامية وسرعة انتشارها بين الرجال والنساء ، فيكاد أحدهم أن ينهش نفسه وأن يتميز من الغيظ ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [ آل عمران : ١١٩ ] .

وقد حذر النبي ﷺ من أمثال هؤلاء عندما قال : « إنما أخاف على أمي الأئمة المضلين » <sup>(١)</sup> ، وقال : « أخاف على أمي كل منافق عليم اللسان » <sup>(٢)</sup> .

وقال محذراً من فتنهم : « ... دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه في النار قالوا : منا يا رسول الله قال : إنهم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » <sup>(٣)</sup> .

وهاهم هؤلاء يطيلون ألسنتهم البقرية في دين الله وما جراًهم على ذلك إلا غربة الدين وقلة الأنصار وإقصاء الدين حدوداً وتعزيراً وتطبيقاً .

أليست هذه الأحاديث من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام؟! لقد وقع ما حذرنا منه ﷺ ، لقد خرج علينا كثير من كتاب هذا الزمان بأشياء تنشق لها الأرض ، وترجف منها السماء ، وتختر لها الجبال هدأً ، لقد خرجوا بمظاهرة ضد شرع الله على صورة مقالات مسمومة مسعورة ؛ تارة ينكرون الحجاب ويصفونه بالتخلف وبالعودة إلى الماضي البالي ، وتارة يحلون الربا

(١) أخرجه أحمد وغيره .

(٢) أخرجه الإمام أحمد أيضاً .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

المحرم الثابت تحريمه بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وتارة يستحلون الأغاني الخليعة واختلاط الرجال بالنساء ، وصدق الرسول الكريم ﷺ حيث قال : « ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحر ( الزنا ) والحرير والمعازف والخمور يسمونها بغير اسمها » (١) .

وقد حدث ذلك فهاهم يسمون الخمور « مشروبات روحية » ، والقمار « يانصيب خيري » ، والربا المحرم بالإجماع « فوائد » على مذهب القائل : « غيرنا الشكل لتحليل الأكل » ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « لعن الله اليهود حرم عليهم الشحوم فجملوها ( أي أذابوها بالنار ) وباعوها وأكلوا بأثمانها وإن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه » .

أقول لهؤلاء : على رسلكم فإنكم لن تحصدوا من وراء مطاعنكم وهجمتكم إلا الخزي والعار والشنار في الدنيا والآخرة ؛ فقد حاول من هو أعظم منكم أن ينال من دين الله فكان عاقبة أمره خسراً ؛ لأن الله يدافع عن دينه وينصر حزبه ولا قبل لكم بجرّب الله ، ولكن لا بد أن أعلنها صحيحة في آذانكم ؛ لتكون حجة عليكم فلا يبقى لديكم عذر بين يدي الملك الديان . يوم تقفون بين يديه حفاة عراة غرلاً .

أريد أن أقول لكم : أجمع علماء الإسلام ، على أن من استهان بدين الله أو طعن فيه بالعبارة أو الإشارة أو أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة أو أحل ما حرم الله أنه كافر حلال الدم لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، ولا يغسل ولا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين . فانظروا أين

(١) أخرجه البخاري .

موقعكم من دين الله قبل فوات الأوان ، ولات ساعة مندم . ولا بد من ذكر بعض النماذج من كلام إخوان سلمان رشدي وما أكثرهم قاتلهم الله .

\* قالت كاتبة تحت عنوان « معارك مع التخلف » وتعني به الإسلام ؛ قالت - عليها من الله ما تستحق - : « وأعلنت ثورتها على الصورة التقليدية للمرأة - التي ليس لها من هم إلا شئون المنزل والخدمة - ، وأنا لا أريد أن أكون أمّاً تطبخ وزوجاً يقرأ أو ينام أو يضع القرارات » .

وهي تعني « بالثورة على الصورة التقليدية » صورة الإسلام وحدودها الشرعية والخروج من البيت مع الزملاء خالعة حجابها . ثم تتابع قولها : « استمعت الأم بهدوء وربتت على رأس ابنتها بجنان وقالت لها : أنا فخورة بك يا ربّي ولكن تابعي مناقشتك لمعلميك بهدوء وأدب ، وإياك أن تنسجمي خوفاً من العلامة ناقشي ولا تستسلمي لأي رأي تشعرين أن فيه خللاً أو تحيزاً » .

والكاتبة تريد أن تدعو المرأة إلى رفض تعاليم الإسلام ، ما دامت تشعر أن فيها تحيزاً من الرجل أو أنها تهضم المرأة حقها ، وهذه فرية بلا مرية ؛ فالإسلام أعطى المرأة كل ما تستحق ، فإذا طلبت المرأة فوق حقها كان ظلماً وإجحافاً بالرجل ، فحينئذ يمنعها الإسلام من ذلك . فهل من حق المرأة أن تصبح هي الرجل في البيت؟! والله قد أعطى كل ذي حق حقه ، لكن دعاة تحرير المرأة يتباكون على المرأة من أجل شيء واحد لا يخفى على أحد يعرفه القاصي والداني ، وهو النيل من جسدها لتسقط فريسة في مخالبهم وأنيابهم ، فيلغون فيها ولوغ الذئب في الشاة .

وأخيراً أقول : أما آن لهؤلاء من يأخذ على أيديهم فيعلموا أن الإسلام

شيء مقدس عظيم لا يحل النيل منه ، ليت ولاة أمورنا يدركون قول الله :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنصَرُوا لِلَّهِ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

[ محمد : ٧ ] .

فهل من غضبة لدين الله يكسر فيها أقلام هؤلاء ويختم على أفواههم إلا بحق ويعزروا بعزهم عن منابرهم الشيطانية . ليكن شعاركم أيها المسلمون ما قاله أبو بكر الصديق : « أينقص الدين وأنا حي » . حقاً إنها ردة ولا أبا بكر لها ، فرحمك الله أبا بكر قانع الفتنة مستأصل شأفة المرتدين<sup>(١)</sup> رضي الله عنك في الأولين والآخرين .

---

(١) الردة ردتان : كبرى وصغرى ؛ عقديّة وعملية ، والردة الكبرى لا بد لإيقاعها على الأعيان والأشخاص من توفر شروطها ، وانتفاء موانعها ، فنحن - والله الحمد - لا نكفر بالجملة شأن الخوارج قديماً وحديثاً ، ولا نكفر إلا من كفره الله ورسوله ، وقد يكون فعل الرجل أو قوله كفراً ولا يلزم من ذلك وقوع الكفر عليه تعيناً ؛ لعدم توفر شروطها وانتفاء موانعها ، وهذا أمر ضلت فيه أقوام ، وزلت فيه أقدام ، وانحرفت فيه أقلام - إلا من رحم الله - ، وهي فتنة هذا العصر ، فتنبه !! ومن أكثر من كتب في ذلك أخونا الفاضل الشيخ علي الحلبي - وفقه الله - .

## الرد على من أنكر الجمع بعذر المطر

الأخ و . غ . - سده الله - .

وصلتني رسالتكم عن طريق أحد إخواننا ، وأنا على جناح سفر للحج ، فلم أتمكن من الرد عليها قبل ذهابي إلى أرض الحرمين ، ولما رجعت - بفضل الله وتوفيقه - نظرت فيها مرة أخرى ، وقد رأيت أنكم جانبتم الصواب في كثير منها : بل كتمتم بعض الأدلة الصحيحة الصريحة في المسألة ، التي فيها إلزامكم الحجة ، لو تجردتم لله وأنصفتهم .

واعلم أنني لا أكره أن تخالفني الرأي إن كانت المخالفة تقوم على دليل وحجة وبرهان ؛ لكن الذي ألمني وأسفت له جداً أن تعلن المخالفة أمام العامة ، وتقوم بتهييجهم وإنكار أن يكون للجمع أصل شرعي ، وذلك حين أفتيت بأن لا دليل صحيح على الجمع ، وحين ذكرت أشياء وغيّبت<sup>(١)</sup> أشياء أخرى من الأحاديث والآثار ومذاهب العلماء ، وهذا مسلك مستهجن منك ، وإليك ردنا على رسالتك مفصلاً ، وبالله التوفيق .

قلت : « فضيلة الشيخ محمد الله تعالى حمداً كثيراً أن جعلنا مسلمين » .. أقول : ونحن نحمد الله تعالى على ذلك ونزيده حمداً أن جعلنا من أتباع السلف الصالح الذين يتبعون الكتاب والسنة بفهم وعلم وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، وإلا فالشيعة مسلم ، والصوفي مسلم ، والخوارج مسلمون ، وسمّ ما شئت من هذه الفرق الضالة الكثيرة ؛ لكن

(١) منهج أهل الحق وأهل الاتباع ، ذكر ما لهم وما عليهم من أدلة ، والإجابة عن أدلة مخالفيهم بالعلم لا بالتعصب والهوى ، شأن المفتونين بأنفسهم وبعلمهم .

للأسف هذا الذي لم أسمعك تصرح به يوماً ولا نقل عنك مرة ولو خطأ ،  
ولا سطرته في كتابك في (صيام يوم السبت) ، حيث انتميت لكل مسلم ،  
ولهذا أعجب جداً من موالاتك لكثير من أهل البدع ، ومعانقتك إياهم  
بحرارة بالغة ، سواء كانوا حزبين أو صوفيين ، أو إخوان ، أو تبليغ ، أو  
قطبيين ، وربما كان بعضهم من التكفيريين ، أما إخوانك السلفيين فأنت أبعد ما  
تكون عنهم ؛ بل تجافيهم وتجاهر بمخالفتهم ؛ بل إمامهم الألباني خلال  
معاصرتك له نحواً من عشرين سنة لم تلتق به إلا مرتين أو ثلاثة<sup>(١)</sup> ، وهذا  
شرف لك ورفعة لو لازمته ، ولكنك لم توفق لذلك .

قلت : « وجئنا أهل الهواء والضلال » .

والصواب : « أهل الأهواء » ، وهذا ما نرجوه ؛ لكن ظهر لنا ،  
ونقولها بأسف أنك تتبع الهوى ؛ بدليل أنك تدعي أن مذهبك الجمع في الليلة  
المطيرة - أي كثيرة المطر - ورأيناك وراك المصلون تنسحب من الجمع في اليوم  
الشديد المطر ، بل في اليوم الكثيف الثلج ، فماذا تسمي هذا !؟

وكذلك أفتيت بأن الصلاة في البيت أولى من الجمع في المسجد ، وهذا  
مذهب لم يسبقك إليه أحد ، لأن الجماعة على فرض سقوط وجوبها في أيام  
المطر والثلج عملاً بقول المؤذنين - كما هي السنة المهجورة - ( الصلاة في  
الرحال ) ؛ لكن لا يخفأك أن الجماعة التي تعدل سبعاً وعشرين درجة ،  
واجتماع كلمة المصلين على أئمتهم وخطاهم إلى المساجد كل ذلك لا يمكن  
أن يعدله ثواب من صلى منفرداً في بيته ، ومما يؤيد ذلك - أي : اتباع الهوى

---

(١) لأجل ذلك - والله أعلم - قلت : الناس يصنفوني أني سلفي ، أما أنت فلا تلق لها بالاً ، ولولا  
أن بعض أفاضل إخواننا أخذك - في بعضها - إليه لم تفعلها ، فأين السلفية !؟

عياداً بالله - أنك تخلفت أحياناً عن الصلاة التي فيها جمع أيام الثلج ،  
وحضرت إلى صلاة الفجر وهي أشد مشقة ، فخالفت مذهبك ؛ لكنك  
خشيت الإحراج أن تخرج وحدك حتى في الثلج ، ولا تجد من يتابعك .  
وأيضاً أغفلت وأخفيت حديث ابن عباس في رسالتك ، وهو حجة  
ملزمة لك ، وحينما سألك أحد الإخوة المصلين عنه حدثت عن الجواب ،  
وكذلك سكت عن أثر ابن عباس وجمعه بين المغرب والعشاء حينما أطال  
الموعظة ، فقيل له : الصلاة ، الصلاة ، الصلاة . فقال للرجل : لا أم لك !  
تعلمني السنة . ثم احتج عليه بفعل النبي ﷺ وأنه جمع من غير خوف ولا  
مطر ؛ إشفاقاً على الأمة ، وحتى لا يجرها ، وأنتم هداكم الله تريدون  
الإحراج للأمة والعنت باسم العلم والدين ، وابن عباس راوي حديث  
الجمع من غير خوف ولا مطر جمع في الناس من غير علة الخوف والمطر ،  
تطبيقاً عملياً للأصل العظيم - الذي سنّه النبي ﷺ - وهو رفع الحرج عن  
الأمة ، فكيف والحرج حاصل بالمطر .

قلت - غفر الله لك - : « وجعلنا من يدعون إلى التمسك بالكتاب  
والسنة » .

أقول : كان ينبغي أن تضيف على منهج السلف الصالح علماء وعملاً  
وفهماً وسلوكاً ، لقول الله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا  
تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ  
جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [ النساء : ١١٥ ] .

فما معنى قول الله تعالى : ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ؟ المقصود

بهم السلف الصالح ، وعلى رأسهم الصحابة ، وهم حجة في الدين خصوصاً  
إذا اجتمعوا ، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون ، الذين أمرنا باتباع سنتهم ،  
أم أنك ترى - كما يرى لصيقك وصديقك الحميم ، الحاقد على السلفين ،  
البخيل عليهم بالسلام ، الحزبي المدّعي حب القرآن ، وبينه وبين أخلاق  
القرآن جبال من الكبر والاستعلاء والتنكر لغيره ، للأسف الشديد - أن فهم  
السلف بدعة أحدثها الألباني ، ومع ذلك لا زلت تواليه وتصاحبه وتتأبط  
ذراعه ، وأنت تعلم علم اليقين قول الرسول ﷺ : « المرء على دين خليله  
... » ، وقول بعض الحكماء : قل لي من صاحبك ، أقول لك من أنت !  
فأي سلفية هذه ! إن السلفية ولاء وبراء ، وتميُّز .

قلت - غفر الله لك - : « أعلم أن الناس يصنفونني ويصنفونك من  
السلفين » .

أقول : لا يهمني تصنيف الناس لي ، الذي يهمني أنني أعتز وأفتخر  
بانتمائي للسلف فأقولها مدوية أنا سلفي - أي : على منهج السلف الصالح -  
لست إخوانياً ولا تبليغياً ولا تحريراً ولا قطبياً سرورياً ولا... إلخ .

أما أنت يا صاحبي فلم تقل ذلك يوماً ، ولذلك تقول - بطريقة توهم  
بها الذين يحسنون بك الظن - : الناس يصنفونني من السلفين بين قوسين ،  
يعني أنت لا تقول عن نفسك ذلك ، نعم أعلنها كما صرحت بها في كتابك  
الذي ناصحتك فيه بثلاث نصائح إن كنت تذكرها .

أولاً : إن أول كتاب تصنفه اشتغلت فيه بمسألة فرعية طال حولها  
الجدل فضربت بسهم في زيادة الاختلاف .

ثانياً : أنك بدأت بتوهيم عَلم من أعلام الأمة ، وفارس من فرسان

علم الحديث في هذا العصر اعتماداً على الأقراص ، ومع قصر باعك في هذا العلم وقلة خبرتك ، وبعد وفاة صاحب الشأن ؛ لأنك لا تحمل رده عليك .  
ثالثاً : إنك لم تذكر أحداً من شيوخك في أي باب من أبواب العلم ، وكأنك لا ترى لأحد من أهل العلم فضلاً عليك ، لا في قليل ولا في كثير ، وقد تجاهلت أو تناسيت في رسالتك أنك أحد تلاميذي<sup>(١)</sup> الذين درستهم في كلية العلوم الإسلامية عامي (١٩٨٣-١٩٨٥) في شعبة التلاوة ، فلم نكران الجميل ، وأنت تحفظ كتاب الله ، وتقول في رسالتك مذكراً بحديث الرسول ﷺ الصحيح : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » .

ومما يؤسف له ويظهر مدى عنايتك وبرك بمن درسك ، وعلمك أنني بقيت سبع سنين في مسجد التقوى بالوحدات وأنت قريب مني - فما بين الوحدات والخربة إلا بضعة أميال - فلم تكلف نفسك عناء زيارتي ، بل ولا الاتصال بي ، فهل هذا حق الأخوة الإسلامية ، بله الصحبة القرآنية ؟ وهل هذا من شكر الناس !؟

قلت - هداك الله - : « فأنت محسوب علي ، وأنا محسوب عليك » .  
أقول : دعنا من المحسوبيات ، وتعال ناقش حقيقة الواقع والأمر ، إن كنت محسوباً عليّ - كما تقول - فلم تتصدر بدون علمي وإذني ، وتستغل غيابي عن المسجد ؛ لتقول للناس : (إن الذي يجمع بغير عذر مجرم وأثم ومرتكب لكبيرة) ، وأنت تعلم كما يعلم غيرك أن المسألة خلافية ، وأن

---

(١) وإن تجاهلت ذلك بعد خلافك معي في مسألة الجمع ، مع أنك كنت تعترف بها - أحياناً قبل الخلاف - ولا زال بحثك الذي كلفتك به عندي ، وقد اطلع عليه بعض الإخوة ، فهل من الوفاء والورد إنكار فضل أول من علمك كتاب الله سبحانه ، كما أنك ذلك غيرك .

الرسول ﷺ جمع ، والصحابة جمعوا ، ونص جمهور علماء الإسلام على الجمع ، وإنما دفعاً للخرج عن الناس ؛ بعد قيام أسبابه ومبرراته ، ولأن الأخذ بالرخصة الشرعية محبوب إلى الله - كما ثبت بذلك الحديث ، ونسيت أن أثر عمر - رضي الله عنه - « ثلاث من الكبائر : الجمع بين الصلاتين بغير عذر ... » إلخ ؛ لا يشملنا - والله الحمد - ؛ أننا نجمع بعذر أولاً ، وثانياً : قد أجاب العلماء عنه : إنه محمول على من جمع بين صلاتين لا يجوز فيهما الجمع ؛ كمن جمع بين الفجر والظهر ، أو بين العشاء والفجر متكاسلاً متساهلاً عامداً ، أو كجمع الرافضة طوال العام ، وأحق الناس بأثر عمر - إن صحّ ، لأن بعض العلماء ذكروا أنه مرسل - والراجح أنه صحيح ؛ لكنه ليس حجة لك - ومثله يصلح للرد على الرافضة الذي يجمعون طيلة العام بغير عذر ، وليس للرد علينا ، وإلا فهو يرد على الرسول ﷺ ، ويرد على الصحابة ، وابن عمر منهم ، وقد جمع مع الأمراء في المطر ، فهل يتصور من عبد الله بن عمر أن يخالف أباه ! فيجمع في المطر إن كان الجمع في المطر هو المقصود بالنهي من أثر عمر ، ثم لماذا لم تستشهد بحديث ابن عباس المرفوع إلى الرسول ﷺ بدلاً من الاستشهاد بالموقوف على عمر !؟

ذلك لأن حديث ابن عباس ولفظه : « من جمع بين الصلاتين - أي بغير عذر - فقد أتى باباً من أبواب الكبائر » ؛ فيه حسين بن قيس الملقب بـ ( حنش ) فلم يسعك أن تحتج به لضعفه فأثرت معارضة الأحاديث والآثار المبينة للجمع الصحيحة الصريحة بأثر عمر « ثلاث من الكبائر » وعدّها منها الجمع بين الصلاتين بغير عذر !

فماذا تُسمي هذا يا فضيلة الشيخ!؟

قلتَ - غفر الله لي ولك - : « فضيلة الشيخ : من شأن البشر الخطأ

والوهم ، ولا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ » .

أقول : كلام حسن جميل لكن لِمَ لا تراجع نفسك وتدرس المسألة

بتجرد وإنصاف بعيداً عن تقليد الأحناف أو السالك أو أبي مالك<sup>(١)</sup>؟! وهل

قرأت ما كتبه أخونا الشيخ مشهور حسن سلمان - حفظه الله - في كتابه

« فقه الجمع بين الصلاتين في الحضر بعذر المطر » ؟ وهل نظرت في الأدلة

التي ساقها؟! فلا أعلم أحداً جمع كجمعه ، وحقق كتحيقه ، فلم حبُّ

المخالفة والمعاندة والتعصب للرأي ، واتباع الهوى عياداً بالله!؟

ولماذا تحارب من يخالفك في المسألة بكل حيلة ووسيلة ؟ وقد تقدم

إنكارك لحديث ابن عباس في جمع النبي ﷺ بين الظهر والعصر والمغرب

والعشاء ، وجوابه عن سبب ذلك ، وقوله : أراد ألا يخرج أمته ! وقد

استهجنْتُ ذلك واستبعدته أن يصدر منك ؛ فإن قلته - وقد قلته - فعليك

---

(١) وكيف اجترأت على قولك لأحد المصلين الجدد « اطمئن ؛ ليس في الجمع حديث صحيح » حتى وثق

الرجل بفتواك ، وأخذ يقلدك ، بل ويقول بمنع الجمع ؛ حيث وقف في أحد المساجد - التي صلى فيها عليه

القوم وكبرائهم ووجهائهم - ليمنع الناس من الجمع اعتماداً على حسن ظنه بك ويقولك : ليس في الجمع

حديث صحيح ، حتى أن أهل المسجد كادوا يضربونه أو يسجنونه لولا شفاعة أحدهم له . فماذا تسمي هذا

يا فضيلة الشيخ؟! أليس هذا هو الجرأة على الفتيا والتسرع ، أم أنه اتباع الهوى والغش وعدم النصيحة ،

ولسفل إنه التسرع في الفتيا - إحساناً للظن - ليقى هو الأصل ، لكن يدفع ذلك الالتماس والاعتذار عنك

قولك عن حديث ابن عباس في صحيح مسلم في مجلس أحد الإخوة المرضى وبحضور جمع من الناس من

طلاب علم وعوام حينما تكلمت عن الجمع وأنكرته ؛ ذكرك بعضهم بحديث ابن عباس وقوله : « أراد أن

لا يخرج أمته » . قلت له - بكل جرأة - وليتك لم تقل ؛ لأنها كبيرة تسخط الرب جل جلاله : ( هذا

الحديث ضعه على الرف ) وقد شهد عليك أربعة من الثقات ، ولو استشهدنا آخرين لشهدوا . فإننا

لله وإنا إليه راجعون . فتب يا أخي من هذه العقلانية الجديدة .

أن تستغفر الله تعالى - فهذا قولٌ جدٌ خطير ، يذكرنا بمقالات العقلانيين وأشباههم ، وحاشاك أن تكون منهم أو قريباً منهم .

قلتَ - سدّدك الله - : « وقع النصح من بعضهم لبعض أمام العامة ، ولم يجدوا حرجاً ، ثم سقت أثر عمر في « الصحيحين » حينما عرض بعثمان » .  
أقول : ألم ترَ فرقاً بين زمن الصحابة الخير وهو الزمن المبارك الذي فيه العلم والفقه والخلافة ، وزماننا ! إذ عوام السلف أفقه من أكثر أدياء الفقه في زماننا ، ثم إن عمر خليفة راشد يُخطب ويعظ الناس ، وينكر عليهم ما خالفوا فيه الحق ، ولولا أن عثمان برر فعله مدافعاً عن نفسه لما علم العامة ، فأين هذا من اتهام من جمع بالإجرام والإثم والكبائر !؟

وأين هذا من زعزعة الصفوف ، وتعمد الانسحاب من الجمع ، وتقليد العامة لكم ! وقد كانوا جميعاً خلف إمامهم قبل أن تُظهر المخالفة ! بل وتتنصر لمذهبك مشككاً في صلاتنا ، وجمعنا ، وأنت تقول : ( وقع النصح من بعضهم لبعض أمام العامة ) ، وأنا أقول لك : وهل وقع منهم تهيج العامة على أئمتهم بقصد أو بغير قصد !؟

وهل خرج أحدٌ منهم من المسجد لأنه يخالف الإمام في صلاته وجمعه ؛ كما فعلت أنت !؟ ولا زلت تفعل<sup>(١)</sup> !

وقد عرضت عن كل الآثار الثابتة عن السلف في جمعهم خلف الأمراء في المطر ! ولم يسعك ما وسع عبد الله بن عمر ! بل قد ثبت عن عمر بن

---

(١) بلغنا أنك رجعت عن ذلك - أي الانسحاب من وراء من تخالف مذهبه في الجمع ، ولكنك لم تبين على الملأ كما فعلت ذلك على الملأ ، ولهذا ظل خلافنا معك قائماً في هذه المسائل وغيرها حتى تعلن تراجعك واضحاً صريحاً يسمع به من قلدوك أو تابعوك عليه على أقل تقدير .

الخطاب - رضي الله عنه - أنه جمع بين الظهر والعصر في يوم مطير<sup>(١)</sup> ، وهذا - أيضاً - يرد ما احتججت به من أثر عمر المتقدم ، وأنه يرى الجمع في المطر ، وهو تفسير لقوله في كتابه - إلا من عذر - فهو عذر عنده مبرر للجمع ؛ بل حكى ابن عبد البر في « الاستذكار » (٦/ ٣١) عن الجمع بين الصلاتين في المطر قائلاً : « وهو أمر مشهور بالمدينة معمول فيها » .

وهذا هشام بن عروة يقول : « رأيت أبان بن عثمان يجمع بين الصلاتين في الليلة المطيرة : المغرب والعشاء ، فيصليها معه عروة بن الزبير ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وأبو بكر بن عبد الرحمن لا ينكرون ، ولا يعرف لهم في عصرهم مخالف فكان إجماعاً »<sup>(٢)</sup> .

وذكر ابن المنذر كما في « الأوسط »<sup>(٣)</sup> من جمع من الصحابة والتابعين في الحضر فقال : « وفعل ذلك - أي : الجمع في الحضر - أبان بن عثمان ، وعروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، ومروان بن الحكم ، وعمر بن عبد العزيز » .

بل لقد ذهب الأئمة المحققون الفقهاء - وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية - إلى الجمع للحاجة والشغل ؛ مستدلين بأثر ابن عباس ؛ الذي رواه مسلم من حديث عمران بن حدير عن ابن شقيق قال : قال الرجل

(١) أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (٥٥٦/٢) عن إبراهيم بن محمد عن صفوان بن سليم .

(٢) رواه ابن أبي شيبة والبيهقي ، والأثرم ، وسحنون . وإسناده صحيح .

وقد أوعب أخونا الشيخ مشهور في تحريجه في كتابه الماتع « فقه الجمع بين الصلاتين » (ص ١٣٨) فجزاه الله خيراً .

(٣) (٤٣٢-٤٣١/٢) .

لابن عباس : الصلاة ؟ فسكت ، ثم قال : الصلاة . فسكت . ثم قال : لا أم لك ، أتعلمنا بالصلاة وكنا<sup>(١)</sup> نجمع بين الصلاتين على عهد رسول الله ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « فهذا ابن عباس لم يكن في سفر ولا في مطر ، وقد استدل بما رواه على ما فعله ، فعلم أن الجمع الذي رواه لم يكن في مطر ، ولكن كان ابن عباس في أمر مهم من أمور المسلمين يخاطبهم فيما يحتاجون إلى معرفته ، ورأى أنه إن قطعه ونزل فأتت مصلحته ، فكان ذلك - عنده - من الحاجات التي يجوز فيها الجمع ، فإن النبي ﷺ كان يجمع بالمدينة لغير خوف ولا مطر ؛ بل للحاجة تعرض له كما قال : أراد ألا يخرج أمته ، ومعلوم أن جمع النبي ﷺ بعرفة ومزدلفة لم يكن لخوف ولا مطر ، ولا لسفر - أيضاً - فإنه لو كان جمعه للسفر لجمع في الطريق ، ولجمع بمكة كما كان يقصر بها ، ولجمع لما خرج من مكة إلى منى ، وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ولم يجمع بمنى قبل التعريف ولا جمع بها بعد التعريف أيام منى ؛ بل يصلي كل صلاة ركعتين غير المغرب ، ويصليها في وقتها ، ولا جمعه أيضاً كان للنسك ، فإنه لو كان كذلك لجمع من حين أحرم ؛ فإنه من حين صار محرماً ، فعلم أن جمعه المتواتر بعرفة ومزدلفة لم يكن لمطر ولا خوف ، ولا بخصوص النسك ولا لمجرد السفر ، فهكذا جمعه بالمدينة - الذي رواه ابن عباس - ، وإنما كان الجمع لرفع الحرج عن أمته ، فإذا احتاجوا إلى الجمع جمعوا »<sup>(٢)</sup> .

(١) معلوم أن قول الصحابي ( كنا نجمع ، كنا نعمل على زمن الرسول كذا ) يدل على الإجماع ، وأنه أمر مشهور معلوم لا منكر له ، وهو يأخذ حكم الرفع .

(٢) « مجموعة الرسائل والمسائل » ( ٣٦ / ٢ ) .

وقال - رحمه الله - أيضاً : « وجمع المطر عن الصحابة ، فما ذكره مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر كان إذا جمع الأمراء<sup>(١)</sup> بين المغرب والعشاء ليلة المطر جمع معهم في ليلة المطر قال البيهقي ورواه العمري عن نافع فقال : قبل الشفق ، وروى الشافعي في القديم : أنبأنا بعض أصحابنا عن أسامة بن زيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب أن ابن عباس جمع بينهما في المطر قبل الشفق ، وذكر ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني بالإسناد الثابت عن هشام : كانوا يجمعون بين المغرب والعشاء في الليلة المطيرة إذا جمعوا بين الصلاتين ولا ينكر ذلك ، وبإسناده عن موسى بن عقبة أن عمر بن عبد العزيز كان يجمع بين المغرب والعشاء الآخرة إذا كان المطر ، وأن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وأبا بكر بن عبد الرحمن ومشیخة ذلك الزمان كانوا يصلون معهم ولا ينكرون ذلك »<sup>(٢)</sup> .

قلت : فانظر يرحمك الله ؛ إلى قوله : (مشیخة ذلك الزمان) ، كانوا يصلون معهم ولا ينكرون ذلك ، وهم علماء السلف وزمانهم زمن مبارك قريب العهد جداً بالوحي والنبوة. فانظر إلى فقههم وحرصهم على جمع الكلمة والائتلاف ، وقارن بين بعض مشايخ زماننا ومن يفتونهم ومن يقلدونهم ، فإنك ترى البون الشاسع بما عليه السلف وما جانبه الخلف ، والله المستعان .

(١) لعلك تقول : كانوا أمراء جور يخشى سطوتهم وجبروتهم .

نقول : ومشیخة ذلك الزمان أليس فيهم عالم لا يخشى سطوتهم وهم خير القرون ، فلم جمعوا كلهم معهم ولم ينكروا عليهم ، ومن هؤلاء الأمراء ؟ مروان بن الحكم وعمر بن عبد العزيز ، وهل هذا الأخير من أمراء الجور أيضاً ؟  
 (٢) « مجموعة الرسائل والمسائل » (٢ / ٤٠) .

ثم قال شيخ الإسلام بعد إيراده موقف السلف من الجمع في المطر :  
« فهذه الآثار تدل على أن الجمع للمطر من الأمر القديم المعمول به بالمدينة  
زمن الصحابة والتابعين ، مع أنه لم ينقل أن أحداً من الصحابة والتابعين أنكر  
ذلك<sup>(١)</sup> ، فعلم أنه منقول عندهم بالتواتر جواز ذلك » .

إلى أن قال : « فالأحاديث كلها تدل على أنه جمع في الوقت الواحد لرفع  
الحرج عن أمته ، فيباح الجمع إذا كان في تركه حرج قد رفعه الله عن الأمة ،  
وذلك يدل على أن الجمع للمرض الذي يخرج صاحبه بتفريق الصلاة بطريق  
الأولى والأخرى ، ويجمع من لا يمكنه إكمال الطهارة في الوقتين إلا بحرج ؛  
كالمستحاضة وأمثال ذلك من الصور »<sup>(٢)</sup> .

قلتُ : لله درُّ شيخ الإسلام ابن تيمية من إمام سلفيٍّ ، محققٍ ، فقيهٍ ،  
متَّبِعٍ ؛ فكلامه هذا كالبلسم على الجراح ، فقد قطع جهيزة كل مكابر معاند  
متَّبِعٍ لهواه ، ففي كلامه هداية ورشاد لمن أراد الله له التوفيق والسداد ،  
والذكرى تنفع المؤمنين .

قلتُ هداك الله : « فضيلة الشيخ : منعك لي من الإمامة أحمد الله تعالى  
عليه كثيراً وأشكرك أيضاً ، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله ، لأن هذا ما  
تمنيناَه فجزاك الله خيراً » .

وأقول : أنت تعلم مبلغ اهتمامنا وعنايتنا وتقديرنا لك عندما نزلت في  
حيِّنا ، وأتيت إلى مسجدنا ، وكيف كنا نقدمك للإمامة ونجمع لك الناس ،

---

(١) قلت : لم يثبت الإنكار ، فمن باب أولى عدم ثبوت الاعتزال والانسحاب من الجمع ، كما نرى  
ونشاهد بعض إخواننا هداهم الله .

(٢) المصدر السابق نفسه (٢/٤٠-٤١) .

ونثني عليك أمامهم ، ولم نقدم عليك أحداً من القراء ، وفيهم من هم من خواص تلامذتنا ، بل أذنا لك بالتدريس وإقامة الحلقات في المسجد .

كل ذلك محبة وتقديراً وإحياءاً للأخوة الدينية والصحة القديمة يوم أن كنت أحد طلابنا في كلية العلوم الإسلامية ، وتذكرنا قولَ ربِّنا : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [ القصص : ٣٥ ] .

واستمر الأمر على ذلك حتى رأيناك تدعو لآرائك المتشددة والشاذة ، وتفتي بخلاف الحق ، وتدعو وتنتصر لمذهبك ومحاولاتك الحميمة إلى حمل الناس على مذهبك ، واتهام مخالفيك بتهم شنيعة خصوصاً في مسألة الجمع بين الصلاتين في الحضر بعذر المطر ؛ لذلك منعتك لمّا رأيتك فرقت جماعة المسجد بعد أن كانوا جميعاً خلف إمامهم ، يصدرون عن قوله ويقتدون ويأتسون بفعله اتباعاً للسنة - والحمد لله - فأردتُ إطفاء فتنة أشعلتها أنت ولو بغير قصد - وهذا هو الظن بك إن شاء الله - .

وإذا كان منعي لك من الإمامة هو حقيقة ما تصبو إليه ، ولذا فإنك تشكرني عليه، فلمَ تقدّمت ودرّست وجاهرت بمخالفتي في غيابي وسفري دون علمي وإذني ، مع نهى النبي ﷺ عن ذلك بقوله : « ولا يؤم الرجلُ الرجلَ في سلطانه إلا بإذنه » ، وهذه مشاققة للرسول ﷺ ، ومنازعة الأمر أهله .

قلت : - غفر الله لي ولك - : « كما لا يخفى على أمثالك أن الجمع في الحضر ليس من أركان الإسلام ، ولا من فروض الكفاية والأعيان فإذا قلتُ به مجتهداً فظني بك أنك تريد إصابة الرخصة » .

أقول : ومتى ادعيتُ أن الجمع من أركان الإسلام ، أو من فروض الأعيان ، غاية ما في الجمع أنه سنةٌ فعلها النبي ﷺ ، وفعلها أصحابه وخلفاؤه الراشدون ، وعلى رأسهم عمر رضي الله عنه ، كما تقدم في « مصنف عبد الرزاق » ( ٥٥٦ / ٢ ) أن عمر كان يجمع في الليلة المطيرة .

وكذا فعل ابن عمر ، وأبان بن عثمان ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم ، فالجمع ليس اجتهاداً مني - كما ذكرت - بل هو سنة تريدون تعطيلها ومنع الناس منها ؛ تشديداً عليهم وإحاقاً للخرج بهم مع علمكم أن النبي ﷺ جمع من غير علة تشريعاً للأمة ، وبياناً لدفع الخرج عنها متى احتاجت إلى الجمع كما تقدم في كلام ابن عباس وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره من العلماء .

وإذا كنت تقرّ أن الجمع رخصة ، فلم تزهد وتزهد الناس فيها ، والنبي ﷺ يقول : « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تجتنب معاصيه » .

والمؤسف جداً أنك لم تكتف بالنهي عن الأخذ برخصة الجمع في المطر فحسب ، بل بلغني أنك منعت بعض الإخوة من الجمع في السفر أيضاً ، مما يؤكد أنك لا ترى الجمع إلا في عرفات ومزدلفة ، كما هو مذهب الأحناف ومن قلدهم .

وبالطبع لا يسعك رد الأحاديث الصحيحة الصريحة المبيحة للجمع تقديماً وتأخيراً ، وعمل جماهير السلف والخلف بها ، ولكن أخشى أن يكون اتباع الهوى وحب المخالفة هو الحامل على ذلك ، وآمل ألا يكون .

قلت - سددك الله - : « مع أن بعض الجمع الذي قمتَ به من أجل الأعذار المبيحة للجمع كالبرد وغيرها ، لم أجد له مصوغاً عند جميع

من يقول بجوازه ، وقد سمعت بعض الناس من طلبة العلم والعامّة من محبيك سواء أكانوا من أهل المسجد أو من الزائرين من يقول بهذا .

أقول : إن تقدير الجمع والحاجة إليه متروك للأئمة ، خصوصاً إذا كانوا من أهل العلم ، وهذا هو الواجب حسن الظن بأهل العلم ، لا التشكيك في علمهم والتهوين من قدرهم ، وحجتي فعل النبي ﷺ وفعل ابن عباس رضي الله عنهما ، وفعل أصحاب الرسول ﷺ ، وعلى رأسهم عمر وابنه عبد الله ، وجهاهير الأشياخ من السلف كانوا يجمعون مع أمرائهم دون نكير ، ومن أجلّ أمرائهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعمر بن عبد العزيز رحمه الله . وإذا كان النبي ﷺ قد جمع من غير عذر تشريعاً للأمة ، فهل كان جمعه سائغاً عندك ، وكذا جمع ابن عباس حينما خطب الناس ، فاعترض عليه معترض بقول : « الصلاة » يكررها ، حتى قال له ابن عباس : « تعلمني السنة ! لا أمّ لك » ! ، واحتج عليه بجمع النبي ﷺ من غير خوف ولا مطر . أتري ابن عباس قد جمع جمعاً لا يسوغ وهو حبر الأمة وترجمان القرآن ، ولم يكن في يوم مطير ، ترى هل انسحب أحد من خلفه - كما تفعل أنت - لأنه لم يستسغ جمعه ولم ير ما يبرره !؟

ثم كيف تزعم أن بعض الجمع الذي قمتُ به لم تجد له مسوغاً<sup>(١)</sup> عند جميع من يقول بجوازه ، وقد نقلت أنت في رسالتك عن الحنابلة والمالكية وغيرهم أنهم يرون الجمع فيما دون جمعي ، وإليك ما قلته في رسالتك .  
فقد نقلت عن صاحب « المدونة » (١ / ١١٥) في فقه الإمام مالك :

(١) هكذا بالسين لا بالصاد كما وردت في رسالتك .

« ما جاء في جمع الوقوف ليلة المطر ، قال : وقال مالك : يجمع بين المغرب والعشاء في الحضر ، وإن لم يكن مطر إذا كان طين وظلمة » انتهى .

أقول : أوليس فيما قاله صاحب المدونة رد عليك وتأکید لما ذهبتم إليه

من الجمع ، وأني مسبق من أئمة كبار في القديم والحديث ؟!

وكذلك الإمام الشافعي يرى جواز الجمع في الثلج إذا كان يبل الثياب ، قياساً على المطر ، كما نقلته أنت عن النووي في « المجموع » ( ٢ / ٨٥ ) . ومع ذلك ، فأنت لا ترى الجمع ولا حتى في هذه الأيام الشديدة الثلج ، بل رأيناك تتخلف عن صلوات الجمع حتى لا تجمع ولا تخرج بالخروج من الجمع ، بينما تحضر لصلاة الفجر مع أنك ممن يدعو إلى ترك الجماعة والصلاة في البيت ، بحجة أن الصلاة في مثل هذه الظروف القاسية تكون في الرحال ، والأولى أن يصلي الناس في بيوتهم ، لا أن يجمعوا في مساجدهم ، فعجباً لك على هذا التناقض والمزاجية ؛ تتخلف تارة عن أربع صلوات ، أو إن شئت فقل صلاتين ؛ لأنك لا ترى الجمع ، أو لأن السنة الصلاة في الرحال ، ثم تحضر لصلاة الفجر ولا ترى أنه يلزمك أن تعامل سائر الصلوات معاملة واحدة ، وتارة تصلي الظهر ولا تجمع ، وتصلي المغرب ولا تجمع ، فماذا تسمي ذلك يا فضيلة الشيخ ؟! أليس هذا إلا اتباع الهوى وحب المخالفة والعزلة والتفرد ، ولو قامت كل الأدلة عليك ولو خالفت الناس جميعاً .

وما نقلته من مذهب الحنابلة حجة عليك أيضاً ، فقد أجازوا الجمع في المطر الذي يبل الثياب وحملوا الثلج عليه ، وهو - أي مذهب الحنابلة - من أوسع المذاهب تجويزاً للجمع ، بل وصل الأمر عندهم إلى تجويزه للمريض

ونحوه .

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية نقلت عنه في رسالتك (٢٤/٢٩) قوله :  
« يجوز الجمع للوحد الشديد والرياح الشديدة الباردة في الليلة الظلماء ، ونحو ذلك ، وإن لم يكن المطر » .

وقد أعرضت عن كلام آخر نفيس له تقدم إيراده في هذه المذكرة بما يلزمك الحجة - إن أنصفت وتجردت لله - ، ولا مانع من إيراد بعضه مرة أخرى ، لتعلم أنني لم أجمع إلا ولي سلف وقدوة من السنة وفعل الأصحاب والأئمة الأعلام . وقد بترت فتوى ابن تيمية وكلامه الذي سقته آنفاً ، ولم تأت على آخره ؛ لأنه حجة عليك وملزم لك إن أنصفت واتبعت الدليل والحق .

فقد سئل رحمه الله كما في « الفتاوى » (٢٤/٢٩) عن صلاة الجمع في المطر بين العشاءين ، هل يجوز من البرد الشديد أو الرياح الشديدة ، أم لا يجوز إلا في المطر خاصة ؟

فأجاب : « الحمد لله رب العالمين : يجوز الجمع بين العشاءين للمطر والرياح الشديدة الباردة والوحد الشديد ، وهذا أصح قولي العلماء ، وهو ظاهر مذهب أحمد ومالك وغيرهما ، والله أعلم » .

وأنت بترت قول شيخ الإسلام : « وهذا أصح قولي العلماء ، وهو ظاهر مذهب أحمد ومالك وغيرهما » ، فلم تذكر هذه الزيادة .

كما سئل رحمه الله عن رجل يؤم قوماً وقد وقع المطر والثلج ، فأراد أن يصلي بهم المغرب فقالوا له : يجمع فقال : لا أفعل ، فهل للمؤمنين أن يصلوا في بيوتهم أم لا ؟

فأجاب : « الحمد لله ، نعم يجوز الجمع للوحد الشديد والريح الشديدة الباردة في الليلة الظلماء ونحو ذلك ، وإن لم يكن المطر نازلاً في أصح قولي العلماء ، وذلك أولى من أن يصلوا في بيوتهم ، بل ترك الجمع مع الصلاة في البيوت بدعة مخالفة للسنة، إذ السنة أن تصلى الصلوات الخمس في المساجد جماعة ، وذلك أولى من الصلاة في البيوت باتفاق المسلمين ، والصلاة جمعاً في المساجد أولى من الصلاة في البيوت مفرقة باتفاق الأئمة الذين يجوزون الجمع ، كمالك والشافعي وأحمد ، والله تعالى أعلم » .

وأنت اقتصرت على سطر وربع السطر من كل ما تقدم من كلام شيخ الإسلام ؛ من عند قوله « نازلاً » إلى آخر فتواه . وهذا بتر مفسد لفتوى شيخ الإسلام .

ثم ما موقفك وأنت الذي تركت الجمع والجماعة في هذه الأيام - من قول شيخ الإسلام - : « بل ترك الجمع مع الصلاة في البيوت بدعة مخالفة للسنة ؛ إذ السنة أن تصلى الصلوات الخمس في المساجد جماعة ، وذلك أولى من الصلاة في البيوت باتفاق المسلمين ... » إلى آخر كلامه . لماذا بترته وأسقطته يا فضيلة الشيخ (!) وهل هذا هو مسلك أهل العلم : إسقاط وحذف ما عليهم وإظهار ما لهم ، أم أن القص والاعتباس من الأقراص لم يسعفك، فكان - لزاماً - عليك أن ترجع إلى الأصول العلمية لهؤلاء الأئمة .

ثم هذا شيخ الإسلام يقول (٢٤/٢٨) : « ويجوز عنده - أي الإمام أحمد - وعند مالك وطائفة من أصحاب الشافعي الجمع للمرض » ، ثم تأتي وتقول : إنك جمعت بعض الأوقات جمعاً غير سائغ عند من يقول به من الأئمة ! سبحانك هذا بهتان عظيم .

ثم ما لنا وللعمامة ، وما للعمامة وهذه المسائل . أما طلبة العلم الذين تحدثت عنهم فلم أرهم ولم أعرفهم ، كان عليهم أن يراجعوني ويناقشوني ، ولا يتكلموا فيّ من وراء وراء . ثم أليس من واجبك الذب عن عرض أخيك .

وإليك ما قاله النووي رحمه الله ، حتى تعلم أن جمعي - والحمد لله - سائغ في كل أحواله .

قال يرحمه الله : « وذهب جماعة من الأئمة إلى جواز الجمع في الحضر للحاجة لمن لا يتخذه عادة ، وهو قول ابن سيرين ، وأشهب من أصحاب مالك ، وحكاه الخطابي عن القفال الشاشي الكبير من أصحاب الشافعي ، عن أبي إسحاق المروزي ، عن جماعة من أصحاب الحديث ، واختاره ابن المنذر ، ويؤيده ظاهر قول ابن عباس : « أراد ألا يحرج أمته » ، فلم يعلله بمرض ولا غيره » .

والحاصل : إذا لم يكن الجمع سائغاً في المطر الغزير والثلج الكثيف ، فمتى يكون ؟ وأنت - مع شديد الأسف - لا تستسيغ جمعاً أيّاً كان ، حتى في هذه الأيام الشديدة البرد ، الكثيفة الثلج ، رأيناك تعزل الجمع ؛ لأنك اتخذت مذهباً خالفت فيه جماهير المسلمين ، وأصبحت رافع راية المخالفة ، ولا مبرر لقولك : إن بعض جمعي ليس مستساغاً ، إنما يقول ذلك من يجمع مع الناس ، ولا يعتزل جماعتهم ، فلقد سنتت للناس سنة سيئة ، لم نرها من غيرك ، فنخشى أن يلحقك وزرها ووزر من عمل بها من مقلديك والمفتونين فيك .

قلتَ : « لقد صليت خلفك في العام الماضي فجمعتَ في أيام ولم أجمع

معك ، فلماذا لم تنكر عليّ ما أنكرت عليّ في هذا العام ؟ هل هناك سبب في التفريق بين المسألتين ؟ » .

أقول : نعم ، هناك فرق ؛ ذلك أنني أحسنت بك الظن يومئذ ، وحسبت أنك تخرج لعذر ، ولم أكن أعلم أنك تحرّم الجمع على الآخرين ، بل تتهم الذين يجمعون بالإجرام والإثم وكبائر الذنوب ، وأنهم يصلون على غير الوقت ، وأنت بذلك تخالف السنة ، وتهدر الأدلة الواردة في ذلك ، وتتجاهل فعل السلف العاملين بها في أمصارهم ، نعم أنكرت عليك لما رأيته حدثت شيئاً لم تسبق إليه ، وهو اعتزال جماعة الإمام لتصلي وحدك ، أو مع شردمة قليلين ، وأنت المقتدى بك ، حتى أخذ بعض العامة يقلدونك وينسحبون من الجمع ، ويكثرون الثرثرة واللغظ خارج المسجد ، ويتكلمون في إمامهم ، وأنت سبب جرأتهم على إمامهم ، وقد سبق أن صرحت لبعض الإخوة : أنك تتعمد ترك الجمع لأجل أن يقتدي بك الناس ، وهذه فتنة وفرقة عن تعمد وقصد وتبييت نية ، تتنافى وأيسر قواعد الفقه والحكمة ، وترجيح مصلحة العامة والخاصة .

قلت : « فضيلة الشيخ : سمعتك تقول : اجعلها نافلة خشية الفتنة » .  
أقول : نعم ، ولا زلت أقول ، وهذا كلام أئمتنا فيما هو مثل ذلك ، حفاظاً على الجماعة ووحدة صف الأمة ، فهذا إمام الدنيا الألباني سألناه عن صلاة الأئمة الفجر قبل وقته ، هل نعزل الصلاة ونصليها في البيوت ، فقال : لا . صلوا في المساجد معهم ، واجعلوها نافلة ، ثم أعيدوها في بيوتكم ، ولا يخفى قول الرسول ﷺ : « الإمام ضامن » ، وقوله : « يصلون بكم - يعني الأئمة - فإن أحسنوا فلكم ولهم ، وإن أساءوا فعليهم » .

وما استدلت به من آثار ، حجة عليك ، فقد جمع الصحابة والتابعون  
ومشيخة السلف خلف الأمراء في الليالي المطيرة ، ولم ينكروا ذلك أو يعتزلوا  
أئمتهم ، ولم يكونوا أئمة جور ، وكيف وعلى رأسهم الخليفة الراشد عمر بن  
الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز وغيرهما ، وإني أتحدى أن تأتينا بعالم معتبر  
كان يعتزل جماعة المسجد لرأي رآه خالف فيه إمامه ، لكننا - وللأسف - في  
زمان إعجاب المرء برأيه .

ثم إن الدليل الذي سقته لا يسعفك ؛ لأن الرسول ﷺ معصوم ،  
وفعله تشريع للأمة ، وقد أراد أن يبين للأمة أن صلاة التراويح نافلة ،  
وليست فرضاً ؛ لذا فعلها وتركها تشريعاً للأمة ، فأين فعلك من فعله ، ثم  
إن تشبيه ترك الجمع وتحريمه على الآخرين بالتكبير وعدمه بسجود التلاوة  
تشبيهه وقياس مع الفارق ؛ لأن التكبير في سجود التلاوة وعدمه مذهب  
معروف عند العلماء ، يختص بالإمام وحده . أما انسحابك من الجمع وتجريم  
فاعليه يتعدى إلى الآخرين ، فقد خلخل المسجد وجعل الناس في حيص  
بيص ، وقيل وقال ، وخوض فيما لا علم لهم به ، وتشكيك في إمامهم ،  
وأنه لا ينصح لهم ، وأنه يفعل ما لا ينبغي ، وبذلك أحدث فتنة ، وشققت  
الصفوف ، وخرقت السفينة - قصدت أم لم تقصد - ، فالعبرة بالنتائج  
والثمرات .

وقد تقدم من الأدلة ما يغني عن إعادته ، وحسبي أن أقول :  
أليس هؤلاء الأئمة الذين ثبت الجمع عنهم حجة عندك ؟ أو ليس لك  
فيهم أسوة حسنة ؟ أم هم مجرمون آثمون مرتكبون لكبائر الذنوب ؟!  
قال شيخنا الألباني رحمه الله في « إرواء الغليل » ( ٤٠ / ٢ ) معلقاً على

تلك الأحاديث بعد تصحيحها :

« وذلك يدل على أن الجمع للمطر كان معهوداً لديهم ، ويؤيده حديث ابن عباس المتقدم قبل حديث ؛ « من غير خوف ولا مطر » ، فإنه يشعر أن الجمع للمطر كان معروفاً في عهده ﷺ ، ولم يكن كذلك لما كان ثمة فائدة من نفي المطر كسبب مبرر للجمع ؛ فتأمل . »

وأنا أدعوك أيها الأخ أن تتأمل وتنصف ولا تتشدد في آرائك حتى أصبح ذلك سمة ظاهرة فيك ، يعرفه كل من خالطك واقترب منك ، ولا تأخذ ببعض النصوص التي تنصر بها مذهبك وتعرض عن الأخرى - كما فعلت مع كثير منها - وأنت القائل في مقدمة رسالتك إليّ : « أعاذنا الله وإياك من ( الهواء ) والضلال » والصحيح « الهوى والضلال » .

وتحت باب : الإمام يؤخر الصلاة والقوم لا ينجشونه ؛ أوردت أثراً عن ابن مسعود وقصته مع الوليد بن عقبة حين أخرج الصلاة ، ثم بعده أوردت حديثاً لرسول الله ﷺ عن تأخير أمراء الجور في آخر الزمان الصلاة .

ولا أدري ما مناسبة الاستشهاد بهما في خلافنا الدائر في مسألة الجمع ؟ وهل نحن ممن يؤخر الصلاة عن وقتها - عياداً بالله - أم أننا ننتظر تمكن الوقت في الفجر وفي غيره ننتظر كسائر المساجد وقتاً يتسع لحضور أكثر المصلين .

وهل في ذلك حجة لك لتترك الجمع معنا ، وتؤلب المصلين على من يجمع ، كما فعل بعض المشايخ عندما دخل أحد مساجد عمان ، ووجد الإمام يهيم بالجمع ، فمنعه من ذلك تعتاً وتعصباً لرأيه ، وحماً للناس على رأيه ، وهو - أي ترك الجمع مع قيام أسبابه - مذهب يروج له عند طائفة

من الناس لإرجاع الناس إلى عهد تقليد المذاهب ، بعد أن وفقهم الله للعمل  
بالدليل واتباع السنة .

وقد ثبت عن عبد الله بن عمر أنه كان يجمع مع الأمراء إذا جمعوا ،  
وكذا عن مشيخة أهل زمانه ، لا ينكرون شيئاً من ذلك ، وقد تقدم تخريج  
ذلك .

وتحت باب : الإمام يؤخر الصلاة والقوم يخافون سطوته ؛ أوردت  
حديث أبي ذر في الصلاة خلف أمراء الجور الذين يؤخرون الصلاة عن  
وقتها ، وأمر النبي ﷺ أبا ذر أن يصلي معهم ويجعلها نافلة ، تجنباً لبطشهم  
وتنكيلهم .

وإذا كان انسحابك من الصلاة خلف الأئمة الذين يتبعون السنن  
ويحيونها - والله الحمد - يحدث فتنة وتفريقاً وزعزعة لأمن المسجد يضر  
بالعامة والجماعة ، أو ليس تقديم مصلحة الجماعة ومصلحة المسجد مقدمة  
على المصلحة الشخصية ؟ وهذا حقاً ما فعله فقهاء الصحابة مع أئمتهم ،  
سواء أكانوا أئمة هدى أم أئمة جور ؛ لأن من منهج أهل السنة والجماعة  
عدم الخروج على أئمتهم ، وإن جاروا ، ويرون الصلاة خلف كل بر وفاجر ،  
وأعيذك من النزعات التكفيرية المنتشرة اليوم بين كثير من الشباب ، ومن  
ينسبون إلى المشيخة والعلم ، فهذا ابن عمر صلى خلف الحجاج ولم يثبت  
عنه أنه كان يصلي بهم الصلاة على غير وقتها ، وصلى بعض الصحابة  
خلف ابن أبي معيط وقد صلى بهم الفجر أربعاً ، وكان يشرب الخمر ؛ ذلك  
لأن الصحابة يدركون ما في اعتزال أئمتهم من المفسد والشرور على الأمة ،  
خاصتهم وعامتهم ، وأنها نزعة الخوارج والمكفرة ، عياداً بالله .

وفعل ابن مسعود مع عثمان ، وصلاته خلفه في منى أربعاً ، وقد صلاها مع النبي ﷺ ركعتين يدل على فقهه وحكمته وتقديره لعواقب الخلاف . وأما اعتزالك جماعة الإمام ؛ لأنه يجمع وأنت لا تجمع ؛ فقد أجاب عنه شيخ الإسلام في فتواه التي بترتها ولم توردها لأسباب الله يعلمها وحده ، ومنها قوله : « وذلك أولى (أي الجمع في المسجد) من أن يصلوا في بيوتهم ، بل ترك الجمع مع إعادة الصلاة في البيوت بدعة مخالفة للسنة ؛ إذ السنة أن تصلى الصلوات الخمس في المساجد جماعة ، وذلك أولى من الصلاة في البيوت باتفاق المسلمين » ، وهذا قد بترته كله .

وتأمل قوله أيضاً : في « مجموعة الرسائل والمسائل » (٢ / ٤٠) : « فهذه الآثار - أي التي ساقها من قبل - تدل على أن الجمع للمطر من الأمر القديم المعمول به في المدينة ، زمن الصحابة والتابعين ، مع أنه لم ينقل أن أحداً من الصحابة أو التابعين أنكر ذلك ، فعلم أنه منقول عندهم بالتواتر جواز ذلك » .

وهذا الذي كان ينبغي أن تورده وتستدل به أيها الأخ الفاضل لا غير ؛ لأنها محل الخلاف والشاهد .

وعلى فرض التسليم لك بالتفريق الذي أوردته ؛ حيث قلت : « وإن كان لا يخاف الأمير ، والفعل أو الترك فيه اعتداء على حدود الله تعالى ، كترك واجب أو فعل حرام ، فيتعين المخالفة وعدم الموافقة » .

إذن أنت خالفتنا لأنك تعتقد أننا تركنا واجباً ، واعتدينا على حدود الله ، مع الأمن من جانبنا - والحمد لله - وأظن أن هذه هي حقيقة ظنك واعتقادك فيمن يجمع كجمعنا ، وإلا لما استدلت بأثر عمر علينا « ثلاث من

الكبائر» ، مع علمك أن أثر عمر مقيد بالجمع بغير عذر<sup>(١)</sup> .

ونحن - والحمد لله - نجمع بعذر وبدليل وبفعل السلف والأئمة الكبار من السلف ، ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا ؛ كالأئمة الثلاثة ابن باز والألباني وابن العثيمين رحمهم الله ، وسنورد فتاواهم في المسألة لمن يتبغي الحق .

ولازم قولك المتقدم أن من يخاف الأمير فله أن يعتدي على حرمان الله بترك واجب أو فعل حرام لخوفه من بطشه ، فيوافقه على مراده - حتى لو كان من العلماء - وهذا باطل ؛ فإن الإمام أحمد عارض الخليفة في مسألة خلق القرآن مع شدة بطشه على من خالفه ، ومع امتحانه وسجنه وقتله لكثير من العلماء ، لكن الإمام أحمد ثبت ، فثبتته الله ونصر به الدين .

ثم إن الوليد بن عقبة أخر الصلاة عن وقتها حتى خرج وقتها .

وابن مسعود يرى القصر ، ومع ذلك يصلي خلف عثمان حتى لا تكون فتنة وشر يوقع العامة في عصبية وحزبية وتقليد أعمى لأحد الفريقين ، ولا شيء أضر بالعامة من نقل خلاف العلماء إليهم وإيقاعهم في التخبط والبلبلة ، فكيف إذا كانوا مجتمعين على إمامهم ، ثم جاءهم من يفسدهم على إمامهم ، فأخشى أن يكون هذا هو الكبيرة بعينها ...

قلت : كما في (ص ٧) ، نقلاً عن ابن عبد البر رحمه الله ، كما في

« التمهيد » (٣٠٧/١٦) : « لأن مخالفة الأئمة لا تجوز إلا فيما لا يحل ، وأما

فيما أبيح فلا يجوز فيه مخالفة الأئمة إذا حملهم على ذلك الاجتهاد » .

---

(١) وإلا كان عمر رضي الله عنه ممن يفعل خلاف ما يقول - وحاشاه من ذلك - حيث ثبت عنه الجمع في المطر فيما رواه عبد الرزاق عنه في مصنفه (٥٥٦/٢) عن إبراهيم بن محمد عن صفوان ابن سليم قال : « جمع عمر بن الخطاب بين الظهر والعصر في يوم مطير » .

أقول : وما فعلناه نحن في مسجدنا من جمع ، هل هو من باب ما لا يحل أم من باب ما يحل ويجوز فيه الاجتهاد بل الاتباع ؟ وهل عملت - وفقك الله للخير - بما قاله ابن عبد البر حين انسحبت من الجمع في الأيام التي لا تحتاج إلى اجتهاد لوضوح النصوص فيها ، مع قولك في رسالتك : كما لا يخفى على أمثالك أن الجمع في الحضر ليس من أركان الإسلام ولا من فروض الكفاية والأعيان ، فإذا قمتَ به مجتهداً فظني بك أنك تريد إصابة الرخصة .

وهذا مع الأسف يناقض ويعارض ما أوردته من كلام ابن عبد البر مقرأً له موافقاً ، ومعارضاً لكلام شيخ الإسلام أشد المعارضة ، حيث نقلت عنه رحمه الله قوله : « ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات ؛ لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا ، كما ترك النبي ﷺ تغيير بناء البيت لما في إبقائه من تأليف القلوب ، وكما أنكر ابن مسعود على عثمان إتمام الصلاة في السفر ثم صلى خلفه متمماً ، وقال : الخلاف شر » .

والأولى بك يا أخي أن تجمع مع الناس في المسجد ؛ لأنك أتيت إليهم وهم يجمعون مع إمامهم ، فأنت الذي فرقتهم بتشددك وإصرارك على مذهبك ، وقد بان لأهل المسجد جميعاً - والحمد لله - ظاهرة التشدد والتنطع هذه ، فتركوك تخرج وحدك بغد أن عرفوا الحق ، فمن الذي ينبغي أن يؤلف القلوب ؟ المخالف للإمام والمصلين ، أم الإمام وجماعة المسجد الذين اجتمعوا على سنة ورخصة ، وجاءهم من يشككهم في جمعهم وصلاتهم ؟ الأولى والأحرى بك أيها الأخ أن تسير مع القافلة ولا تحرق السفينة ،

ولا تشذ وحدك من دون الناس ، ولو على حساب ألفة المصلين واجتماع كلمتهم ، وقولك : وتدبر يا فضيلة الشيخ (بترك المستحبات) متوجه إليك قبل كل شيء ، وقد تدبرت جيداً وفعلت ما هو أرحم وأرفق بالمصلين ، فأهل السنة - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - « أعرف الناس بالحق ، وأرحم الناس بالخلق » .

وابن مسعود الذي خشي الشر والفتنة صلى خلف إمام المسلمين الأكبر، ولم يشغب على إمامه بتفريق جماعته ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .  
وكلام شيخ الإسلام الذي أوردته رد عليك أيضاً ، فالجمع رخصة ونافلة ، فإذا جمع الإمام ، فالأصل أن تجمع معه عملاً بأصل ( جمع كلمة المسلمين وتأليف قلوبهم ودرء المفاسد عنهم ) ، لأن جمع كلمة المسلمين أصل عظيم من أصول الإسلام ، وغاية محبوبة عند الله ، قامت الأدلة عليها من الكتاب والسنة وعمل سلف الأمة ؛ كانوا يحبون الألفة ويكرهون الاختلاف ، ويجمعون الأمة على أئمتها ، سواء أكانوا خلفاء أم علماء أم أئمة مساجد لا يرون تفريقها والشذوذ عنها ، حتى ولو كان على خلاف رأيهم ، فيؤثرون المرجوح على الراجح عندهم إذا كان فيه تجميع الأمة وتقويتها ، كما تقدم من كلام ابن عبد البر وابن تيمية وغيرهما ، والله المستعان .

قولك : « وهناك أمر يا فضيلة الشيخ ، هذه صلاة واحدة ، وأما الجمع فصلتان منفصلتان ، فالقياس مع الفارق » .

أقول : العبرة بالمفاسد الناتجة والثمرات السيئة ، فلو أنك اكتفيت بترك الجمع معنا لوجدنا لك بعض المسوغ ، ولكنك أخذت تفتي بخلاف ما نحن

عليه ، بل وتجرم وتؤثم من يجمع حتى تحزّب عليك بعض المصلين وأخذوا يقلدونك ويتكلمون في الإمام والجمع ، فالنتيجة واحدة .

قلت : كما في (ص ٨) : « سمعتك تردد عبارة (الخلاف شر) وهذا بعد صلاة الظهر على أثر تركي للجمع ، فهل مخالفتك للأوقاف وغيرهم في وقت صلاة الفجر وصلاة المغرب ووقت الإمساك والفتور ، ووقت الرمي في الحج والمبيت في منى ، والإطعام في زكاة الفطر ، ووجود الخيوط المسوية للصفوف ، والأذان من المسجل ، وغير ذلك يعد من الخلاف أم لا يعد؟ » .

أقول : عجيب منك هذه الأمثلة وأنت الذي تزعم تصنيف الناس لك بأنك سلفي . تعلم أن في الأمثلة المذكورة ما هو بدعة ضلالة كالأذان الموحد ، وفيه ما هو حرام ؛ كالصلاة قبل دخول الوقت ، ونحن والله الحمد نأخذ بالسنة ونعمل على إحيائها ، ثم أليس ما ذكرت من أمثلة أنت معنا فيها ؛ هل ترى تأخير الفطور حتى ذهاب الشفق كما هي طريقة اليهود والرافضة!! وهل تفتي أنت بجواز الرمي قبل الزوال أيام التشريق خلافاً للسنة؟! وهل تقر أنت الأذان الموحد الذي حرم المؤذنين من التأذين ليكونوا أطول الناس أعناقاً يوم القيامة ، وهل ترى إخراج زكاة الفطر نقداً تقليداً للحنفية ، والسنة إخراجها عيناً من قوت البلد ، الخلاف المعتبر - وهذا لا يخفى عليك - هو الذي يقوم عليه الدليل ، وتباين فيه الإفهام ما لم ينتج عنه فتنة أو فرقة وشر .

ولماذا تريد أن تؤجج بيني وبين الأوقاف معركة وفتنة ، كما فعلتها في مسجدي - هداك الله - بعد أن قدمناك واحترمناك وجمعنا عليك الناس ، فهل هذا هو جزاء الصحبة القديمة وتعليم القرآن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قلت : كما في (ص ٨) : « صلى الناس خلفك في التراويح ، فخرج

بعضهم بعد العشاء ، وفعلمهم نظير فعلي ، بل على العلة ، وهي الخلاف موافقاً تماماً لفعلي ، فلماذا لم تنكر عليهم كما أنكرت علي .

أقول : يختلف تماماً عن فعلك ، فأنت تخرج عن قصد وكره لجمعنا وصلاتنا ، بل لا تراه ألبتة ، وتتعمد وتتقصد الخروج ليتبعك من يقلدك ويتعصب لك - وهذا ما صرحت به لبعضهم - ولم تكتف بالخروج ، بل قمت تدرّس من ورائنا وبغير إذننا وعلمنا ، ضدنا ، وتنتهي عن جمعنا وتتهمنا بأننا نجمع من غير مسوغ ، بل تشكك في جمعنا ، ولم تلتمس لنا عذراً ، ولم تستوف أدلة البحث لتعلم أننا على سنة ورخصة وحق ، ولنا سلف كثير في ذلك .

قلت - غفر الله لك - : « ليس مقصدي من الرسالة أن أعود إلى المحراب للصلاة في الناس أو أي أمر دنيوي ، لا والذي نفسي بيده ، مقصدي تسوية الخلاف والحرص على سلامة الصدور » .

أقول : إن كان قصدك كما حلفت وأقسمت - وأنت صادق إن شاء الله - لكن كان عليك أن تطلب جلسة بيني وبينك نناقش فيها الخلاف بالدليل؛ لنصل إلى حل يزيل الخلاف - وليس بيني وبينك حواجز كما تعلم - وقد تناصحنا أكثر من مرة في أكثر من قضية ، لكنك بدأت بالكتابة وبالرد لعله من أجل أن تُري أصحابك ومقلديك ومن يتعصبون لك أنك محق في هذه المسألة ، وأنت صاحب بيان وقدرة على الرد ، وأن ما معك من أدلة هي الأقوى والأصح ، وأن ما أنت عليه من مذهب مخالف هو الحق الذي يجب المصير إليه ، ومما زاد الطين بلة والخرق اتساعاً أنك درّست مرتين وتكلمت في هذه المسألة وشغبت عليّ فيها دون علمي وإذني ، بل استغللت

فرصة غيايبي للحج وأخذت تثير هذه القضية نصرة لمذهبك ، ومخالفة لإمام المسجد ، فما الذي تستفيده إن هيجت المصلين على إمامهم إلا الإثم والوزر .

ثم قلت في الصفحة نفسها : « فضيلة الشيخ لا أظن أنك تجمع اتباعاً للهوى ، بل ظني فيك أنك تجمع عملاً بقول النبي ﷺ : « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته » [ رواه ابن حبان ] .

أقول : هذا قولك حسن ، وليت فعلك كان مثله ، بل للأسف رأينا خلاف ذلك وسمعنا خلاف ذلك ، وأنت أخذت تدعو لمذهبك وتحمل الناس عليه ، وتهاجم من يجمع متهماً إياه بالإجرام والإثم ، ولعلك تقول : لا أقصدك ، لكن أقصد من يجمع بغير عذر ، فأقول : ونحن نجمع بعذر ، فما فائدة التصريح بهذا بين أظهرنا أمام العامة ؛ الذين لا يفقهون هذه المسائل وما هو دونها ، وضرر هذا الكلام عليهم لا يعلم آثاره إلا الله تعالى .

قلت - (ص ٩) - : « فلما رجح عندي أن الجمع ليس بعذر كفت عنه ؛ لأنه يفضي إلى أن أصلي الصلاة على غير وقتها ، وهذا من الكبائر كما ثبت ذلك عن عمر رضي الله عنه ... عن أبي قتادة العدوي قال : قرئ علينا كتاب عمر ( من الكبائر الجمع بين الصلاتين ، يعني بغير عذر ، والفرار من الزحف ، والنهبة ) ، وهذا إسناد صحيح » .

أقول : غفر الله لك ، كيف سويت بين جمعنا ونحن نجمع بعذر قامت عليه الأدلة من قول الرسول وفعله وفعل أصحابه وكلام الأئمة ، وبين الفار من الزحف والمنتهب ، وكأنك نسيت القيد الموجود في الأثر الموقوف على عمر من قوله : « بغير عذر » ، أوليس جبال الثلج وأنهار المطر عذراً عندك

يا أخي ؟ فأثر عمر قد فسره عمر نفسه بفعله ، حينما جمع بالمطر كما تقدم فيما أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » ( ٥٥٦ / ٢ ) ، والمطر عذر عند عمر ، وهكذا الأدلة يفسر بعضها بعضاً ، ولا يؤخذ بعضها ويترك غيرها ، ثم فعل ابن عمر حيث كان يجمع مع الأمراء إذا جمعوا ، وقد تقدم تخريجه ، هل يعقل أن ابن عمر فهم من كلام الرسول ﷺ ومن كلام أبيه ما فهمت من استثناء المطر من العذر ، وهو العالم الرباني المتبع لما هو دون ذلك .

ومرة أخرى لم تشر إلى حديث ابن عباس وفعل ابن عباس ، والراوي أدري بمرويه ، وكيف فسر الحديث بقوله : « أراد ألا يخرج أمته » ، أعاذني الله وإياك يا أخي من اتباع الهوى .

وارجع إلى ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتأمل الأدلة ، وادع ربك أن يرشدك إلى الصواب والحق ، ليطمئن قلبك ، وتعلم أن جمعنا على الوقت ، وليس أداءً للصلاة على غير وقتها ، وإلا اتهمنا النبي ﷺ بذلك حين جمع في عرفات جمع تقديم ، وحين جمع في مزدلفة جمع تأخير ، وحين صلى الفجر في مزدلفة بغلس ، وكذلك حينما جمع في السفر تقديماً وتأخيراً ، فلا ينبغي لنا يا أخي أن نقدم حديثاً موقوفاً على صحابي ، ولو كان جليلاً كعمر على كثير من الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ ، معرضين عما كان عليه السلف من الرخصة في ذلك ، بل كانوا يعدّون ذلك من السنة .

وأنا مشفق عليك وناصح صادق بإذن الله لك ، أذكرك بقول عمر رضي الله عنه : « لأن أكون ذيباً في الحق أحب إليّ من أن أكون رأساً في الباطل » ، والشر كالشرارة ؛ يبدأ صغيراً ثم ينتهي ناراً متأججة ، فكن دائماً مع الجماعة ، فالجماعة رحمة ، والفرقة عذاب .

ثم لماذا لم تحمل أثر عمر على جمع الراضية ، الذين يجمعون صيفاً وشتاءً من غير عذر ؟ لماذا ضربت به في نحورنا ؟ ونحن والله الحمد لا نجمع إلا عند الضرورة وقيام المقتضي للجمع ، ولنا سلف كثير ، فهل هؤلاء كانوا يصلون الصلاة على غير وقتها ، وعلى رأسهم محمد ﷺ وأصحابه ، وعلى رأس أصحابه عمر ؛ الذي ضربت قوله بفعله بما صح عنه تفسيراً لقوله - إلا من عذر - حيث جمع في الليلة المطيرة .

وختاماً : فأنت باعتقادك أن الجمع في المطر ليس عذراً يبيح الجمع سوغت لنفسك ترك الجمع والتحذير منه ، وليت شعري ، ماذا أنت قائل في جمع النبي ﷺ وجمع أصحابه بما فهموه من جمع رسول الله ﷺ وأنه لرفع الحرج عن الأمة ، وإني ناصح لك أن تستوعب المسألة وترجع إلى ما قاله أهل العلم فيها بتجرد وإنصاف ، وبلا تعصب واعتساف .

إننا والله الحمد على الحق ، وإن جمعنا صحيح يشهد له الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة ، وفتاوى الأئمة من العلماء الربانيين قديماً وحديثاً .

وهذه بعض فتاوى وأقوال العلماء قديماً وحديثاً في جواز الجمع في المطر والبرد الشديد ، محل الخلاف ، وبالله التوفيق :

\* قال الإمام النووي : « يجوز الجمع بين الجمعة والعصر في المطر ، ذكره ابن كعب وصاحب البيان وآخرون » [المجموع شرح المذهب : ٤ / ٢٣٧] .

\* وقال رحمه الله : « وذهب جماعة من الأئمة إلى جواز الجمع في الحضر للحاجة لمن لا يتخذ عادة » [شرح النووي : ٥ / ٢١٩] .

\* قال شيخ الإسلام ابن تيمية - في حكم ترك الجمع والصلاة في البيوت - : « بل ترك الجمع مع الصلاة في البيوت بدعة مخالفة للسنّة ؛ إذ

السنة أن تصلى الصلوات الخمس في المساجد جماعة ، وذلك أولى من الصلاة في البيوت باتفاق المسلمين ، والصلاة جمعاً في المساجد أولى من الصلاة في البيوت مفردة باتفاق الأئمة - الذين يجوزون الجمع - ، كمالك والشافعي وأحمد « [مجموع الفتاوى : ٢٤ / ٣٠] .

\* وقال - بعد ذكره لأحاديث جمع النبي ﷺ - : « فالأحاديث كلها تدل على أنه جمع في الوقت الواحد لرفع الحرج عن أمته ، فيباح الجمع إذا كان في تركه حرج قد رفعه الله عن الأمة ، وذلك يدل على الجمع للمرضى الذي يحرج صاحبه » [مجموعة الرسائل والمسائل : ٤١ / ٢] .

\* وقال رحمه الله : « والجمع شرع رخصة ودفعاً للحرج عن الأمة ، فكيف لا يشرع إلا مع حرج شديد ومع ما ينقض مقصود الصلاة » [مجموعة الرسائل والمسائل ١٨ / ٢] .

\* وسئل رحمه الله - عن رجل يؤم قوماً وقد وقع المطر والثلج ، فأراد أن يصلي بهم المغرب فقالوا له : يجمع ، فقال : لا أفعل . فهل للمأمومين أن يصلوا في بيوتهم أم لا ؟ فأجاب :

« الحمد لله ، نعم يجوز الجمع للوحل الشديد والريح الشديدة الباردة في الليلة الظلماء ونحو ذلك ، وإن لم يكن المطر نازلاً في أصح قولي العلماء ، والله أعلم » [مجموع الفتاوى : ٢٤ / ٣٠] .

\* قال ابن المنذر : « يجوز الجمع في الحضر من غير خوف ولا مطر ولا مرض » ، وحكاه الخطابي في معالم السنن عن القفال الكبير الشاشي عن أبي إسحاق المروزي .

قال الخطابي : « هو قول جماعة من أصحاب الحديث ؛ لظاهر حديث

ابن عباس « [غاية المرام شرح معني ذوي الأفهام ، لابن عبد الهادي ، شرح الشيخ عبد المحسن العيكان : ٥٠٨/٦ ] .

\* قال ابن خزيمة : « لم يختلف علماء الحجاز على أن الجمع بين

الصلاتين في المطر جائز » [ صحيح ابن خزيمة : ٨٥/٢ ] .

\* قال الحافظ ابن عبد البر - عن الجمع بين الصلاتين في المطر - :

« وهو أمر مشهور بالمدينة معمول فيها » [ الاستذكار : ٣١ / ٦ ] .

\* قال العلامة ابن سعدي : « والصحيح جواز الجمع إذا وجد العذر ،

ولا يشترط غير وجود العذر ، لا موالة ولا نية ، ولا قولهم : إن معنى

الجمع لا تحصل إلا بالضم والاقتران ، غير مسلم ، فإنهم لم يوجبوا الموالة

في جمع التأخير ، وإنما معنى الجمع كون وقتي الصلاتين يصيران وقتاً واحداً

لكل منهما ، وبذلك تحصل السهولة الموجبة للجمع ، ... وإن شق عليه فعلٌ

كل صلاة في وقتها فله الجمع بين الظهر والعصر وبين العشاءين في وقت

إحدهما » [ فقه الشيخ ابن سعدي : ٣٠٨ / ٢ ] .

\* فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء :

أولاً : الفتوى رقم ( ٤٢٦٣ ) : يقول بعض الفقهاء : تصلى صلاة

المغرب والعشاء جمعاً في المطر بأذانين ، فما حكم ذلك ؟

الجواب : السنة أن الشخص يجمع بين المغرب والعشاء بأذان واحد

وإقامتين ، إذا وجد مسوغ ذلك ، كالسفر والمرض والمطر في الحضر ، هذا هو

الذي دلت عليه السنة الصحيحة الصريحة لفعل النبي ﷺ . وبالله التوفيق ،

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو

نائب الرئيس

الرئيس

عبد الله بن غديان

عبد الرزاق عفيفي

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

[ فتاوى اللجنة الدائمة : ٨ / ١٤٢ ] .

ثانياً : الفتوى رقم ( ٥١٣٣ ) : هل الجمع بين المغرب والعشاء أيام الأمطار رخصة فقط ، أم هو مثل القصر في السفر رخصة وهل من السنة الأولى فعلها ؟

الجواب : الجمع بين المغرب والعشاء رخصة في السفر والمرض والمطر ، وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته » .

وفي رواية أخرى : « كما يجب أن تؤتى عزائمه » ، وثبت عنه ﷺ في القصر في السفر أنه قال : « صدقة تصدق الله بها عليكم ، فاقبلوا صدقته » .  
وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو

عضو

نائب رئيس

الرئيس

عبد الله بن قعود

عبد الله بن غديان

عبد الرزاق عفيفي

عبد العزيز بن عبد الله

ابن باز

[ فتاوى اللجنة الدائمة : ٨ / ١٤٢ ] .

ثالثاً : الفتوى رقم ( ٧٧٥٧ ) : شروط الجمع بين الصلاتين ، إذا جمع فهل تصلى السنة أو الوتر .

الجواب : يشرع الجمع بين الصلاتين للمسافر والمريض ، وللمقيم في الليلة المطيرة، وله أن يوتر بعد صلاة العشاء المجموعة مع المغرب جمع تقديم .



وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس

نائب الرئيس

عضو

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

عبد الرزاق عفيفي

عبد الله بن غديان

[ فتاوى اللجنة الدائمة : ٨ / ١٤٤ ] .

\* وقال شيخنا الإمام الألباني - بعد ذكره للآثار التي ذكرها الإمام مالك في « الموطأ » ، من أن التابعين لم ينكروا الجمع في الليلة المطيرة - : « وذلك يدل على أن الجمع للمطر كان معهوداً لديهم ، ويؤيده حديث ابن عباس « من غير خوف ولا مطر » ، فإنه يشعر أن الجمع للمطر كان معروفاً في عهده رضي الله عنه ، ولم يكن كذلك لما كان ثمة فائدة من نفي المطر لتسوية الجمع ، فتأمل » . [ إرواء الغليل : ٤ / ٣٠ ] .

\* وقال شيخنا الإمام ابن باز - بعد ذكره لمسألة قصر الصلاة - : « أما الجمع فأمره أوسع ، فإنه يجوز للمريض ويجوز أيضاً للمسلمين في مساجدهم عند وجود المطر بين المغرب والعشاء ، وبين الظهر والعصر ، ولا يجوز لهم القصر ؛ لأن القصر مختص بالسفر فقط ، والله ولي التوفيق » [ تحفة الإخوان بأجوبة تتعلق بآركان الإسلام : ١٢١ ] .

\* وسئل رحمه الله : ما رأي سماحتكم في الجمع للمطر بين المغرب والعشاء في الوقت الحاضر في المدن ، والشوارع معبدة ومرصوفة ومناورة ، إذ لا مشقة ولا وحل ؟

الجواب : « لا حرج في الجمع بين المغرب والعشاء ، ولا بين الظهر والعصر في أصح قولي العلماء ، للمطر الذي يشق معه الخروج إلى المساجد ،

وهكذا الدحض والسيول الجارية في الأسواق ، لما في ذلك من المشقة .  
والأصل في ذلك ما ثبت في « الصحيحين » عن ابن عباس رضي الله  
عنهما ، أن النبي ﷺ جمع في المدينة بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء :  
زاد مسلم في روايته : « من غير خوف ولا مطر ولا سفر » ، فدل ذلك على  
أنه قد استقر عند الصحابة رضي الله عنهم أن الخوف والمطر عذر في الجمع  
كالسفر ، لكن لا يجوز القصر في هذه الحال ، وإنما يجوز الجمع فقط ؛  
لكونهم مقيمين لا مسافرين ، والقصر من رخص السفر خاصة ، والله ولي  
التوفيق » [ تحفة الإخوان : ١٢٤ ] .

\* وسئل شيخنا الإمام ابن عثيمين عن حكم الجمع بين الظهر والعصر  
وبين المغرب والعشاء في الحضر ، فقال :

« الجمع بين الظهر والعصر أو بين المغرب والعشاء في الحضر جائز إذا  
كان في تركه مشقة أو تفويت جماعة ، مثال الأول : مرض ، ومثال الثاني :  
الجمع حال المطر لجماعة المسجد ، فإن كان بإمكان كل واحد أن يصلي  
وحده في بيته في الوقت ، لكن لما كان ذلك تفوت به الجماعة ، أباح الشرع  
الجمع ، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما » [ مجموع فتاوى ورسائل الشيخ  
محمد صالح العثيمين : ١٥ / ٣٧٩ ] .

\* قال الشيخ عبد المحسن العبيكان - بتصرف يسير - : « ويجوز الجمع  
بين العشاءين لريح شديدة باردة ، وهو المذهب ، ومذهب مالك ، واختاره  
ابن تيمية والشيخ محمد بن إبراهيم . قال أحمد في رواية الميموني : إن ابن  
عمر كان يجمع في الليلة الباردة . زاد غير واحد : ليلاً ، وزاد في (المذهب)  
و(المستوعب) و (الكافي) مع ظلمة » [ غاية المرام شرح مغني ذري الأفهام ، لابن

عبد الهادي - شرح الشيخ عبد المحسن العبيكان : ٥٠١/٦ .

قلتُ : بعد كل ما تقدم من أحاديث صحيحة وآثار سلفية صريحة ،  
وفتاوى الأئمة الأعلام ، هل يجوز لك مهما بلغت من العلم والفهم  
والاعتداد بالنفس أن تتجاهل كل ذلك ، فتحارب من يجمع وتفتي بمنع  
الجمع ، متجاهلاً كل هؤلاء العلماء ، بل وتخفي النصوص والآثار الثابتة في  
الجمع عن محبيك ومقلديك حتى أساءوا بك الظن واتهموك بغشهم .

وختاماً : أرجو أن تعلم أن خلافي معك خلاف علمي محض ، فأنا لا  
أخالفك لذاتك حباً في المخالفة أو حسداً أو حقداً ، أو اتباعاً للهوى ، أو  
لأنني أشعر أنك نذ لي ، فلم أشعر يوماً بشيء من ذلك ، لذا فإنني قد  
نصحتك وبرأت ذمتي ، متمنياً لك السداد والرشاد ، وترك التعصب لرأيك  
والتعننت مع مخالفيك .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا  
اجتنابه .

والحمد لله رب العالمين

أخوكم

محمد موسى نصر

١٠ / محرم / ١٤٢٤ هـ

العقيدة

٣٤-٣٣	* الإيمان
١٢	تعريف العبادة
٩	تعريف الشرك
١٣-٩	أنواع الشرك
٥٧-١٠-٩	الشرك أعظم الذنب عصي الله به
١١	ليس الشرك فقط السجود لغير الله
١١	الغلو في الصالحين أول أسباب الشرك
١١	النهي عن الغلو في المدح
٣٢	لا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير الله
١٤١ ت	الردة وأنواعها
٣٣٦ ت	تعريف الردة وأقسامها
	* الأسماء والصفات:
١٦	تبديل اليهود حطة بجنطة يشابهه تبديل الجهمية استوى به (استولى)
١٧٠	الصحابة لم يختلفوا في تأويل آيات الصفات
	* متفرقات في العقيدة :
١٦١	الفرق بين الصنم والوثن
١٧٣	التمائم
١٧٢	أثر الأحاديث الضعيفة على عقيدة المسلم
٧٤	الإسراء والمعراج
١٧٦	الغيب لا مجال للعقل فيه
١٠٦	من رد السنة وأنكرها مرتد عن دين الإسلام
٣١٩	ناقل الكفر ليس بكافر
١٥	مخالفة أمر الله ورسوله سبب اللعنة والعذاب

## البدعة

١٨١	تعريفها
١٨٣	أقسامها
٣٥	ما هو الابتداع
٩٦، ٣٥	شرطا العمل الحسن
٥٧	العمل المتقبل هو ما كان خالصاً لله وفيه متابعة للرسول ﷺ
١٥	كل من بدل أمر الله فقد ظلم نفسه
١٩	الحق واحد والباطل يتعدد
٣٦	الحق ضد الباطل

## اليهود وفلسطين

١٤٥	من فضائل فلسطين
١٤	الأرض المقدسة
١٤	اليهود لا يطيعون أمراً ولا يلتزمون عهداً
١٤	التيه لبني إسرائيل كان أربعين سنة
١٤	قصة بني إسرائيل ونكولهم عن الجهاد وعدم دخول الأرض المقدسة
١٦	تبديل اليهود حطة بجنحة يشابهه تبديل الجهمية استوى بـ (استولى)

## التفسير وقصص القرآن ومعانيه

١٤٩، ١٢١	قصة أصحاب السبت
٦٥	معنى الأيام المعلومات
٦١	معنى الأشهر المعلومات
١٠٧	ما هي الحكمة
١٤	معنى حطة
٢٢	تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾
٩	تفسير قوله تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء﴾
٢١	تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله والرسول﴾

٢٨	تفسير قوله تعالى: ﴿وما بدلوا تبديلاً﴾
١٦٦	تفسير النور في قوله تعالى: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾
٢٨٧، ٢٥، ٢٤	تفسير قوله تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾
١٥٩	تفسير قوله تعالى: ﴿وقالوا لا تذرنا آهتكم﴾
٣١	تفسير سورة العصر
٣٢	ما المقصود بالعصر في السورة
٣١	سورة العصر مقسومة بين العبد وربه

## فوائد طبية

٢٣٧	تعريف الطب
٢٣٨	الطب إلهام من الله تعالى
٢٣٩	الحيوانات تدفع أمراضها بإلهام من الله تعالى
٢٤٠	جعل الله تعالى شفاء الخلق وعلاجهم في أعشاب أرضهم
٢٢٩	أصول قواعد الطب ثلاثة
٢٢٩	آيات الطب في القرآن تجاوزت الأربعين
٢٣٥	بعض مؤلفات كتب الطب
٢٢٤	طلب العافية من جوامع الدعاء
٢٣٣-٢٣٢	السواك ومشروعيته
٥١	استعمال السواك في الصيام

## الأوائل

١١٥	أول عمل النبي ﷺ في المدينة بناء المسجد
١٩٨	أول من قتله الكبر إبليس لعنه الله
١٩١	القلم أول مخلوق
٢٦٣	أول من حفظ عنه في الإسلام لفظة: ما لا نفس له سائلة
٢٤٤	أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعم
٢٣٥	أول من أفرد رسالة في حفظ الصحة

١١	الغلو في الصالحين أول أسباب الشرك
<b>القواعد وأصول الفقه</b>	
٢٨	العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
٢٠٤	من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه
٢٩٦	النجاسة لا تزال بالنجاسة
٣٠٤	كل قرض جر فائدة فهو ربا
٣١٩	ناقل الكفر ليس بكافر
٣٤٦	قول الصحابة (كنا نفعل) يدل على الإجماع
	الخلاف المعتبر هو الذي يقوم عليه الدليل وتباين فيه الأفهام ما لم ينتج عنه
٣٦٤	فتنة أو فرقة وشر
٥٠-٤٩	قبول خبر الواحد وحجيته
٦٣	(من) يؤتى بها للتخصيص على العموم
١١٠	الخبر المتواتر وخبر الآحاد
١٨٢	من استحسن فقد شرع
١٨٢	لا اجتهاد في موضع نص
<b>أصول الحديث</b>	
١١٠	الخبر المتواتر وخبر الآحاد
٥٠-٤٩	قبول خبر الواحد وحجيته
١٧٧	لم يصح حديث في فضل العقل
١٧٤	من أسباب وضع الحديث
١٨٢	الحديث الضعيف لا يعمل به في الأحكام والفضائل
١٧٢	أثر الأحاديث الضعيفة على عقيدة المسلم
<b>تراجم وأعلام</b>	
١٤٦	استشهد جعفر بن أبي طالب وعمره ٣٣ سنة
٣٢٧	مالك أخذ عن نافع القراءات، ونافع أخذ عنه الفقه والحديث

- ٢٦٣ إبراهيم النخعي أول من تلفظ بعبارة: ما لا نفس له سائلة
- ٣٠٥ نابليون دخل بلدًا إسلاميًا ولبس فيه عمامة وجبة
- اللات كان يلت السويق على صخرة ويطعم الناس فعكفوا على قبره
- ١١ وعبدوه
- ١٩٩ قارون هلك بغروره وتكبره
- ٣٠٥ الشيطان خرج على المشركين في صورة شيخ ليضلهم
- ١٥ لعن إبليس بسبب رفض السجود وفسقه
- ١١٦ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

### الجهاد

- ٢٢ حياة الأمة الإسلامية بالجهاد
- ٥٢ غزا النبي ﷺ ست غزوات كلها في رمضان
- شرط الحياة الطيبة في الدنيا والاخرة السير على منهج الله واتباع رسوله
- ٢٣ والجهاد في سبيله
- ١٤ قصة بني إسرائيل ونكولهم عن الجهاد وعدم دخول الأرض المقدسة

### الأحزاب والجماعات

- ٩٥ أقسام الدعاة المخلصين
- ١٠٤ الحزبي ولاؤه لحزبه وليس لله تعالى
- ١٣٥ التصفيات الفكرية والجسدية بين الأحزاب من الغدر

### الأخلاق والتركيبية

- ٣٣ من وظائف المسلم
- ٣٣ الناس في خسران إلا من جمع أربع خصال
- ١٣٨ إخلاف الوعد يتنافى مع الرجولة
- ٦٤ خير زاد هو التقوى
- ١٦ التفاضل لا يكون إلا بالتقوى
- ٨١ الإمامة في الدين تنال بالصبر واليقين

٨٧	صلاح أمر الأمة بالزهد واليقين
٩٢	الحكمة في إنكار المنكر
٢٢٤	طلب العافية من جوامع الكلم
١١٦	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

## الفقه

٤١	الزكاة:
٤١	فوائد إخراجها
٤٦، ٤٤	أنصبتها
٤٥	ما لا زكاة فيه
٤٣	المال الذي تجب فيه الزكاة
٤٤	زكاة عروض التجارة
٤٧	الزكاة في أموال اليتامى والمجانين
٤٦	زكاة الحلبي
٤٨ فما بعد	الصوم:
٥٣ ت	تعريف الصيام
٥٣	حكيمته
٥٤	الصيام من أكبر أسباب التقوى
٤٩	الاكتفاء بشاهد واحد في رؤية الهلال
٥٢	غزا النبي ﷺ ست غزوات كلها في رمضان
٥١	من يقضي الصوم ومن يطعم بدلاً من القضاء
٥٠	أذان الإمساك غير مشروع
٥٠	الفجر فجران
٥٦	الحج:
٦١	ما هي الأشهر المعلومات
٦٥	ما معنى الأيام المعلومات

٦٥-٦٦	فضل العشر الأوائل من ذي الحجة
٥٧	توبة الحاج ورد المظالم قبل حجه
٥٨	الحج بمال حلال ونفقة طيبة
٥٨	من حج بمال حرام فحجه صحيح عند الجمهور لكنه ليس حجاً مبروراً
٥٩	عدم وجوب الحج على المرأة التي ليس لها محرم
٥٩	حج المرأة بدون محرم صحيح لكنها آثمة
٦١	عدم جواز الإحرام بالحج قبل أشهره
٦٦	فضل صوم يوم عرفة
٦٥	وجوب صلاة العيد على غير الحاج
٦٩	الأضحية:
٦٩	تعريفها
٧٠	إجزاؤها عن الرجل وأهل بيته
٧٢	حكمها
٧٠	شروطها
٦٩	ذبحها بعد الصلاة لا قبلها
٧٠	آخر وقتها
٧١	صفة ذبحها
٧٣	تقسيمها
	النكاح:
١٥٠	نكاح التحليل

### أخلاق مذمومة

	الحسد:
٢١١	معنى الحسد
٢١٤	دواء الحسد
	الغدر:

١٣٣-١٣٢	تعريفه
١٣٤	الغدر ظلم
١٣٥	جريمة الغدر في شرعنا وشرع من قبلنا
١٣١	الغدر من خصال المنافقين
١٣٥	التصفيات الفكرية والجسدية بين الأحزاب من الغدر
٦٨	المعاصي سبب الذل والهوان
١١٦	ضعف المسلمين وتفككهم من أسباب تسلط الأعداء عليهم
١٥١	ذل المسلمين لا يزول إلا بعودتهم إلى دينهم
١٥	مخالفة أمر الله وأمر رسوله سبب اللعنة والعذاب
	<b>فوائد متنوعة</b>
٢٤	من أهم خصائص النظام الديمقراطي
٢٦	توظيف الآيات للانتخابات حرام في الدين
٢٠-١٩	الكثرة ليست دليلاً على الحق
٧٧	عقاب خطباء السوء
١٠١	حقوق المنبر

## فهرس الأمثال

الصفحة

المثال

٢٩٦	أردنا أن نكحلها فعميناها
١١٨	أكلت يوم أكل الثور الأبيض
٢٩٣	أهل مكة أدري بشعابها
٣١٦	تمخض الجمل فولد فأراً
٢٩	الحق أبلج والباطل لجلج
٢٩٩	خلا لك الجو فيضي واصفري
٣٠٦	دبها في رأس عالم واطلع منها سالم
٢٢٧	درهم وقاية خير من قنطار علاج
٣١٨، ٣١٧	دونكم خرط القتاد
٣٣٦	ردة ولا أبا بكر لها
٢٩٥، ٢٩٤	ششنة نعرفها من أخزم
٣١٠	علاك مصدي
٣٣٤	غيرنا الشكل لتحليل الأكل
٣٣٢	في كل واد تلقي سعداً
٥٩	قل لي من صاحبك أقل لك من أنت
٣١٣	كل إناء بما فيه ينضح
٢١٥	لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله
١٩٩	المعاصرة تقود إلى المنافرة
٣٣٥، ٣٠٧	ولات ساعة ندم
١٢٣	يغيرون الشكل من أجل الأكل

رَفَع

عبد الرحمن العجمي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

## فهرس الكتب الواردة في المتن

الصفحة	اسم الكتاب
٣١٢	آيات شيطانية
٢٩٠	الإبانة عن معاني القراءات
٢٣٥	الأحكام النبوية في الصناعة الطبية
٢٣٥	الأربعون الطبية (الموفق عبد اللطيف البغدادي)
٣٧٢، ٣٥٧	إرواء الغليل
٣٧٠، ٣٤٥	الاستذكار
٣٤٥	الأوسط لابن المنذر
٣١٢	أولاد حارتنا
٣٧٢	تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام
٢٣٥	تسهيل المنافع
٢٠٥	التعلم
٢٨٧، ٧٨	تفسير ابن كثير
٣٢٥	تمام الكلام في بدعية المصافحة بعد السلام
٣٦١	التمهيد
٢٨٧	جامع البيان (للطبري)
٢١	الجامع لأحكام القرآن
٣١٤	حث الصحبة على النزول بالركبة
٩٩	الحدائث
١٧٥	درء تعارض العقل والنقل
٣١٢	الرد على من قال بتهذيب اللحية
٢٣٥، ٧٠	زاد المعاد
٣١٤	سقطه الشيخين الألباني وحجازي في النزول باليدين
٣٢٥	السنن والمبتدعات
٧٨	السيرة النبوية لابن كثير

٢٣٥	شرح أربعين حديثًا من سنن ابن ماجه، (الموفق عبد اللطيف البغدادي)
٣١٢	شمس المعارف الكبرى
١٥٩	صحيح البخاري
٣٢	صحيح الجامع
٣٧٠، ١٥٦	صحيح ابن خزيمة
٢٨٨	صحيح مسلم
٣٤٤، ٢٦٢، ٢٥٤، ٢٣٣، ٧٠	الصحيحين
٣٧٣	
٢٣٥	الطب النبوي (الذهبي)
٢٣٥	الطب النبوي (لابن القيم)
٢٣٥	الطب والأمراض (ابن أبي عاصم)
٣٧٣، ٣٧٠	غاية المرام شرح مغني ذوي الأفهام (لابن عبد الهادي)
٣٧٢، ٣٧١	فتاوى اللجنة الدائمة
٣٤٣	فقه الجمع بين الصلاتين في الحضر بعذر المطر
٣٧٠	فقه الشيخ ابن سعدي
٣٧٣	الكافي
٣٦٨، ٣٥٢	المجموع (شرح المذهب)
٣٦٩، ٣٥٣، ٣٢٥، ٣١٢	مجموع الفتاوى
٣٧٣	مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين
٣٦٩، ٣٦٠	مجموعة الرسائل والمسائل
٣٥٢، ٣٥١	المدونة
٣٧٣	المذهب
٣٧٣	المستوعب
٢٤٦	مسند أحمد

الصفحة	اسم الكتاب
٣٦٧	مصنف عبد الرزاق
٢٣٧	مناقب الشافعي (ابن أبي حاتم)
٢٣٧	مناقب الشافعي (لأبي نعيم)
٢٣٦	المنهج السوي (السيوطي)
١٧٥	موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول
٣٧٢، ٧٠	الموطأ
٣١٦، ٣١٥، ٣١٣، ٣٠٨	نهى الصحبة عن النزول بالركبة
٣١٢	الواحة في جلسة الاستراحة
١٢	الواسطة بين الحق والمخلوق

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

فهرس الغريب والألفاظ المشروحة

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٤٩	الطاعون	٧٤	الإسراء
٢٣٧	الطب	٦١	الأشهر المعلومات
١٢	العبادة	٢٦٣	امقلوه
٦٥	العج	٦٥	الأيام المعلومات
٢٥٥	العسل	١٨١	البدعة
١٣٣-١٣٢	القدر	١٢٥	التافه
٦٢	الفسوق	٢١٣	التجسس
٢١٤	القلاص	٢١٣	التحسس
٤٢	لهزمتيه	١٧٣	التمايم
١١٩	النجش	٣٧-٣٦	التواصي
٢٦٣	النفس	٦٥	الثج
٧١	النقي	٦٣	الجدال
٦٥	الوتر	٢١١	الحسد
١٦١	الوثن	١٤	حطة
٤٦	الوسق	١٠٧	الحكمة
		١٣٧	الرجولة
		٦١	الرفث
		١٢٥	الروبيضة
		٢٦٤	الزنبور
		١٨١	السنة التركية
		١٨١	السنة الفعلية
		٤٢	شجاعاً أقرع
		٦٥	الشفع
		١٦١	الصنم

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## فهرس الفرق والطوائف

الاسم	الصفحة
أبناء ماسون	١٢٦
إخوان	٣٣٨
أرباب الضلالة	١٧٠
الأريسيين	١٤٨
أصحاب الحديث	٣٦٩-٣٥٥
أصحاب السبت	١٢١
أصحاب السبل	١٦٩-٢٠
أصحاب الشافعي	٣٥٤
الأنصار	١٣٣
أنصار السنة	٣٠٩
أهل الاتباع	٣٣٧
أهل الاستقامة والثبات على الحق	٢٨
أهل الأقاليم والآفاق	٦٧
أهل الأهواء والبدع	٣٣٠-٨٣
أهل بدر	٨٣
أهل البدع	٣٣٨، ٣٢٩، ٣٠٠، ١٨٧، ١٨٤، ١٧٧
أهل التمام	١٧٤
أهل الحديث	٣١١، ٣٠٩، ٣٠٢، ٣٠١
أهل الحق	٣٣٧
أهل الدنيا	١٩٧
أهل الذكر	١٠٧
أهل الرحمة	١٣٠
أهل السنة	٣٠٠، ٢٧٣، ٨٣
أهل السنة والجماعة	٣٥٩، ١١٠

الاسم	الصفحة
أهل الشرك	١٧٢
أهل الشرك والخرافة	١٧٠
أهل الصراط	٢٠
أهل الطائف	١١٤
أهل العلم	٣٥١، ١٦٣
أهل الغدر	١٣١
أهل قباء	٢٣٢
أهل الكبائر	١٨٦
أهل اللسان والبيان	٩٦
أهل مكة	١١٤
أهل الودع والبدع	١٧٤
أهل الوعي والفقہ	٣٠٢
بنو إسرائيل	١٤، ٩٠، ١٦١، ١٦٢
بنو يعقوب	٢١٥
التبليغ	٣٣٨
التكفيريون	٣٣٨
الجبابة	٨٦
جمهور الخلف	٢٩٧
الجهمية	١٨٣، ١٦
الحدائثيون	٢٩٩
حزب التحرير	١١٠
الحزبيون	٣٣٨، ٢٧
الخلف	٣٠، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣٤٧، ٣٥٠
الخوارج	١٦٨، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ٣٣٦، ٣٣٧
	٣٥٩، ٣٣٧

الاسم	الصفحة
الرافضة	١٥٣، ١٦٨، ١٧٤، ٢٩٨ ت، ٣١٠، ٣٦٨، ٣٦٤، ٣٤٢
السلف	١٠٢، ٨٥، ٨٢، ٧٧، ٣٠، ٢٨، ٢٥، ١٠٣، ٢٢٧، ٢٢٣، ٢٠٢، ١٩٤، ٢٦٢، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٦، ٣١٨، ٣٣٠، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٨، ٣٦٧
سلف الأمة	٢٨، ١٥٣، ١٥٥ ت، ١٦٧، ١٨٢، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٦، ٣٦٣
السلف الصالح	٦٧، ٨٣، ٨٨، ١٠٢، ١٦٩، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠١، ٣٠٩، ٣١١، ٣٢٤، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠
السلفية	٢٧١، ٣٢٢، ٣٢٩
السلفيون	٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٩، ٣١٩، ٣٢١، ٣٤٠
الشيعة	١٧٤، ٣٣٧
الشيوعيون	١٥٧، ١٥٨ ت، ٣١٨
الصوفية	١٥٣، ١٥٤، ١٦٨، ٢٩١، ٣٣٧، ٣٣٨
الصليبيون	٧٧، ١١٧
الصليبيون الوثنيون	١٤٥
الظلمة	٨٦
العقلاء	١٢٧

الاسم	الصفحة
العقلانيون	١٥٣، ١٧٨، ٣٠٢، ٣٤٤
العقلانيون الضالون	٣١٥
العلمانيون	١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ٣١٨، ٣١٩
	٣٢١، ٣٢٠
الغلاة	١١٤، ٣٠٢
الفرق المارقة	١٥٤
الفرقة الناجية	١٦٩
القراء	١٣٣
القرآنيون	١٠٦، ١٠٩
قطييون	٣٣٨
الماركسية	١٥٧
الماسونيون	٣١٨
المتدعة	٢٩٨ ت
المخرفون الضالون	٣١٨
المرجئة	١٧٨
مرجئة العصر العقلانيون	١٧٨
المستشرقون	١٧٧
المشبهة	١٢
المعتزلة	١١٠، ١٥٣، ١٦٨، ١٧٧
المغول	١١٧
المكفرة	٣٥٩
المنهج السلفي	٢٧٩، ٢٨٢
النصارى	١٠، ١١، ١٨، ٨٨، ١٢٢، ١٢٧، ١٦٦
	١٦٧، ١٩١، ١٩٤
نصارى العرب	١٤٦

اليهود

١٠، ١٤، ١٥، ١٦، ١٨، ٧٧، ٨٨،

١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٨، ١٤٩، ١٥١،

١٥٥، ١٥٧، ١٦٦، ١٦٧، ١٩١،

١٩٤، ٢١٤، ٣٠٦، ٣٦٤،

رَفَع

عبد الرحمن العجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٧	<b>الباب الأول: تأملات قرآنية</b>
٩	﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ﴾
١٤	تحريف الكلم عن مواضعه سبب العذاب والهوان
١٨	معالم الصراط المستقيم
٢١	حياة الأمم
٢٤	﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾
٢٨	﴿ وما بدلوا تبديلاً ﴾
٣١	عوامل فلاح الإنسان
٣٩	<b>الباب الثاني: فضائل وأحكام</b>
٤١	أحكام الزكاة في الكتاب والسنة
٤٨	مع النبي ﷺ في شهر رمضان
٥٣	حكمة الصيام
٥٦	ما لا بد منه بين يدي الحج
٦١	زاد الحاج
٦٥	المحجّة في فضل الأيام العشرة من ذي الحجة
٦٩	أحكام الأضحية في السنة المطهرة
٧٤	الإسراء والمعراج ، تاريخ وعبر
٧٩	<b>الباب الثالث: كلمات في الدعوة والنهاج</b>
٨١	العالم الرباني وحاجة الأمة إليه
٨٥	نصائح مهمة إلى علماء الأمة

٩٠	.....	حكمة الداعية
٩٥	.....	أولويات الدعوة إلى الله
٩٩	.....	من أخلاق الخطيب الأول ﷺ وجوامع كلمه
١٠٦	.....	السنة ... بين أتباعها وأعدائها
١١٢	.....	أخلاق النبي ﷺ في السلم والحرب
١١٥	.....	وجوب تعاون المسلمين على البر والتقوى
١٢١	.....	التحايل على شرع الله
١٢٥	.....	حين ينطق الرويضة
١٢٨	.....	الراحمون يرحمهم الرحمن
١٣١	.....	عاقبة أهل الغدر
١٣٧	.....	الرجولة في الكتاب والسنة
١٤١	.....	القابضون على الجمر
١٤٣	.....	<b>الباب الرابع : مباحث جهادية وعقيدية</b>
١٤٥	.....	الجهاد النبوي في فلسطين
١٤٩	.....	أدواؤنا ... ودواؤنا
١٥٤	.....	إن موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب
١٥٩	.....	تحذير البرية من عبدة الأصنام البشرية
١٦٥	.....	اتباع السبل
١٧١	.....	التحذير من الكذب على الله ورسوله ﷺ
١٧٥	.....	الفكر التنويري في الميزان
١٨٠	.....	التحذير من البدع
١٨٩	.....	<b>الباب الخامس ، آفات على الطريق</b>
١٩١	.....	طغيان القلم

١٩٤	لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ .....
١٩٧	آفات في طريق طلب العلم (١) .....
٢٠١	آفات في طريق طلب العلم (٢) .....
٢٠٤	آفات في طريق طلب العلم (٣) .....
٢٠٨	آفات في طريق طلب العلم (٤) .....
٢١١	الحسد .....
٢٢١	<b>الباب السادس : الطب النبوي</b> .....
٢٢٣	قواعد نبوية في الرقية الشرعية .....
٢٢٩	أهمية علم الطب .. في الكتاب والسنة وآثار السلف (١) .....
٢٣٧	أهمية علم الطب .. في الكتاب والسنة وآثار السلف (٢) .....
٢٤١	قواعد في الطب النبوي .....
٢٤٦	وصايا طبية نبوية نافعة (١) .....
٢٥٤	وصايا طبية نبوية نافعة (٢) .....
٢٦٢	وصايا طبية نبوية نافعة (٣) .....
٢٦٩	<b>الباب السابع : برووفاء</b> .....
٢٧١	نكبة العصر ... بموت إمام العصر .....
٢٨١	من يخلف الألباني .....
٢٨٢	وإنا على فراقك يا ابن باز لمحزونون .....
٢٨٥	<b>الباب الثامن : الردود العلمية</b> .....
٢٨٧	بين تزكية النفس والتحدث بنعمة الله .....
٢٩٣	مرة أخرى لماذا التشيع على السلفيين .....
٢٩٧	الرد على أهل الإفراط والتفريط والغلو والتقصير .....
٣٠١	الغزالي ... وأهل الحديث .....

٣٠٤	فتوى بفرخة .....
٣٠٨	نعم عندنا جواب ... أن يسكت الرويضة .....
٣١٩	مهلاً أيها العلمانيون .....
٣٢٣	الرد المبين في صد عدوان الحزبيين .....
٣٣٢	في كل وادٍ تلقى سعدًا .....
٣٣٧	الرد على من أنكر الجمع بعذر المطر .....
٣٧٥	فهرس الفوائد .....
٣٨٣	فهرس الأمثال .....
٣٨٥	فهرس الكتب الواردة في المتن .....
٣٨٩	فهرس الكلمات الغريبة .....
٣٩١	فهرس الفرق والطوائف .....
٣٩٧	فهرس المحتويات .....

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

السنة النبوية الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

رَفَع

عبد الرحمن العجمي  
أسكنه الفردوس  
www.moswarat.com

